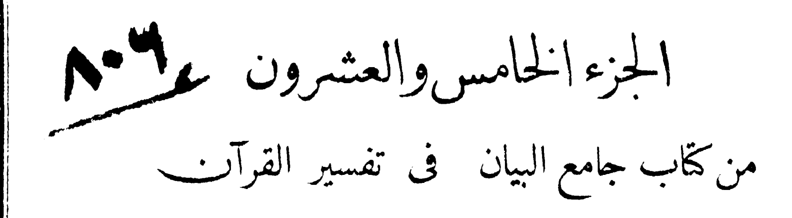


الجزء الخامس والعشرون

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدّث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه فى التفسير
أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية
رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان
للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدّست أسراره

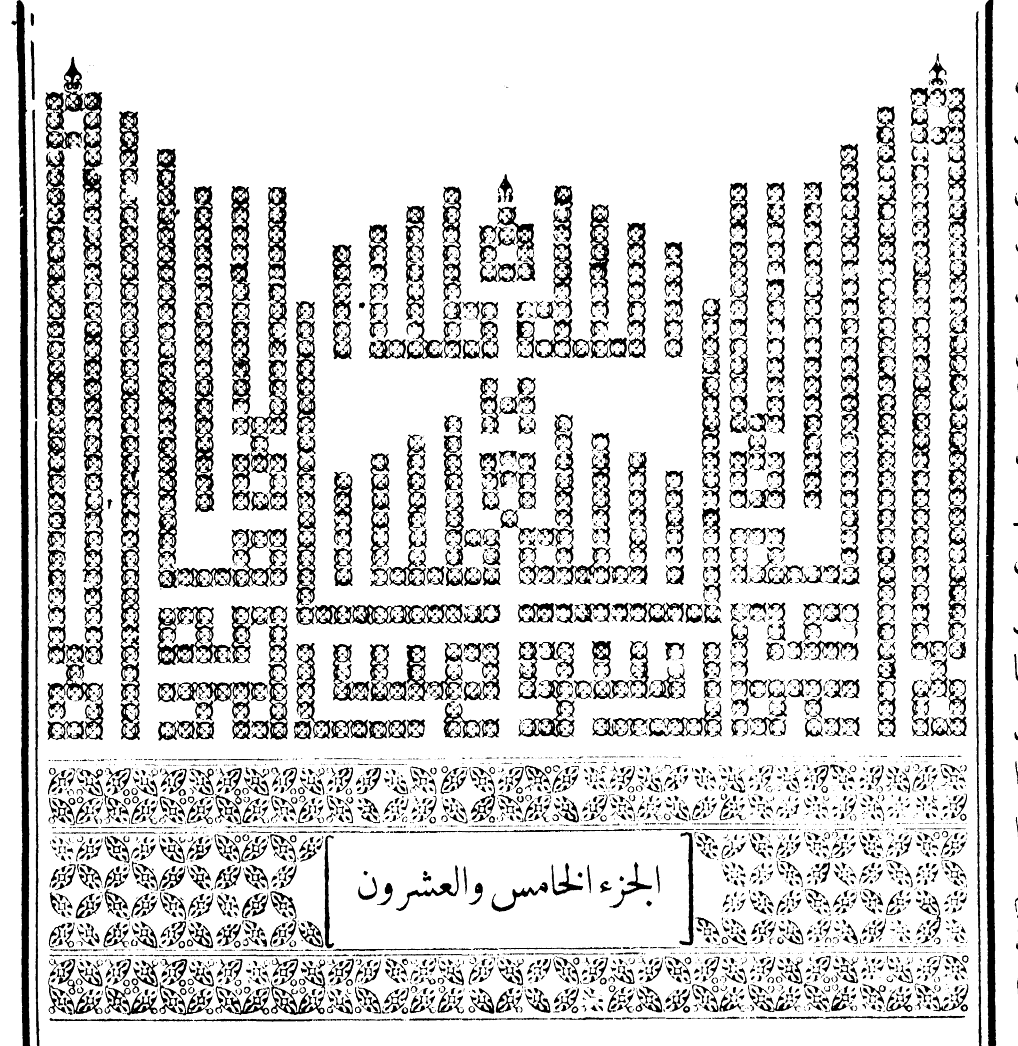
« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه « أى الطبرى » أجلّ التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفراينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٩ هجريه



بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اليه يردّ علم الساعة وماتخرج من ثمرة من أكمامها وماتحمل من أنثى ولاتضع الا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائى قالوا آذناك مامنا من شهيد﴾ يقول تعالى ذكره الى الله يردّ العالمون به علم الساعة فانه لايعلم ماقيامها غيره وماتخرج من ثمرة من أكمامها يقول وما تظهر من ثمرة شجرة من أكمامها التى هى متغيبة فيها فتخرج منها بارزة وماتحمل من أنثى يقول وماتحمل من أنثى من حمل حين تحمله ولاتضع ولدها الا بعلم من الله لايخفى عليه شئ من ذلك * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله وماتخرج من ثمرة من أكمامها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله من أكمامها قال حين تطلع حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدّى وماتخرج من ثمرة من أكمامها قال من طلعها والأكمام جمع كمة وهو كل ظرف لماء أوغيره والعرب تدعو قشر الكفراة كما واختلفت القراء فى قراءة قوله من ثمرة فقرأت ذلك قراء المدينة من ثمرات على الجماع وقرأته قراء الكوفة من ثمرة على لفظ الواحدة وبأىّ القراءتين قرئ ذلك فهو عندنا صواب لتقارب معنييهما مع شهرتهما فى القراءة وقوله ويوم يناديهم أين شركائى يقول تعالى ذكره ويوم ينادى الله هؤلاء المشركين به فى الدنيا الأوثان والأصنام أين شركائى الذين كنتم تشركونهم فى عبادتكم اياى قالوا آذناك يقول قالوا أعلمناك مامنا من شهيد يقول قال هؤلاء المشركون لربهم يومئذ مامنا

﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين أيديهم وماخلفهم وحق عليهم القول فى أمم قدخلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ولاتستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولىّ حميم ومايلقاها الا الذين صبروا ومايلقاها الا ذوحظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت

من

من شهيد يشهد أن لك شريكا * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله آذناك يقول
أعلمناك حدثنى محمد قال ثنا أبو صالح قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله آذناك ما منا
من شهيد قالوا (١) أطعناك ما منا من شهيد على أن لك شريكا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وضل
عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا مالهم من محيص لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه
الشر فيؤس قنوط﴾ يقول تعالى ذكره وضل عن هؤلاء المشركين يوم القيامة آلهتهم التى كانوا
يعبدونها فى الدنيا فأخذ بها طريق غير طريقهم فلم تنفعهم ولم تدفع عنهم شيأ من عذاب الله الذى
حل بهم وقوله وظنوا مالهم من محيص يقول وأيقنوا حينئذ مالهم من ملجا أى ليس لهم ملجأ
يلجؤن اليه من عذاب الله * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وظنوا مالهم من محيص استيقنوا
أنه ليس لهم ملجأ واختلف أهل العربية فى المعنى الذى من أجله أبطل عمل الظن فى هذا الموضع
فقال بعض أهل البصرة فعل ذلك لأن معنى قوله وظنوا استيقنوا قال وماههنا حرف وليس باسم
والفعل لا يعمل فى مثل هذا فلذلك جعل الفعل ملغى وقال بعضهم ليس يلغى الفعل وهو عامل
فى المعنى الا لعلة قال والعلة أنه حكاية فاذا وقع على مالم يعمل فيه كان حكاية وتمنيا واذا عمل
فهو على أصله وقوله لا يسأم الانسان من دعاء الخير يقول تعالى ذكره لا يمل الكافر بالله من
دعاء الخير يعنى من دعائه بالخير ومسألته اياه ربه والخير فى هذا الموضع المال وصحة الجسم
يقول لا يمل من طلب ذلك وان مسه الشر يقول وان ناله ضر فى نفسه من سقم أو جهد فى معيشته
أو احتباس من رزقه فيؤس قنوط يقول فانه ذو يأس من روح الله وفرجه قنوط من رحمته
ومن أن يكشف ذلك الشر النازل به عنه * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من
قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى لا يسأم الانسان من دعاء
الخير يقول الكافر وان مسه الشر فيؤس قنوط قانط من الخير حدثنى يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا يسأم الانسان قال لا يمل وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله
لا يسأم الانسان من دعاء بالخير ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد
ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى
فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ﴾ يقول تعالى ذكره ولئن نحن كشفنا
عن هذا الكافر ما أصابه من سقم فى نفسه وضر وشدة فى معيشته وجهد رحمة منا فوهبناله العافية
فى نفسه بعد السقم ورزقناه مالا فوسعنا عليه فى معيشته من بعد الجهد والضر ليقولن هذا لى عند الله
لأن الله راض عنى برضاه عملى وما أنا عليه مقيم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد ليقولن هذا لى أى بعملى وأنا محقوق بهذا وما أظن الساعة قائمة يقول وما أحسب
القيامة قائمة يوم تقوم ولئن رجعت الى ربى يقول وان قامت أيضا القيامة ورددت الى الله حيا
بعد مماتى ان لى عنده للحسنى يقول ان لى عنده غنى ومالا كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال
ثنا أسباط عن السدى فى قوله ان لى عنده للحسنى يقول غنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا
يقول تعالى ذكره فلنخبرن هؤلاء الكفار بالله المتمنين عليه الأباطيل يوم يرجعون اليه بما عملوا
فى الدنيا من المعاصى واجترحوا من السيئات ثم لنجازين جميعهم على ذلك جزاءهم ولنذيقنهم

ان الذى أحياها لمحى الموتى انه على
كل شئ قدير ان الذين يلحدون
فى آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى
فى النار خير أمن يأتى آمنا يوم القيامة
اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير
ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم
وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد ما يقال لك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة
وذو عقاب أليم ولو جعلناه قرآنا
أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته
ءأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا
هدى وشفاء والذين لا يؤمنون
فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك
ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا
موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا
كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم
وانهم لفى شك منه مريب من عمل
صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها
وما ربك بظلام للعبيد ﴿ اليه يرد علم
الساعة وما تخرج من ثمرات من
أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع
الا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائى
قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل
عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا
مالهم من محيص لا يسأم الانسان
من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس
قنوط ولئن أذقناه رحمة منا من بعد
ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن
الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى
ان لى عنده للحسنى فلننبئن الذين
كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب
غليظ واذا أنعمنا على الانسان
أعرض ونأى بجانبه واذا مسه
الشر فذو دعاء عريض قل أرأيتم
ان كان من عند الله ثم كفرتم به

(١) لعله أطعناك ليكون فيه معنى العلم وحرر كتبه مصححه

من عذاب غليظ وذلك العذاب الغليظ تخليدهم فى نارجهنم لايموتون فيها ولايحيون
۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذامسه
الشر فذو دعاء عريض﴾ يقول تعالى ذكره واذانحن أنعمنا على الكافر فكشفنا مابه من ضر
ورزقناه غنى وسعة ووهبناله صحة جسم وعافية أعرض عما دعوناه اليه من طاعتنا وصدّعنه
ونأى بجانبه يقول وبعدمن اجابتنا الى مادعوناه اليه ويعنى بجانبه بناحيته * وبنحوالذى قلنا
فى ذلك قال أهل التأويل ذكرمن قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط
عن السدى فى قوله أعرض ونأى بجانبه يقول أعرض صدّ بوجهه ونأى بجانبه يقول تباعد
وقوله واذامسه الشر فذو دعاء عريض يعنى بالعريض الكثير كما حدثنا محمد قال ثنا
أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فذو دعاء عريض يقول كثير وذلك قول الناس أطال فلان
الدعاء اذا أكثر وكذلك أعرض دعاءه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل أريتم ان كان من
عندالله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم قل يا محمد للمكذبين بما جئتهم به من عند ربك من هذا القرآن أرأيتم أيها القوم ان كان هذا
الذى تكذبون به من عندالله ثم كفرتم به ألستم فى فراق للحق وبعد من الصواب فجعل مكان
التفريق الخبر فقال من أضل ممن هو فى شقاق بعيد اذ كان مفهوما معناه وقوله من أضل ممن
هو فى شقاق بعيد يقول قل لهم من أشدّ ذهابا عن قصد السبيل وأسلك لغير طريق الصواب ممن
هو فى فراق لأمرالله وخلاف له بعيد من الرشاد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سنريهم آياتنا
فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد﴾ يقول
تعالى ذكره سنرى هؤلاء المكذبين ما أنزلنا على محمد عبدنا من الذكر آياتنا فى الآفاق واختلف
أهل التأويل فى معنى الآيات التى وعدالله هؤلاء القوم أن يريهم فقال بعضهم عنى بالآيات
فى الآفاق وقائع النبى صلى الله عليه وسلم بنواحى بلد المشركين من أهل مكة وأطرافها وبقوله
وفى أنفسهم فتح مكة ذكرمن قال ذلك حدثنا أبوكريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن
عمرو بن دينار عن عمرو بن أبى قيس عن المنهال فى قوله سنريهم آياتنا فى الآفاق قال ظهور محمد صلى
الله عليه وسلم على الناس حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى
سنريهم آياتنا فى الآفاق يقول ما نفتح لك يا محمد من الآفاق وفى أنفسهم فى أهل مكة يقول نفتح لك
مكة * وقال آخرون بل عنى بذلك أنه يريهم نجوم الليل وقمره وشمس النهار وذلك ماوعدهم أنه
يريهم فى الآفاق وقالوا عنى بالآفاق آفاق السماء وبقوله وفى أنفسهم سبيل الغائط والبول ذكر
من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سنريهم آياتنا
فى الآفاق وفى أنفسهم قال آفاق السموات نجومها وشمسها وقمرها اللاتى يجرين وآيات فى أنفسهم
أيضا * وأولى القولين فى ذلك بالصواب القول الاول وهو ماقاله السدى وذلك أن الله عزوجل
وعدنبيه صلى الله عليه وسلم أن يرى هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذبين آيات فى الآفاق وغير
معقول أن يكون تهددهم بأن يريهم ماهم راؤه بل الواجب أن يكون ذلك وعدا منه لهم أن يريهم
مالم يكونوا رأوه قبل من ظهور نبى الله صلى الله عليه وسلم على أطراف بلدهم وعلى بلدهم فأما النجوم
والشمس والقمر فقد كانوا يرونها كثيرا قبل وبعد ولا وجه لتهددهم بأنه يريهم ذلك وقوله حتى
يتبين لهم أنه الحق يقول جل ثناؤه أرى هؤلاء المشركين وقائعنا بأطرافهم وبهم حتى يعلموا حقيقة
ما أنزلنا الى محمد وأوحينا اليه من الوعدله بأنا مظهرو ما بعثناه به من الدين على الأديان كلها ولو كره

من أضل ممن هو فى شقاق بعيد
سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم
حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف
بربك أنه على كل شئ شهيد ألا إنهم
فى مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل
شئ محيط﴾ ۞ القراآت ربنا أرنا
بسكون الراء ابن كثير وابن عامر
وأبو بكر وحماد ورويس أبوعمرو
بالاختلاس الآخرون بكسر الراء
اللذين بتشديد النون ابن كثير
يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة
الباقون بضم الياء وكسر الحاء أعجمى
بهمزة واحدة هشام وقرأ بتحقيق
الهمزتين حمزة وعلى وخلف وعاصم
غيرحفص الا الخزاز والباقون بالمد
ثمرات على الجمع أبوجعفر ونافع
وابن عامر وحفص والمفضل
شركاى مثل من وراى على وزن
عصاى قدمر فى سورة مريم الى
ربى بفتح الياء أبوجعفر ونافع وأبو
عمرو ونأى بجانبه قدمر فى سورة
سبحان الذى أسرى ۞ الوقوف
والانس ج للابتداء بان مع احتمال
كونه جواب القسم فى حق خاسرين
ه تغلبون ه يعملون ه النار ج
لأن مابعده يصلح مستأنفا وحالا
أى كائنا لهم فيها دار الخلد ج
يجحدون ه الأسفلين ه توعدون
ه وفى الآخرة ج لانقطاع النظم
بتقدير الجار مع اتحاد المقول تدعون
ه ط لحق المحذوف أى أصبتم
أووجدتم نزلا رحيم ه المسلمين
ه السيئة ط حميم ه صبروا ج
لاتفاق الجملتين مع تكرارها للتوكيد
عظيم ه بالله ط العليم ه والقمر
ط تعبدون ه يسأمون ه
سجدة اهتزت وربت ط الموتى ط

المشركون وقوله أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد يقول تعالى ذكره أولم يكف بربك يا محمد أنه شاهد على كل شئ مما يفعله خلقه لا يعزب عنه علم شئ منه وهو مجازيهم على أعمالهم المحسن بالاحسان والمسئ جزاءه وفى قوله أنه وجهان أحدهما أن يكون فى موضع خفض على وجه تكرير الباء فيكون معنى الكلام حينئذ أولم يكف بربك بأنه على كل شئ شهيد والآخر أن يكون فى موضع رفع رفعا بقوله يكف فيكون معنى الكلام أولم يكف بربك شهادته على كل شئ

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شئ محيط﴾ يقول تعالى ذكره ألا إن هؤلاء المكذبين بآيات الله فى شك من لقاء ربهم يعنى أنهم فى شك من البعث بعد الممات ومعادهم الى ربهم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم يقول فى شك وقوله ألا إنه بكل شئ محيط يقول تعالى ذكره ألا ان الله بكل شئ مما خلق محيط علما بجميعه وقدرة عليه لا يعزب عنه علم شئ منه أراده فيفوته ولكنه المقتدر عليه العالم بمكانه

آخر تفسير سورة حم السجدة والحمد لله وحده

﴿ تفسير سورة حمعسق ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ حمعسق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾ قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى معانى حروف الهجاء التى افتتحت بها أوائل ما افتتح بها من سور القرآن وبينا الصواب من قولهم فى ذلك عندنا بشواهده المغنية عن اعادتها فى هذا الموضع اذ كانت هذه الحروف نظيرة الماضية منها وقد ذكرنا عن حذيفة فى معنى هذه خاصة قولا وهو ما حدثنا به أحمد بن زهير قال ثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطى قال ثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الحمصى عن أرطاة بن المنذر قال جاء رجل الى ابن عباس فقال له وعنده حذيفة بن اليمان أخبرنى عن تفسير قول الله حم عسق قال فأطرق ثم أعرض عنه ثم كرر مقالته فأعرض فلم يجبه بشئ وكره مقالته ثم كررها الثالثة فلم يجبه شيأ فقال له حذيفة أنا أنبئك بها قد عرفت بم كرهها نزلت فى رجل من أهل بيته يقال له عبد الاله أو عبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق تبنى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقا فاذا أذن الله فى زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدتهم بعث الله على احداهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت كأنها لم تكن مكانها وتصبح صاحبتها متعجبة كيف أفلتت فما هو الا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم ثم يخسف الله بها وبهم جميعا فذلك قوله حم عسق يعنى عزيمة من الله وفتنة وقضاء حم عين يعنى عدلا منه سين يعنى سيكون وقاف يعنى واقع بهاتين المدينتين وذكر عن ابن عباس أنه كان يقرؤه حم سق بغير عين ويقول ان السين عمر كل فرقة كائنة وان القاف كل جماعة كائنة ويقول ان عليا انما كان يعلم العين بها وذكر أن ذلك فى مصحف عبد الله على مثل الذى ذكر عن ابن عباس من قراءته من غير عين وقوله كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم يقول تعالى ذكره هكذا يوحى اليك يا محمد والى الذين من قبلك من أنبيائه

قدير ٥ علينا ط القيامة ط شئتم ٥ لا ليكون ما بعده دالا على أنه أمر تهديد بصير ٥ لما جاءهم ج لأن خبر ان محذوف فيتقدر ههنا أو بعد قوله من خلفه كما يجئ ء عزيز ٥ لا لاتصال الصفة من خلفه ط حميد ٥ من قبلك ط أليم ٥ آياته ط وعربى ط وشفاء ط عمى ط بعيد ٥ فيه ط بينهم ط مريب ٥ فعليها ط للعبيد ٥ الساعة ط بعلمه ط ج شركائى لا لان قالوا عامل يوم آذناك لا لأنه فى معنى القول وقع على الجملة بعده من شهيد ٥ ج للآية مع العطف محيص ٥ الخير ز لاختلاف الجملتين الا أن مقصود الكلام يتم بهما قنوط ٥ هذا لى لا تحرزا عما لا يقوله مسلم قائمة كذلك للحسنى ٥ ج لابتداء الامر بالتوكيد مع فاء التعقيب عملوا ج امهالا للتذكر فى الحالتين مع اتفاق الجملتين غليظ ٥ بجانبه ج فصلا بين تناقض الحالين مع اتفاق الجملتين عريض ٥ بعيد ٥ الحق ط شهيد ٥ ربهم ج محيط ٥ ۞ التفسير لما ذكر وعيد الكفار أردفه بذكر السبب الذى لأجله وقعوا فى ذلك الكفر ومعنى (قيضنا) سببنا لهم من حيث لا يحتسبون أو قدرنا أو سلطنا وأصله من القيض وهو البدل والمقايضة المعاوضة كأن القرينين يصلح كل منهما أن يقوم مقام الآخر والقرناء اخوانهم من الشياطين جمع قرين (فزينوا لهم ما بين أيديهم) وهو الدنيا وما فيها من الشهوات (وما خلفهم) وهو الآخرة بأن لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب وقيل

وقيل ان حم عين سين ق أوحيت الى كل نبي بعث كما أوحيت الى نبينا صلى الله عليه وسلم ولذلك قيل كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبيره خلقه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض ألا ان الله هو الغفور الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره لله ملك ما في السموات وما في الارض من الاشياء كلها وهو العلي يقول وهو ذو علو وارتفاع على كل شيء والاشياء كلها دونه لانهم في سلطانه جارية عليهم قدرته ماضية فيهم مشيئته العظيم الذي له العظمة والكبرياء والجبرية وقوله تكاد السموات يتفطرن من فوقهن يقول تعالى ذكره تكاد السموات يتشققن من فوق الارضين من عظمة الرحمن وجلاله * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله تكاد السموات يتفطرن من فوقهن قال يعني من ثقل الرحمن وعظمته تبارك وتعالى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تكاد السموات يتفطرن من فوقهن أي من عظمة الله وجلاله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي تكاد السموات يتفطرن قال يتشققن في قوله منفطر به قال منشق به حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يتفطرن من فوقهن يقول يتصدعن من عظمة الله حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال ثنا حسين بن محمد عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال جاء رجل الى كعب فقال يا كعب أين ربنا فقال له الناس دق الله تعالى أفتسأل عن هذا فقال كعب دعوه فان يك عالما ازداد وان يك جاهلا تعلم سألت أين ربنا وهو على العرش العظيم متكئ واضع احدى رجليه على الأخرى ومسافة هذه الارض التي أنت عليها خمسمائة سنة ومن الارض الى الارض مسيرة خمسمائة سنة وكثافتها خمسمائة سنة حتى تم سبع أرضين ثم من الارض الى السماء مسيرة خمسمائة سنة وكثافتها خمسمائة سنة والله على العرش متكئ ثم تفطر السموات ثم قال كعب اقرؤا ان شئتم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن الآية وقوله والملائكة يسبحون بحمد ربهم يقول تعالى ذكره والملائكة يصلون بطاعة ربهم وشكرهم له من هيبة جلاله وعظمته كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس والملائكة يسبحون بحمد ربهم قال والملائكة يسبحون له من عظمته وقوله ويستغفرون لمن في الارض يقول ويسألون ربهم المغفرة لذنوب من في الارض من أهل الايمان به كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ويستغفرون لمن في الارض قال للمؤمنين يقول الله عز وجل ألا ان الله هو الغفور لذنوب مؤمني عباده الرحيم بهم أن يعاقبهم بعد توبتهم منها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والذين اتخذوا يا محمد من مشركي قومك من دون الله آلهة يتولونها ويعبدونها الله حفيظ عليهم يحصي عليهم أفعالهم ويحفظ أعمالهم ليجازيهم بها يوم القيامة جزاءهم وما أنت عليهم بوكيل يقول ولست أنت يا محمد بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم وانما أنت منذر فبلغهم ما أرسلت به اليهم فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا اليك قرآنا

ثم بين أيديهم أعمالهم التي عملوها وما خلفهم ما عزموا على فعله وزينوا لهم فعل مفسدي زمانهم والذين تقدم عصرهم والآية على مذهب الاشاعرة واضحة وقالت المعتزلة معناها أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين ومعنى (في أمم) كائنين في جملة أمم وقدمر في أوائل الاعراف كانوا يقولون اذا سمعتم القرآن من محمد فارفعوا أصواتكم باللغو وهو الساقط من الكلام فنزلت (وقال الذين كفروا) الآية يقال لغي بكسر الغين يلغى بالفتح ولغا يلغو فلهذا اقرئ بالضم أيضا والمقصود أنهم علموا أن القرآن كلام كامل لفظا ومعنى وكل من سمعه ووقف على معانيه وأنصف حكم بأنه واجب القبول فدبروا هذا التدبير الفاسد وهو قول بعضهم لبعض (لا تسمعوا لهذا القرآن) اذا قرئ وتشاغلوا عن قراءته برفع الصوت بالمكاء والهذيان والرجز (لعلكم تغلبون) القارئ على قراءته فلا يحصل غرضه من التفهيم والارشاد وحين حكى حيلتهم ذكر وعيدهم بقوله (فلنذيقن) الآية والمضاف في قوله (أسوأ) محذوف أي جزاء أسوأ الذي ولذلك أشار اليه بقوله (ذلك جزاء أعداء الله) وقوله (النار) بدل من الجزاء أو خبر مبتدا مضمر و (دار الخلد) موضع المقام قال الزجاج هو كما يقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني الدار بعينها وقد وضع قوله (بما كانوا بآياتنا يجحدون) موضع أن لو قال بما كانوا يلغون اقامة للسبب

عربيا لتنذر أمّ القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾
يقول تعالى ذكره وهكذا أوحينا اليك يا محمد قرآنا عربيا بلسان العرب لان الذين أرسلتك اليهم
قوم عرب فأوحينا اليك هذا القرآن بألسنتهم ليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره لانا لا نرسل رسولا
إلا بلسان قومه ليبين لهم لتنذر أمّ القرى وهي مكة ومن حولها يقول ومن حول أمّ القرى من
سائر الناس * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال
ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدّي في قوله لتنذر أمّ القرى قال مكة وقوله وتنذر يوم الجمع
يقول عز وجل وتنذر عقاب الله في يوم الجمع عباده لموقف الحساب والعرض وقيل وتنذر يوم
الجمع والمعنى وتنذرهم يوم الجمع كما قيل يخوّف أولياءه والمعنى يخوّفكم أولياءه * وبنحو الذي قلنا
في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط
عن السدّي وتنذر يوم الجمع قال يوم القيامة وقوله لا ريب فيه يقول لا شك فيه وقوله فريق
في الجنة وفريق في السعير يقول منهم فريق في الجنة وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به
رسوله صلى الله عليه وسلم وفريق في السعير يقول ومنهم فريق في الموقدة من نار الله المسعورة على
أهلها وهم الذين كفروا بالله وخالفوا ما جاءهم به رسوله وقد حدثني يونس قال أخبرنا ابن
وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث عن أبي قبيل المعافري عن شفيّ الأصبحيّ عن رجل من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده
كتابان فقال هل تدرون ما هذا فقلنا لا الا أن تخبرنا يا رسول الله قال هذا كتاب من رب العالمين
فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا
وهذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد ولا ينقص منهم أبدا
قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيم اذا نعمل ان كان هذا أمرا قد فرغ منه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل سدّدوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة وان عمل
أيّ عمل وصاحب النار يختم له بعمل النار وان عمل أيّ عمل فرغ ربكم من العباد ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما فرغ ربكم من الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير قالوا
سبحان الله فلم نعمل وننصب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العمل الى خواتمه حدثني
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث وحيوة بن شريح عن يحيى بن أبي أسيد
أن أبا فراس حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول ان الله تعالى ذكره لما خلق آدم نفضه نفض
المزود فأخرج منه كل ذرّية فخرج أمثال النغف فقبضهم قبضتين ثم قال شقي وسعيد ثم
ألقاهما ثم قبضهما فقال فريق في الجنة وفريق في السعير * قال أخبرني عمرو بن الحرث عن أبي
شبويه حدثه عن ابن حجيرة أنه بلغه أن موسى قال يا رب خلقك الذين خلقتهم جعلت منهم فريقا
في الجنة وفريقا في السعير لو ما أدخلتهم كلهم الجنة قال يا موسى ارفع زرعك فرفع قال قد رفعت قال
ارفع فرفع فلم يترك شيأ قال يا رب قد رفعت قال ارفع قال قد رفعت إلا ما لا خير فيه قال كذلك
أدخل خلقي كلهم الجنة الا ما لا خير فيه وقيل فريق في الجنة وفريق في السعير فرفع وقد تقدم
الكلام قبل ذلك بقوله لتنذر أمّ القرى ومن حولها بالنصب لانه أريد به الابتداء كما يقال
رأيت العسكر مقتول أو منهزم بمعنى منهم مقتول ومنهم منهزم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى
﴿ ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من وليّ
ولا نصير ﴾ يقول تعالى ذكره ولو أراد الله أن يجمع خلقه على هدى ويجعلهم على ملة واحدة لفعل

مقام المسبب ثم حكى عنهم
ما سيقولون في النار وهو قولهم
(ربنا أرنا) أي بصرنا الشيطانين
(اللذين أضلانا من الجن والانس)
وذلك أن الشياطين ضربان جنيّ
وانسيّ وقد ورد في القرآن كثيرا
وقيل هما ابليس الذي سنّ الكفر
وقابيل الذي سنّ القتل ومن قرأ
بسكون الراء فلثقل الكسرة وقد يقال
معناه اذ ذاك أعطناه وحكوا عن
الخليل أنك اذا قلت أرني ثوبك
بالكسر فمعناه بصرنيه واذا قلت
بالسكون فهو بمعنى الاعطاء ونظيره
اشتهار الايتاء في معنى الاعطاء
وأصله الاحضار (نجعلهما تحت
أقدامنا) أي نطأهما اذلالا واهانة
(ليكونا من الاسفلين) الأذلين وقيل
في الدرك الاسفل وتأوله بعض
حكماء الاسلام بأنهما الشهوة
والغضب المشار اليهما في قوله
أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء كأنهم سألوا توفيق أن يجعلوا
القرينين تحت قدم النفس الناطقة
وحين أطنب في الوعيد أردفه
بالوعد على العادة المستمرة فقوله
(ربنا الله) اشارة الى العلوم النظرية
التي هذه المسألة رأسها وأصلها
وقوله (ثم استقاموا) اشارة الى
الحكمة العملية وجملتها الاستقامة
على الوسط دون الميل الى أحد شق
الافراط والتفريط كما سبق تقرير
ذلك في تفسير قوله اهدنا الصراط
المستقيم ومعنى ثم تراخي الاستقامة
في الرتبة عن الاقرار وفيه أن
حصول العلوم النظرية بدون القسم
العملي كشجرة بلا ثمرة وقال أهل
العرفان قالوا ربنا الله يوم الميثاق

وبجعلهم أمة واحدة يقول أهل ملة واحدة و جماعة مجتمعة على دين واحد ولكن يدخل من يشاء في رحمته يقول لم يفعل ذلك فيجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء من عباده في رحمته يعني أنه يدخله في رحمته بتوفيقه اياه للدخول في دينه الذي ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير يقول والكافرون بالله ما لهم من ولي يتولاهم يوم القيامة ولا نصير ينصرهم من عقاب الله حين يعاقبهم فينقذهم من عذابه ويقتص لهم ممن عاقبهم وانما قيل هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له عما كان يناله من الهم بتولية قومه عنه وأمر اله بترك ادخال المكروه على نفسه من أجل ادبار من أدبر عنه منهم فلم يستجب لما دعاه اليه من الحق واعلاما له أن أمور عباده بيده وأنه الهادي الى الحق من شاء والمضل من أراد دونه ودون كل أحد سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب﴾ يقول تعالى ذكره أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله أولياء من دون الله يتولونهم فالله هو الولي يقول فالله هو ولي أوليائه واياه فليتخذوا وليا لا الآلهة والأوثان ولا ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا وهو يحيي الموتى يقول والله يحيي الموتى من بعد مماتهم فيحشرهم يوم القيامة وهو على كل شئ قدير يقول والله القادر على احياء خلقه من بعد مماتهم وعلى غير ذلك انه ذو قدرة على كل شئ وقوله وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله يقول تعالى ذكره وما اختلفتم أيها الناس فيه من شئ فتنازعتم بينكم فحكمه الى الله يقول فان الله هو الذي يقضي فيه بينكم و يفصل فيه الحكم كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله قال ابن عمرو في حديثه فهو يحكم فيه وقال الحرث فالله يحكم فيه وقوله ذلكم الله ربي عليه توكلت يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين بالله هذا الذي هذه الصفات صفاته ربي لا آلهتكم التي تدعون من دونه التي لا تقدر على شئ عليه توكلت في أموري واليه فوضت أسبابي وبه وثقت واليه أنيب يقول واليه أرجع في أموري وأتوب من ذنوبي ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾ يقول تعالى ذكره فاطر السموات والارض خالق السموات السبع والارض كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله فاطر السموات والارض قال خالق وقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا يقول تعالى ذكره زوجكم ربكم من أنفسكم أزواجا وانما قال جل ثناؤه من أنفسكم لانه خلق حواء من ضلع آدم فهو من الرجال ومن الأنعام أزواجا يقول جل ثناؤه وجعل لكم من الأنعام أزواجا من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ذكورا واناثا ومن كل جنس من ذلك يذرؤكم فيه يقول يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم و يعيشكم فيما جعل لكم من الانعام وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله يذرؤكم فيه في هذا الموضع فقال بعضهم معنى ذلك يخلقكم فيه

ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله يذرؤكم فيه قال نسل بعد نسل من الناس والانعام حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله يذرؤكم قال يخلقكم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة

عن

في عالم الارواح ثم استقاموا على ذلك في عالم الاشباح وعن أبي بكر الصديق معناه لم يلتفتوا الى اله غيره (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت أو عنده وفي القبر وفي القيامة وأن مفسرة أو مخففة ولقد فسرنا الخوف والحزن مرارا والابشار لازم قال الجوهري يقال بشرته بمولود فأبشر ابشارا وقوله (ألا تخافوا ولا تحزنوا) اشارة الى رفع المضار في المآل وفي الحال وقوله (وأبشروا) اخبار عن حصول المنافع وقوله (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا) يقابل قوله وقيضنا لهم قرناء فللملائكة تأثيرات في الارواح بالالهامات الحسنة والخواطر الشريفة كما للشياطين تأثيرات بالقاء الوساوس والهواجس وقد تقدم في أول الكتاب في تفسير الاستعاذة واذا كانت هذه الولاية ثابتة في الدنيا بحكم المناسبة النورية كانت بعد الموت أقوى وأظهر لزوال العلائق الجسمانية وقيل في الحياة الدنيا بالاستغفار (وفي الآخرة) بالشفاعة وقيل كنا نحفظكم في الدنيا ولا نفارقكم في الآخرة حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم) يعني الحظوظ الجسمانية (ولكم فيها ما تدعون) أي تمنون من المواهب الروحانية وقدمر في يس سائر الوجوه والنزل ما يهيأ للضيف وقدمر وفي ذكر الغفور الرحيم ههنا مناسبة لا تخفى قال أهل النظم ان القوم لما أتوا بأنواع السفاهة والايذاء كقولهم قلوبنا غلف لا تسمعوا لهذا القرآن حرض سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم على مواظبة التبليغ والدعوة

عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله يذرؤكم فيه قال نسلا بعد نسل من الناس والأنعام حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور أنه قال في هذه الآية يذرؤكم فيه قال يخلقكم * وقال آخرون بل معناه يعيشكم فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه يقول يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يذرؤكم فيه قال يعيشكم فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يذرؤكم فيه قال عيش من الله يعيشكم فيه وهذان القولان وان اختلفا في اللفظ من قائليهما فقد يحتمل توجيههما الى معنى واحد وهو أن يكون القائل في معناه يعيشكم فيه أراد بقوله ذلك يحييكم بعيشكم به كما يحيي من لم يخلق بتكوينه اياه ونفخه الروح فيه حتى يعيش حيا وقد بينت معنى ذرء الله الخلق فيما مضى بشواهده المغنية عن اعادته وقوله ليس كمثله شئ فيه وجهان أحدهما أن يكون معناه ليس هو كشئ وأدخل المثل في الكلام توكيدا للكلام اذا اختلف اللفظ به وبالكاف وهما بمعنى واحد كما قيل * ما إن نديت بشئ أنت تكرهه *

فأدخل على ما وهي حرف جحد إن وهي أيضا حرف جحد لاختلاف اللفظ بهما وان اتفق معناهما توكيدا للكلام وكما قال أوس بن حجر

وقتلى كمثل جذوع النخيل * تغشاهم مسبل منهمر

ومعنى ذلك كجذوع النخيل وكما قال الآخر

سعد بن زيد اذا أبصرت فضلهم * ما ان كمثلهم في الناس من أحد

والآخر أن يكون معناه ليس مثله شئ وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام كقول الراجز

* وصاليات ككما يؤثفين *

فأدخل على الكاف كافا توكيدا للتشبيه وكما قال الآخر

تنفي الغياديق على الطريق * قلص عن كبيضة في نيق

فأدخل الكاف مع عن وقد بينا هذا في موضع غير هذا المكان بشرح هو أبلغ من هذا الشرح فلذلك تجوزنا في البيان عنه في هذا الموضع وقوله وهو السميع البصير يقول جل ثناؤه واصفا نفسه بما هو به وهو يعني نفسه السميع لما تنطق به خلقه من قول البصير لأعمالهم لا يخفى عليه من ذلك شئ ولا يعزب عنه علم شئ منه وهو محيط بجميعه محص صغيره وكبيره لتجزى كل نفس بما كسبت من خير أوشر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شئ عليم﴾ يعني تعالى ذكره بقوله له مقاليد السموات والارض له مفاتيح خزائن السموات والارض وبيده مغاليق الخير والشر ومفاتيحها فما يفتح من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد له مقاليد السموات والارض قال مفاتيح بالفارسية حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة له مقاليد السموات والأرض قال مفاتيح السموات والارض وعن الحسن بمثل ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي له مقاليد السموات والارض قال خزائن السموات والارض وقوله يبسط

واحتمال أعباء الرسالة والتزام السيرة الفاضلة اظهار المزيته على الجهال وتحصيلا للغرض بالرفق واللطف ما أمكن فقال (ومن أحسن قولا) ووجه آخر في النظم وهو أنه لما مدح الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وذكر جزاءهم وهم أهل الكمال أراد أن يبين حال المشتغلين بتكميل الناقصين زعم بعض المفسرين أن المراد بهذا الدعاء الاذان والعمل الصالح الصلاة بين الأذان والاقامة ورفعوه الى عائشة والأصح أنه عام لجميع الأئمة والدعاة الى طاعة الله وتوحيده ولا ريب أن مصطفاهم ومقتداهم هو رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده العلماء بالله وهم الحكماء المتألهون وبعدهم العلماء بصفات الله وهم الاصوليون ثم العلماء بأحكام الله وهم الفقهاء ثم الملوك العادلون الذين يدعون الى الله بالسيف والسبب وفي الاستفهام الانكاري دلالة على أنه لا قول أحسن من الدعاء الى الله فمن زعم أنه الأذان ذهب الى أنه واجب والا لكان الواجب أحسن منه ونوقض بأنا نعلم بالدلائل اليقينية أن الدعوة الى الدين القويم بالحجة أو السيف أحسن من الاذان فلا يدخل الأذان تحت الآية قال جار الله ليس معنى قوله وقال انني من المسلمين أنه تكلم بهذا الكلام ولكن المراد أنه جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول أبي حنيفة وقال آخرون أراد به التلفظ به تفاخرا بالاسلام وتمدحا وزعموا أن فيه ابطال قول من جوز أنا مسلم ان شاء الله فانه لو كان ذلك معتبرا لورد في الآية كذلك ولا يخفى ضعفه

الرزق لمن يشاء و يقدر يقول يوسع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه و يبسط له و يكثر ماله و يغنيه و يقدر يقول و يقتر على من يشاء منهم فيضيقه و يفقره انه بكل شئ عليم يقول ان الله تبارك وتعالى بكل ما يفعل من توسيعه على من يوسع وتقتيره على من يقتر ومن الذى يصلحه البسط عليه فى الرزق و يفسده من خلقه والذى يصلحه التقتير عليه و يفسده وغير ذلك من الامور ذو علم لا يخفى عليه موضع البسط والتقتير وغيره من صلاح تدبير خلقه يقول تعالى ذكره فالى من له مقاليد السموات والأرض الذى صفته ما وصفت لكم فى هذه الآيات أيها الناس فارغبوا وإياه فاعبدوا مخلصين له الدين لا الأوثان والآلهة والأصنام التى لا تملك لكم ضرا ولا نفعا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء و يهدى اليه من ينيب ﴾ يقول تعالى ذكره شرع لكم ربكم أيها الناس من الدين ما وصى به نوحا أن يعمله والذى أوحينا اليك يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشرع لكم من الدين الذى أوحينا اليك يا محمد فأمرناك به وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين يقول شرع لكم من الدين أن أقيموا الدين فأن اذ كان ذلك معنى الكلام فى موضع نصب على الترجمة بها عن ما التى فى قوله ما وصى به نوحا و يجوز أن تكون فى موضع خفض ردا على الهاء التى فى قوله به وتفسيرا عنها فيكون معنى الكلام حينئذ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وجائز أن تكون فى موضع رفع على الاستئناف فيكون معنى الكلام حينئذ شرع لكم من الدين ما وصى به وهو أن أقيموا الدين واذ كان معنى الكلام ما وصفت فمعلوم أن الذى أوصى به جميع هؤلاء الانبياء وصية واحدة وهى اقامة الدين الحق ولا تتفرقوا فيه * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما وصى به نوحا قال ما أوصاك به وأنبياءه كلهم دين واحد حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا قال هو الدين كله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا بعث نوح حين بعث بالشريعة بتحليل الحلال وتحريم الحرام وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا قال الحلال والحرام حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى آخر الآية قال حسبك ما قيل لك وعنى بقوله أن أقيموا الدين أن اعملوا به على ما شرع لكم وفرض كما قد بينا فيما مضى قبل فى قوله أقيموا الصلاة * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله أن أقيموا الدين قال اعملوا به وقوله ولا تتفرقوا فيه يقول ولا تختلفوا فى الدين الذى أمرتم بالقيام به كما اختلف الأحزاب من قبلكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تتفرقوا فيه تعلموا أن الفرقة هلكة وأن الجماعة ثقة وقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كبر على المشركين بالله من قومك يا محمد ما تدعوهم اليه من اخلاص العبادة لله وافراده بالالوهية والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر

فان التجوز غير الايجاب ثم صبر رسوله صلى الله عليه وسلم على سفاهة الكفار وعلمه الأدب الجميل فى باب الدعاء الى الدين بل فى مطلق أمور التمدن فقال (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) لا زائدة لتأكيد نفى الاستواء والمعنى لا تستوى الحسنة والسيئة قط ومثالها الايمان والشرك والحلم والغضب والطاعة والمعصية واللطف والعنف ثم ان سائلا كأنه سأل فكيف نصنع فأجيب (ادفع بالتى هى أحسن) فان الحسنة أحسن من السيئة كما يقال الصيف أحر من الشتاء وذهب صاحب الكشاف الى أن لا غير مزيدة والمعنى أن الحسنة والسيئة متفاوتتان فى أنفسهما فخذ بالحسنة التى هى أحسن اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة مثاله رجل أساء اليك فالحسنة أن تعفو عنه والتى هى أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته قال ومن جعل لا مزيدة فالقياس على تفسيره أن يقال ادفع بالتى هى حسنة ولكنه وضع أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها قال العارفون الحسنة التوجه الى الله بصدق الطلب والسيئة الالتفات الى غيره (فاذا الذى) اذا فعلت ذلك انقلب عدوك وليا مصافيا قال مقاتل نزلت فى ابى سفيان وكان مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار يتحاب بعد ذلك لما رأى من لطف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعطفه ثم مدح هذه السيرة وأهلها بقوله (وما يلقاها الا الذين صبروا) أى لا يعمل بها

ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه قال أنكرها المشركون وكبر عليهم شهادة أن لا اله الا الله فصادمها ابليس وجنوده فأبى الله تبارك وتعالى الا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها وقوله الله يجتبي اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب يقول الله يصطفى اليه من يشاء من خلقه ويختار لنفسه ولولايته من أحب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الله يجتبي اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب يقول ويوفق للعمل بطاعته واتباع ما بعث به نبيه عليه السلام من الحق من أقبل الى طاعته وراجع التوبة من معاصيه كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ويهدى اليه من ينيب من يقبل الى طاعة الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ﴾ يقول تعالى ذكره وما تفرق المشركون بالله فى أديانهم فصاروا أحزابا إلا من بعد ما جاءهم العلم بأن الذى أمرهم الله به وبعث به نوحا هو إقامة الدين الحق وأن لا تتفرقوا فيه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم فقال اياكم والفرقة فانها هلكة بغيا بينهم يقول بغيا من بعضكم على بعض وحسدا وعداوة على طلب الدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى يقول جل ثناؤه ولولا قول سبق يا محمد من ربك لا يعاجلهم بالعذاب ولكنه أخر ذلك الى أجل مسمى وذلك الأجل المسمى فيما ذكر يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى قال يوم القيامة وقوله لقضى بينهم يقول لفرغ ربك من الحكم بين هؤلاء المختلفين فى الحق الذى بعث به نبيه نوحا من بعد علمهم به باهلاكه أهل الباطل منهم واظهاره أهل الحق عليهم وقوله وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم يقول وان الذين آتاهم الله من بعد هؤلاء المختلفين فى الحق كتابه التوراة والانجيل لفى شك منه مريب يقول لفى شك من الدين الذى وصى الله به نوحا وأوحاه اليك يا محمد وأمر كما باقامته مريب * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم قال اليهود والنصارى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير ﴾ يقول تعالى ذكره فالى ذلك الدين الذى شرع لكم ووصى به نوحا وأوحاه اليك يا محمد فادع عباد الله واستقم على العمل به ولا تزغ عنه واثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة وقيل فلذلك فادع والمعنى فالى ذلك فوضعت اللام موضع الى كما قيل بأن ربك أوحى لها وقد بينا ذلك فى غير موضع من كتابنا هذا وكان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك فى قوله فلذلك فادع الى معنى هذا ويقول معنى الكلام فالى هذا القرآن فادع واستقم والذى قال من هذا القول قريب المعنى مما قلناه غير أن الذى قلنا فى ذلك أولى بتأويل الكلام لأنه فى سياق خبر الله جل ثناؤه عما شرع لكم من الدين لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم باقامته ولم يأت من الكلام ما يدل على انصرافه عنه

الا كل صبار على تجرع المكاره (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) من قوة جوهر النفس الناطقة بحيث لا يتأثر من الواردات الخارجية وقد يفسر الحظ العظيم بالثواب الجزيل وعن الحسن ما عظم حظ دون الجنة ثم ذكر طريقا آخر فى دفع الغضب والانتقام قائلا (وإما ينزغنك) وقدمر فى آخر الأعراف والمعنى ان صرفك الشيطان عما أمرت به فاستعذ بالله من شره وانما قال ههنا (انه هو السميع العليم) بالفصل وتعريف الخبر ليكون مناسبا لما تقدمه من قوله وما يلقاها مؤكدا بالتكرار وبالنفى والاثبات ولم يكن هذا المقتضى فى الأعراف فجاء على أصل الاسم معرفة والخبر نكرة وحين ذكر أن أحسن الأقوال هو الدعوة الى الله بين الدلائل على وجوده فقال (ومن آياته) الخ والضمير فى (خلقهن) للآيات او الليل وما عطف عليه ولم يغلب المذكر لان ذلك قياس مع العقلاء وفى قوله (ان كنتم اياه تعبدون) تزييف طريقة الصابئين وسائر عبدة الكواكب جهلا منهم وزعما أنها الواسطة بين الخلق والاله فنهوا عن هذا التوسيط لان ذلك مظنة العبادة المستقلة لرفعة شأنها وارتفاع مكانها وهذا بخلاف التوجه فى الصلاة الى القبلة فان الحجر قلما يظن به أنه معبود بالحق والجزم حاصل بأنه لتوحيد متوجهات المصلين عند صلاتهم مع أن للبيت شرفا ظاهرا فى نفسه (فان استكبروا) عن قبول قولك يا محمد فى النهى عن السجود للشمس والقمر

الى غيره وقوله ولا تتبع أهواءهم يقول تعالى ذكره ولا تتبع يا محمد أهواء الذين شكوا فى الحق
الذى شرعه الله لكم من الذين أورثوا الكتاب من بعد القرون الماضية قبلهم فتشك فيه كالذين
شكوا فيه وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب يقول تعالى ذكره وقل لهم يا محمد صدقت بما أنزل
الله من كتاب كائنا ما كان ذلك الكتاب توراة كان أو انجيلا أو زبورا أو صحف ابراهيم لا أكذب
بشئ من ذلك تكذيبكم ببعضه معشر الأحزاب وتصديقكم ببعض وقوله وأمرت لأعدل
بينكم الله ربنا وربكم يقول تعالى ذكره وقل لهم يا محمد وأمرنى ربى أن أعدل بينكم معشر الأحزاب
فأسير فيكم جميعا بالحق الذى أمرنى به وبعثنى بالدعاء اليه كالذى حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأمرت لأعدل بينكم قال أمر نبى الله صلى الله عليه وسلم
أن يعدل فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه والعدل ميزان الله فى الأرض به يأخذ للمظلوم
من الظالم وللضعيف من الشديد وبالعدل يصدق الله الصادق ويكذب الكاذب وبالعدل
يرد المعتدى ويوبخه ذكر لنا أن نبى الله داود عليه السلام كان يقول ثلاث من كن فيه
أعجبنى جدا القصد فى الفاقة والغنى والعدل فى الرضا والغضب والخشية فى السر والعلانية
وثلاث من كن فيه أهلكته شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وأربع من أعطيهن
فقد أعطى خير الدنيا والآخرة لسان ذاكر وقلب شاكر وبدن صابر وزوجة مؤمنة
* واختلف أهل العربية فى معنى اللام التى فى قوله وأمرت لأعدل بينكم فقال بعض نحويى
البصرة معناها كى وأمرت كى أعدل وقال غيره معنى الكلام وأمرت بالعدل والأمر واقع على
ما بعده وليست اللام التى فى لأعدل بشرط قال وأمرت تقع على أن وعلى كى واللام أمرت
أن أعبد وكى أعبد ولأعبد قال وكذلك كل ما طالب الاستقبال ففيه هذه الأوجه الثلاثة
والصواب من القول فى ذلك عندى أن الأمر عامل فى معنى لأعدل لأن معناه وأمرت بالعدل
بينكم وقوله الله ربنا وربكم يقول الله مالكنا ومالككم معشر الأحزاب من أهل الكتابين التوراة
والانجيل لنا أعمالنا ولكم أعمالكم يقول لنا ثواب ما اكتسبنا من الأعمال ولكم ثواب ما اكتسبتم
منها وقوله لا حجة بيننا وبينكم يقول لا خصومة بيننا وبينكم كما حدثنى محمد بن عمرو قال
ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا
عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لا حجة بيننا وبينكم قال لا خصومة حدثنى يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله عز وجل لا حجة بيننا وبينكم لا خصومة بيننا وبينكم
وقرأ ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الى آخر الآية وقوله الله يجمع بيننا يقول الله يجمع
بيننا يوم القيامة فيقضى بيننا بالحق فيما اختلفنا فيه واليه المصير يقول واليه المعاد والمرجع بعد
مماتنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم
داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد﴾ يقول تعالى ذكره والذين يخاصمون فى
دين الله الذى ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من بعد ما استجاب له الناس فدخلوا فيه من
الذين أورثوا الكتاب حجتهم داحضة يقول خصومتهم التى يخاصمون فيه باطلة ذاهبة عند
ربهم وعليهم غضب يقول وعليهم من الله غضب ولهم فى الآخرة عذاب شديد وهو عذاب النار
وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من اليهود خاصموا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دينهم
وطمعوا أن يصدوهم عنه ويردوهم عن الاسلام الى الكفر ذكر الرواية عمن ذكر ذلك عنه
حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس

قوله

(فالذين عند ربك) عندية بالشرف
والرتبة وهم الملائكة المقربون
(يسبحون له بالليل والنهار) أى على
الدوام والاستمرار (وهم لا يسأمون)
من السآمة والملالة والحاصل أنهم
ان لم يمتثلوا ما أمروا به ونهوا عنه
وأبوا الا الواسطة فدعهم وشأنهم
فان ربك لا يعدم عابدا مخلصا
ولما فرغ من تقرير الآيات السماوية
شرع فى الدلائل الارضية فقال
(ومن آياته أنك ترى الأرض
خاشعة) وأصل الخشوع التذلل
فاستعير للارض التى لا خضرة بها
ولا نفع فيها كما وصفها بالهمود وقدمر
فى سورة الحج وذلك أنها اذا اهتزت
وربت أى انتفخت حين يهم
النبت بالخروج منها كانت بمنزلة
المختال فى زيه وهى قبل ذلك كالفقير
الكاسف البال المتلبس بثوب أطمار
وبعد تقرير الدلائل الباهرة ذكر
وعيد الملحدين فى آياته المنحرفين
عن الجادة والوعيد قوله (لا يخفون
علينا) وكفى به وعيدا ثم أكده
بالاستفهام على سبيل التقرير
وهو قوله (أفمن يلقى) الخ وقوله
(يوم القيامة) ظرف لآمنا أو ليأتى
ثم هددهم بقوله (اعملوا ما شئتم)
الخ ثم أبدل من قوله ان الذين كفروا
بالذكر أى القرآن لانهم بكفرهم به
طعنوا فيه وحرفوا معانيه وعلى هذا
فالخبر هو ما تقدم من قوله لا يخفون
وانه كلام مستأنف وعلى هذا
فاختلفوا فى خبر ان فالاكثرون على
انه أولئك ينادون وما بينهما
اعتراض من تتمة الذكر وقيل خبره
ما يقال اذ التقدير ما يقولون لك
وقيل هو محذوف ثم اختلفوا فقال
قوم ان الذين كفروا بالذكر كفروا

قوله والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد قال هم أهل الكتاب كانوا يجادلون المسلمين و يصدونهم عن الهدى من بعد ما استجاب لله وقال هم اهل الضلالة كان استجيب لهم على ضلالتهم وهم يتربصون بأن تأتيهم الجاهلية حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له قال طمع رجال بأن تعود الجاهلية حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له قال بعد ما دخل الناس فى الاسلام حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم قال هم اليهود والنصارى قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة الآية قال هم اليهود والنصارى حاجوا أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن أولى بالله منكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين يحاجون فى الله الى آخر الآية قال نهاه عن الخصومة

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها و يعلمون أنها الحق ألا ان الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد ﴾ يقول تعالى ذكره الله الذى أنزل هذا الكتاب يعنى القرآن بالحق والميزان يقول وأنزل الميزان وهو العدل ليقضى بين الناس بالانصاف و يحكم فيهم بحكم الله الذى أمر به فى كتابه * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أنزل الكتاب بالحق والميزان قال العدل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان قال الميزان العدل وقوله وما يدريك لعل الساعة قريب يقول تعالى ذكره وأى شئ يدريك و يعلمك لعل الساعة التى تقوم فيها القيامة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها يقول يستعجلك يا محمد بمجيئها الذين لا يوقنون بمجيئها ظنا منهم أنها غير جائية والذين آمنوا مشفقون منها يقول والذين صدقوا بمجيئها ووعد الله اياهم الحشر فيها مشفقون منها يقول وجلون من مجيئها خائفون من قيامها لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم فيها و يعلمون أنها الحق يقول و يوقنون أن مجيئها الحق اليقين لا يمترون فى مجيئها ألا ان الذين يمارون فى الساعة يقول تعالى ذكره ألا ان الذين يخاصمون فى قيام الساعة و يجادلون فيه لفى ضلال بعيد يقول لفى جور عن طريق الهدى و زيغ عن سبيل الحق والرشاد بعيد من الصواب

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب ﴾ يقول تعالى ذكره الله ذو لطف بعباده يرزق من يشاء فيوسع عليه و يقتر على من يشاء منهم وهو القوى الذى لا يغلبه ذو أيد لشدته ولا يمتنع عليه اذا أراد عقابه بقدرته العزيز فى انتقامه اذا انتقم من أهل معاصيه من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه يقول تعالى ذكره من كان يريد بعمله الآخرة

لما جاءهم وقال آخرون هلكوا أو يجازون بكفرهم ونحو ذلك وهذا يمكن تقديره بعد قوله لما جاءهم و بعد قوله من خلفه و بعد قوله حميد والعزيز معناه الغالب القاهر بقوة حجته على ما سواه من الكتب والمراد أنه عديم النظير لأن الاولين والآخرين عجزوا عن معارضته ثم أكد هذا الوصف بقوله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قال جار الله هو تمثيل أى لا يتطرق البطلان اليه بجهة من الجهات فلا ينقص منه شئ ولا يزاد عليه شئ وقيل أراد أنه لا تكذبه الكتب المتقدمة كالتوراة والانجيل ولن يجئ بعده ما يخالفه وقد يحتج أبو مسلم بالآية على عدم وقوع النسخ فى القرآن زعما منه أن النسخ نوع من البطلان ولا يخفى ضعفه فان بيان انتهاء حكم لا يقتضى ابطاله فانه حق فى نفسه ومأمور به فى وقته (تنزيل) اى هو منزل (من) الله (حكيم) فى جميع أفعاله (حميد) الى جميع خلقه بسبب كثرة نعمه ثم سلى نبيه عليه السلام بقوله (ما يقال لك) وفيه وجهان أحدهما ما يقول لك كفار قريش الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من المطاعن فيهم وفى كتبهم (ان ربك لذو مغفرة) للمحقين (وذو عقاب أليم) للمبطلين ففوض الامر الى الله واشتغل بما أمرت به من الدعاء الى دينه وثانيهما ما يقول لك الله الا مثل ما قال لغيرك من الرسل من الصبر على سفاهة الاقوام وايذائهم و يجوز أن يكون المقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب فمن حقه أن يرجوه اهل طاعته و يخشاه

نزدله في حرثه يقول نزدله في عمله الحسن فنجعل له بالواحدة عشرا الى ماشاء ربنا من الزيادة ومن
كان يريد حرث الدنيا نؤته منها يقول ومن كان يريد بعمله الدنيا ولها يسعى لاللآخرة نؤته منها
ماقسمناله منها وماله في الآخرة من نصيب يقول وليس لمن طلب بعمله الدنيا ولم يرد الله به
ثواب الله لاهل الاعمال التي أرادوه بأعمالهم في الدنيا حظ * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال
ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه الى وماله
في الآخرة من نصيب قال يقول من كان انما يعمل للدنيا نؤته منها حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث
الدنيا الآية يقول من آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيبا في الآخرة الا النار ولم نزده بذلك من
الدنيا شيئا الا رزقا قد فرغ منه وقسم له حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
في قوله من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه قال من كان يريد الآخرة وعملها نزدله في عمله ومن
كان يريد حرث الدنيا نؤته منها الى آخر الآية قال من أراد الدنيا وعملها آتيناه منها ولم نجعل له في
الآخرة من نصيب الحرث العمل من عمل للآخرة أعطاه الله ومن عمل للدنيا أعطاه الله
حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله من كان يريد حرث الآخرة
نزدله في حرثه قال من كان يريد عمل الآخرة نزدله في عمله وقوله وماله في الآخرة من نصيب قال
للكافر عذاب أليم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به
الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم) يقول تعالى ذكره أم لهؤلاء
المشركين بالله شركاء في شركهم وضلالتهم شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله يقول ابتدعوا لهم
من الدين مالم يبح الله لهم ابتداعه ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم يقول تعالى ذكره ولولا السابق
من الله في أنه لا يعجل لهم العذاب في الدنيا وأنه مضى من قيله أنهم مؤخرون بالعقوبة الى قيام
الساعة لفرغ من الحكم بينكم وبينهم بتعجيلنا العذاب لهم في الدنيا ولكن لهم في الآخرة من
العذاب الأليم كما قال جل ثناؤه وان الظالمين لهم عذاب أليم يقول وان الكافرين بالله لهم يوم القيامة
عذاب مؤلم موجع ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو
واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك هو
الفضل الكبير) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ترى يا محمد الكافرين بالله يوم
القيامة مشفقين مما كسبوا يقول وجلين خائفين من عقاب الله على ما كسبوا في الدنيا من أعمالهم
الخبيثة وهو واقع بهم يقول والذي هم مشفقون منه من عذاب الله نازل بهم وهم ذائقوه لامحالة
وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات يقول تعالى ذكره والذين آمنوا بالله
وأطاعوه فيما أمر ونهى في الدنيا في روضات البساتين في الآخرة ويعني بالروضات جمع روضة
وهي المكان الذي يكثر نبته ولا تقول العرب لمواضع الاشجار رياض ومنه قول أبي النجم

والنقص مثل الاجرب المدحل * حدائق الروض التي لم تحلل

يعني بالروض جمع روضة وانما عنى جل ثناؤه بذلك الخبر عما هم فيه من السرور والنعيم كما حدثني
محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين
آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات الى آخر الآية قال في رياض الجنة ونعيمها وقوله لهم
مايشاؤن عند ربهم يقول للذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم في الآخرة ما تشتهيه أنفسهم

أهل عصيانه كانوا يقولون لولا أنزل
القرآن بلغة العجم تعنتا منهم فأجابهم
الله بقوله (ولو جعلناه قرآنا أعجميا
لقالوا) معترضين منكرين (لولا
فصلت آياته) أي بينت بلسان
نفهمه أقرآن أعجمي ورسول عربي
أو مرسل اليه عربي وانما جاز
هذا التقدير الثاني مع أن المرسل
اليهم كثيرون وهم غيرامة العرب
لأن الغرض بيان تنافر حالتي القرآن
والذين أنزل القرآن اليهم من
العجمية والعربية لابيان أنهم جمع
أو واحد كما تقول وقد رأيت لباسا
طويلا على امرأة قصيرة اللباس
طويل واللابس قصير ولو قلت
واللابسة قصيرة جئت بما هو أفضل
ومن قرأ بغير همزة الاستفهام فعلى
حذفها أو على الاخبار بأن القرآن
أعجمي والرسول أو المرسل اليه
عربي والغرض أنهم لعنادهم
لاينفكون عن المراء والاعتراض
سواء كان القرآن عربيا أو أعجميا
وفيه الخام لهم وجواب عن قولهم
قلوبنا في أكنة فان القرآن اذا كان
بلغتهم وهم فصحاء وبلغاء فكيف
لايفهمونه الا اذا كان هناك مانع
الهي ولذلك قال (قل هو للذين آمنوا
هدى وشفاء) لداء الجهل (والذين)
أي وللذين (لايؤمنون في آذانهم
وقر) وهذا التقدير عند من يجوز
العطف على عاملين ومن لم يجوز زعم
أن الرابط محذوف تقديره والذين
لايؤمنون هو في آذانهم وقر أو
في آذانهم منه وقر أو الذين لايؤمنون
به الخ والحاصل أنهم لعدم انتفاعهم
بالقرآن كأنهم صم عمي ثم أكد هذا
المعنى بقوله (أولئك ينادون من
مكان بعيد) فلهذا لايسمعون النداء

وتلذه أعينهم ذلك هو الفضل الكبير يقول تعالى ذكره هذا الذى أعطاهم الله من هذا النعيم وهذه الكرامة فى الآخرة هو الفضل من الله عليهم الكبير الذى يفضل كل نعيم وكرامة فى الدنيا من بعض أهلها على بعض ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور ﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى أخبرتكم أيها الناس أنى أعددته للذين آمنوا وعملوا الصالحات فى الآخرة من النعيم والكرامة البشرى التى يبشر الله عباده الذين آمنوا به فى الدنيا وعملوا بطاعته فيها قل لا أسألكم عليه أجرا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للذين يمارونك فى الساعة من مشركى قومك لا أسألكم أيها القوم على دعايتكم الى ما أدعوكم اليه من الحق الذى جئتكم به والنصيحة التى أنصحكم ثوابا او جزاء وعوضا من أموالكم تعطونيه إلا المودة فى القربى واختلف أهل التأويل فى معنى قوله إلا المودة فى القربى فقال بعضهم معناه إلا أن تودونى فى قرابتى منكم وتصلوا رحمى بينى و بينكم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب و يعقوب قالا ثنا اسمعيل بن ابراهيم عن داود بن أبى هند عن الشعبى عن ابن عباس فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى قال لم يكن بطن من بطون قريش إلا و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بينهم قرابة فقال قل لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودونى فى القرابة التى بينى و بينكم حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة قال ثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى قال سئل عنها ابن عباس فقال ابن جبير هم قربى آل محمد فقال ابن عباس عجلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من بطون قريش إلا وله فيهم قرابة قال فنزلت قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى قال إلا القرابة التى بينى و بينكم أن تصلوها حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة فى جميع قريش فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه قال يا قوم اذ أبيتم أن تبايعونى فاحفظوا قرابتى فيكم لا يكن غيركم من العرب أولى بحفظى ونصرتى منكم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم قال لقريش لا أسألكم من أموالكم شيئا ولكن أسألكم أن لا تؤذونى لقرابة ما بينى و بينكم فانكم قومى وأحق من أطاعنى وأجابنى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عكرمة قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان واسطا فى قريش كان له فى كل بطن من قريش نسب فقال لا أسألكم على ما أدعوكم اليه إلا أن تحفظونى فى قرابتى قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسط النسب من قريش ليس حى من أحياء قريش إلا وقد ولدوه قال فقال الله عز وجل قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى إلا أن تودونى لقرابتى منكم وتحفظونى حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن أبى مالك فى هذه الآية قل لا أسألكم عليه اجرا إلا المودة فى القربى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وأمه من بنى زهرة وأم أبيه من بنى مخزوم فقال احفظونى فى قرابتى حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمى قال ثنا شعبة قال أخبرنى عمارة عن عكرمة فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى قال تعرفون

أى مثلهم كمثل الشخص الذى ينادى من بعد فلا يسمع وان سمع لم يفهم ثم شبه حال القرآن بحال الكتب المتقدمة فى أنها اختلف فيها كما اختلف فيه الا أنه خص كتاب موسى بالذكر لكثرة أحكامه وعجيب قصته والكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وتأخر العذاب والقضاء بين المصدقين والمكذبين الى وقتئذ ثم ذكر أن جزاء كل أحد يختص به سواء كان له أو عليه وان الله لا يظلم أحدا ثم كان لسائل أن يسأل متى القيامة التى يتعلق بها الجزاء فقال (اليه) لا الى غيره (يرد علم الساعة) أى اذا سأل عنها قيل لا يعلمها الا هو ثم عمم بعد هذا التخصيص وذكر مثالين يعرف منهما ان علم جميع الحوادث المستقبلة فى أوقاتها المعينة ليس الا له سبحانه والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة ثم ذكر من أحوال القيامة طرفا آخر فقال (و يوم يناديهم اين شركائى) وهو نداء تهكم أو توبيخ كما مر مرارا (قالوا آذناك) قال ابن عباس أى أسمعناك من أذن بالكسر أذنا بالفتح اذا استمع وقال الكلبى أعلمناك قال الامام فخر الدين الرازى هو بعيد لأن أهل القيامة يعلمون أنه تعالى يعلم الاشياء علما واجبا فالاعلام فى حقه محال قلت لو أريد أظهرنا معلومك أين الاستبعاد والمعنى ظهر وحصل فى الواقع من جهة قولنا ما كان ثابتا فى علمك القديم أنا سنقوله كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا أى لم يحصل بعد معلومه فى الواقع وقدمر وقولهم آذناك ماض فى معنى المستقبل على عادة القرآن أو انشاء للايذان

قرابتي وتصدّقوني بما جئت به وتمنعوني حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة في القربى وان الله تبارك وتعالى أمر محمدا صلى الله عليه
وسلم أن لا يسأل الناس على هذا القرآن أجرا الا أن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة وكل بطون
قريش قد ولدته وبينه وبينهم قرابة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله
إلا المودّة في القربى أن تتبعوني وتصدقوني وتصلوا رحمي حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا
أسباط عن السدي في قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة في القربى قال لم يكن بطن من بطون
قريش الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ولادة فقال قل لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودّوني
لقرابتي منكم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك
يقول في قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة في القربى يعني قريشا يقول انما أنا رجل منكم
فأعينوني على عدوّي واحفظوا قرابتي وان الذي جئتكم به لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة في القربى
أن تودّوني لقرابتي وتعينوني على عدوّي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
في قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة في القربى قال يقول إلا أن تودّوني لقرابتي كما توادّون في
قرابتكم وتواصلون بها ليس هذا الذي جئت به يقطع ذلك عني فلست أبتغي على الذي جئت به
أجرا آخذه على ذلك منكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني سعيد بن أبي أيوب
عن عطاء بن دينار في قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة في القربى يقول لا أسألكم على ما جئتكم
به أجرا إلا أن تودّوني في قرابتي منكم وتمنعوني من الناس حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا
محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة في القربى قال كل قريش
كانت بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة فقال قل لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودّوني
بالقرابة التي بيني وبينكم * وقال آخرون بل معنى ذلك قل لمن تبعك من المؤمنين لا أسألكم على
ما جئتكم به أجرا إلا أن تودّوا قرابتي ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمارة قال ثنا اسمعيل
ابن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المري عن السدّي عن أبي الديلم قال لما جيء بعلي بن الحسين
رضي الله عنهما أسيرا فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال الحمد لله الذي قتلكم
واستأصلكم وقطع قرني الفتنة فقال له علي بن الحسين رضي الله عنه أقرأت القرآن قال نعم قال
أقرأت آل حم قال قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم قال ما قرأت قل لا أسألكم عليه أجرا إلا
المودّة في القربى قال وانكم لأنتم هم قال نعم حدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل
قال ثنا عبد السلام قال ثنا يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس قال قالت الانصار
فعلنا وفعلنا فكأنهم فخروا فقال ابن عباس أو العباس شك عبد السلام لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله
بي قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبوني
قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أولم يكذبوك فصدّقناك
أولم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله
قال فنزلت قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة في القربى حدثني يعقوب قال ثنا مروان
عن يحيى بن كثير عن أبي العالية عن سعيد بن جبير في قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة

في

أو اخبار عما قيل لهم قبل ذلك فانه
يمكن أن يعاد عليهم هذا الاستفهام
مرات لمزيد التوبيخ ومعنى (ما منا
من شهيد) ليس منا من يشهد اليوم
بأنهم شركاؤك لأنا عرفنا عيانا أنه
لا شريك لك أو هو كلام الشركاء
أحياها الله وأنطقها فتبرأ مما أضيف
اليها من الشركة ومعنى الضلال على
هذا التفسير عدم النفع ويجوز أن يراد
ما منا من أحد يشاهدهم لأنهم غابوا
عنا ومعنى (يدعون) يعبدون والظن
بمعنى اليقين والمحيص المهرب
وحين بين أن الكفار تبرؤا في الآخرة
من شركائهم بعد أن كانوا مصرين
في الدنيا على عبادتهم بين أن الكافر
تبدّله في حالاته كلّي أو أكثريّ
ففي حالة الاقبال لا يسأم من طلب
الجاه والمال وفي حالة الادبار يصير
في غاية اليأس والانكسار وان
عاودته النعمة بعد يأسه فلا بدّ أن
يقول هذا مما وجدته باستحقاق لي
وهذا لا يزول عني ويبقى عليّ وعلى
عقبي وأنكر البعث وعلى فرض
وجوده زعم بل جزم أن له عند الله
الحالة الحسنى قائسا أمر الآخرة
على أمر الدنيا ونظير الآية ما سبق
في سورة الكهف ولئن رددت الى
ربي لأجدنّ خيرا منها منقلبا فلا جرم
خيب الله أمله وعكس ما تصوره
بقوله (فلننبئن) وحين حكى قول
الكافر أخبر عن أفعاله بقوله (واذا
أنعمنا على الانسان أعرض ونأى
بجانبه) أي تعظم وتجبر وقد سلف
في سبحان واستعير العرض لكثرة
الدعاء ودوامه وقد يستعار الطول
لكثرة الدعاء ودوامه أيضا وان لم يكن
الشيء ذا جرم كما استعير الغلظ لشدة
العذاب فان قيل كيف قال أولا

فى القربى قال هى قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن عمارة الأسدى ومحمد ابن خلف قالا ثنا عبيدالله قال أخبرنا اسرائيل عن أبى اسحق قال سألت عمرو بن شعيب عن قول الله عز وجل قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى قال قربى النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل معنى ذلك قل لا أسألكم أيها الناس على ماجئتكم به أجرا إلا أن تودّدوا الى الله وتتقربوا بالعمل الصالح والطاعة ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود ومحمد بن داود أخوه أيضا قالا ثنا عاصم بن على قال ثنا قزعة بن سويد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قل لا أسألكم على ما أتيتكم به من البينات والهدى أجرا إلا أن تودّدوا لله وتتقربوا اليه بطاعته حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن أنه قال فى هذه الآية قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى قال القربى الى الله حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى قال الا التقرب الى الله والتودّد اليه بالعمل الصالح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى قل لا أسألكم على ماجئتكم به وعلى هذا الكتاب أجرا إلا المودّة فى القربى الا أن تودّدوا الى الله بما يقربكم اليه وعمل بطاعته * قال بشر قال يزيد وحدثنيه يونس عن الحسن حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى إلا أن تودّدوا الى الله فيما يقربكم اليه * وقال آخرون بل معنى ذلك الا أن تصلوا قرابتكم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عبد الله بن القاسم فى قوله إلا المودّة فى القربى قال أمرت أن تصل قرابتك * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال معناه قل لا أسألكم عليه أجرا يا معشر قريش إلا أن تودّونى فى قرابتى منكم وتصلوا الرحم التى بينى وبينكم وانما قلت هذا التأويل أولى بتأويل الآية لدخول فى فى قوله إلا المودّة فى القربى ولو كان معنى ذلك على ماقاله من قال الا أن تودّوا قرابتى أو تقربوا الى الله لم يكن لدخول فى فى الكلام فى هذا الموضع وجه معروف ولكان التنزيل الا مودّة القربى ان عنى به الامر بمودّة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إلا المودّة بالقربى أو ذا القربى ان عنى به التودّد والتقرب وفى دخول فى فى الكلام أوضح الدليل على أن معناه إلا مودّتى فى قرابتى منكم وأن الألف واللام فى المودّة أدخلتا بدلا من الاضافة كما قيل فان الجنة هى المأوى وقوله إلا فى هذا الموضع استثناء منقطع ومعنى الكلام قل لا أسألكم عليه أجرا لكنى أسألكم المودّة فى القربى فالمودّة منصوبة على المعنى الذى ذكرت وقد كان بعض نحويى البصرة يقول هى منصوبة بمضمر من الفعل بمعنى إلا أن أذكر مودّة قرابتى وقوله ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا يقول تعالى ذكره ومن يعمل حسنة وذلك أن يعمل عملا يطيع الله فيه من المؤمنين نزد له فيها حسنا يقول نضاعف عمله ذلك الحسن فنجعل له مكان الواحد عشرا الى ماشئنا من الجزاء والثواب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قول الله عز وجل ومن يقترف حسنة قال يعمل حسنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال من يعمل خيرا نزد له الاقتراف العمل وقوله ان الله غفور شكور يقول ان الله غفور لذنوب عباده شكور لحسناتهم وطاعتهم اياه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا

فيؤس قنوط ثم قال (فذو دعاء عريض) قلنا أراد أنه يؤس بالقلب دعاء باللسان أو قنوط من الصنم دعاء لله أو الأول فى قوم والثانى فى آخرين ولماذ كر مرات فى السورة مبالغة الكفار فى العداوة والنفرة من اتباع الرسول والقرآن أرشدهم الى طريق أحوط مما هم فيه فقال (قل أرأيتم) الآية وتقريره أنكم كما سمعتم القرآن أعرضتم عنه ثم كفرتم به حتى قلتم قلوبنا فى أكنة لاتسمعوا لهذا القرآن ومن المعلوم أن هذا ليس ببديهى فقبل الدليل يحتمل أن يكون صحيحا وحينئذ يلزم أن يكون بعدم قبوله العقاب الابدى وقوله (ممن هو فى شقاق بعيد) من وضع الظاهر مقام المضمر وهو منكم بيانا لبعد شوطهم فى الشقاق والخلاف قاله فى الكشاف وأقول جواب الشرط بالحقيقة محذوف وهو قوله مثلا فمن أضل منكم وانما قال فى الأحقاف وكفرتم بالواو لان معناه فى السورة كان عاقبة أمركم بعد الامهال للنظر الكفر فحسن دخول ثم مع أنها تفيد التراخى فى الرتبة وهناك عطف عليه قوله وشهد شاهد فلم يحسن الا الواو ثم بين أن الاسلام يعلو ولا يعلى وأن الغلبة والنصرة تكون لذويه فقال (سنريهم آياتنا فى الآفاق) وهى الفتوح الواقعة على ايدى الخلفاء الراشدين والتى ستقع على أيدى أنصار دينه الى يوم القيامة (وفى أنفسهم) وهى فتح مكة وسائر الفتوح التى وجدت فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم (حتى يتبين لهم أنه) أى محمدا أو القرآن أو الدين (الحق) ووجه التبين أن هذا اخبار

سعيد عن قتادة ان الله غفور للذنوب شكور للحسنات يضاعفها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان الله غفور شكور قال غفر لهم الذنوب وشكر لهم نعماً هو أعطاهم اياها وجعلها فيهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك و يمح الله الباطل و يحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور﴾ يقول تعالى ذكره أم يقول هؤلاء المشركون بالله افترى محمد على الله كذبا فجاء بهذا الذى يتلوه علينا اختلاقا من قبل نفسه وقوله فان يشأ الله يا محمد يطبع على قلبك فتنس هذا القرآن الذى أنزل اليك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك فينسيك القرآن حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله فان يشأ الله يختم على قلبك قال ان يشأ أنساك ما قد أتاك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله الله عز وجل فان يشأ الله يختم على قلبك قال يطبع وقوله و يمح الله الباطل يقول و يذهب الله بالباطل فيمحقه و يحق الحق بكلماته التى أنزلها اليك يا محمد فيثبته وقوله و يمح الله الباطل فى موضع رفع بالابتداء ولكنه حذفت منه الواو فى المصحف كما حذفت من قوله سندع الزبانية ومن قوله و يدع الانسان بالشر وليس بجزم على العطف على يختم وقوله انه عليم بذات الصدور يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بما فى صدور خلقه وما تنطوى عليه ضمائرهم لا يخفى عليه من أمورهم شئ يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم لو حدثت نفسك أن تفترى على الله كذبا لطبعت على قلبك وأذهبت الذى آتيتك من وحيى لأنى أمحو الباطل فأذهبه وأحق الحق وانما هذا اخبار من الله الكافرين به الزاعمين أن محمدا افترى هذا القرآن من قبل نفسه فأخبرهم أنه ان فعل لفعل به ما أخبر به فى هذه الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده و يعفوا عن السيئات و يعلم ما تفعلون﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى يقبل مراجعة العبد اذا راجع توحيد الله وطاعته من بعد كفره و يعفو عن السيئات يقول و يعفو له أن يعاقبه على سيئاته من الأعمال وهى معاصيه التى تاب منها و يعلم ما تفعلون اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة يفعلون بالياء بمعنى و يعلم ما يفعل عباده وقرأته عامة قراء الكوفة تفعلون بالتاء على وجه الخطاب * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن الياء أعجب الى لأن الكلام من قبل ذلك جرى على الخبر وذلك قوله وهو الذى يقبل التوبة عن عباده و يعنى جل ثناؤه بقوله و يعلم ما يفعلون و يعلم ربكم أيها الناس ما تفعلون من خير وشر لا يخفى عليه من ذلك شئ وهو مجازيكم على كل ذلك جزاءه فاتقوا الله فى أنفسكم واحذروا أن تركبوا ما تستحقون به منه العقوبة حدثنا تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق بن يوسف عن شريك عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم النخعى عن همام بن الحرث قال أتينا عبد الله نسأله عن هذه الآية وهو الذى يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيئات و يعلم ما تفعلون قال فوجدنا عنده أناسا أو رجالا يسألونه عن رجل أصاب من امرأة حراما ثم تزوجها فتلا هذه الآية وهو الذى يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيئات و يعلم ما تفعلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿و يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات و يزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد﴾ يقول تعالى ذكره و يجيب الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله به وانتهوا عما نهاهم عنه لبعضهم دعاء بعض ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر

عن الغيب فاذا وقع مطابقا دل على صدق المخبر بل اعجازه وواحد الآفاق أفق وهو الناحية من نواحى الارض والسماء وعند المحققين الآيات الآفاقية هى الخارجة عن حقيقة الانسان وبدنه كالأفلاك والكواكب والظلم والانوار والعناصر والمواليد سواه ولا ريب أن العجائب المودعة فى هذه الأشياء مما لا نهاية لها وانما يوقف عليها حينا بعد حين وقد أكثر الله تعالى من تقرير تلك الدلائل فى القرآن بعضها فى السور المكيات وكثير منها فى المدنيات والآيات النفسية هى التى أودعها فى تركيب الانسان وفى ربط روحه العلوى ببدنه السفلى كقوله وفى أنفسكم أفلا تبصرون وفى قوله سنريهم دلالة على أن رؤية الأدلة انما تكون باراءة الله قال جار الله معنى قوله (أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) هو أن هذه الآيات الموعودة تكفيهم دلالة على أن القرآن منزل من عالم الغيب المطلع على كل شئ وقال حكماء الاسلام أراد بقوله أولم يكف توبيخ من ليس له رتبة الاستدلال بنفس الوجود على واجب الوجود فان هذا هو طريقة الصديقين وأما غيرهم فانهم يستدلون بالممكن على الواجب فيفتقرون الى النظر فى الآفاق وقال أهل المعرفة النظر فى الآفاق لأجل العوام والانفس للخواص وقوله أولم يكف لخواص الخواص وقيل أولم يكف الانسان من الزاجر والرادع عن المعاصى كون الله شهيدا عليهم وقيل أراد أنه لا يخلف ما وعد لاطلاعه على الاشياء كلها ثم ختم السورة

ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام قال ثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن سلمة بن سبرة قال خطبنا معاذ فقال أنتم المؤمنون وأنتم أهل الجنة والله انى لأرجو أن من تصيبون من فارس والروم يدخلون الجنة ذلك بأن أحدهم اذا عمل لأحدكم العمل قال أحسنت رحمك الله أحسنت غفر الله لك ثم قرأ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وقوله ويزيدهم من فضله يقول تعالى ذكره ويزيد الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع اجابته اياهم دعاءهم واعطائه اياهم مسئلتهم من فضله على مسئلتهم اياه بأن يعطيهم مالم يسألوه وقيل ان ذلك الفضل الذى ضمن جل ثناؤه أن يزيدهموه هو أن يشفعهم فى اخوان اخوانهم اذا هم شفعوا فى اخوانهم فشفعوا فيهم ذكر من قال ذلك حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابى قال ثنا عمرو ابن أبى سلمة عن سعيد بن بشير عن قتادة عن ابراهيم النخعى فى قول الله عز وجل ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال يشفعون فى اخوانهم ويزيدهم من فضله قال يشفعون فى اخوان اخوانهم وقوله والكافرون لهم عذاب شديد يقول جل ثناؤه والكافرون بالله لهم يوم القيامة عذاب شديد على كفرهم به واختلف أهل العربية فى معنى قوله ويستجيب الذين آمنوا فقال بعضهم أى استجاب بجعلهم هم الفاعلين فالذين فى قوله رفع والفعل لهم وتأويل الكلام على هذا المذهب واستجاب الذين آمنوا وعملوا الصالحات لربهم الى الايمان به والعمل بطاعته اذ دعاهم الى ذلك * وقال آخر منهم بل معنى ذلك ويجيب الذين آمنوا وهذا القول يحتمل وجهين أحدهما الرفع بمعنى ويجيب الله الذين آمنوا والآخر ما قاله صاحب القول الذى ذكرنا وقال بعض نحويى الكوفة ويستجيب الذين آمنوا يكون الذين فى موضع نصب بمعنى ويجيب الله الذين آمنوا وقد جاء فى التنزيل فاستجاب لهم ربهم والمعنى فأجاب لهم ربهم الا أنك اذا قلت استجاب أدخلت اللام فى المفعول واذا قلت أجاب حذفت اللام ويكون استجابهم بمعنى استجاب لهم كما قال جل ثناؤه واذا كالوهم أو وزنوهم والمعنى والله أعلم واذا كالوا لهم أو وزنوا لهم يخسرون قال ويكون الذين فى موضع رفع ان يجعل الفعل لهم أى الذين آمنوا يستجيبون لله ويزيدهم على اجابتهم والتصديق به من فضله وقد بينا الصواب فى ذلك من القول على ما تأوله معاذ ومن ذكرنا قوله فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل قوم من أهل الفاقة من المسلمين تمنوا سعة الدنيا والغنى فقال جل ثناؤه ولو بسط الله الرزق لعباده فوسعه وكثره عندهم لبغوا فتجاوزوا الحد الذى حده الله لهم الى غير الذى حده لهم فى بلاده بركوبهم فى الارض ما حظره عليهم ولكنه ينزل رزقهم بقدر لكفايتهم الذى يشاء منه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال أبو هانئ سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون انما أنزلت هذه الآية فى أصحاب الصفة ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء ذلك بأنهم قالوا لو أن لنا فتمنوا حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا أبو عبد الرحمن المقرى قال ثنا حيوة قال أخبرنى أبو هانئ أنه سمع عمرو بن حريث يقول انما نزلت هذه الآية ثم ذكر مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض الآية قال كان يقال خير الرزق ما لا يطغيك ولا يلهيك وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف على أمتى زهرة الدنيا وكثرتها فقال له قائل يا نبى الله هل يأتى الخير بالشر فقال النبى صلى الله عليه وسلم هل يأتى الخير بالشر فأنزل الله عليه عند ذلك وكان اذا نزل عليه كرب

بتوبيخ الشاكين فى أمر البعث وبالنعى عليهم وأوعدهم بأنه عالم بكل شئ فيجازى كلا على حسب ما يستحقه والله أعلم

﴿سورة حمعسق وهى مكية الا أربع آيات قل لا أسألكم عليه أجرا الى آخرهن حروفها ثلاثة آلاف وثمانية وثمانون كلمها ثمانمائة وست وستون آياتها ثلاث وخمسون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم عسق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض ألا ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شئ عليم شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا

والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان ومايدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا ان الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات

لذلك وتربّد وجهه حتى اذا سرّى عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال هل يأتى الخير بالشر يقولها ثلاثا ان الخير لا يأتى الا بالخير يقولها ثلاثا وكان صلى الله عليه وسلم وترالكلام ولكنه والله ما كان ربيع قط الا أحبط أو ألم فأما عبد أعطاه الله مالا فوضعه فى سبيل الله التى افترض وارتضى فذلك عبد أريد به خير وعزم له على الخير وأما عبد أعطاه الله مالا فوضعه فى شهواته ولذاته وعدل عن حق الله عليه فذلك عبد أريد به شر وعزم له على شر وقوله انه بعباده خبير بصير يقول تعالى ذكره ان الله بما يصلح عباده ويفسدهم من غنى وفقر وسعة واقتار وغير ذلك من مصالحهم ومضارهم ذو خبرة وعلم بصير بتدبيرهم وصرفهم فيما فيه صلاحهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الولىّ الحميد﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى ينزل المطر من السماء فيغيثكم به أيها الناس من بعد ماقنطوا يقول من بعد ما يئس من نزوله ومجيئه وينشر رحمته يقول وينشر فى خلقه رحمته ويعنى بالرحمة الغيث الذى ينزله من السماء * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أنه قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه أجدبت الأرض وقنط الناس قال مطروا اذا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من بعد ماقنطوا قال يئسوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين قحط المطر وقنط الناس قال مطرتم وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وقوله وهو الولىّ الحميد يقول وهو الذى يليكم باحسانه وفضله الحميد بأياديه عندكم ونعمه عليكم فى خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض ومابث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير﴾ يقول تعالى ذكره ومن حججه عليكم أيها الناس أنه القادر على احيائكم بعد فنائكم وبعثكم من قبوركم من بعد بلائكم خلقه السموات والارض ومابث فيهما من دابة يعنى وما فرق فى السموات والأرض من دابة كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ومابث فيهما من دابة قال الناس والملائكة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير يقول وهو على جمع مابث فيهما من دابة اذا شاء جمعه ذو قدرة لا يتعذر عليه كما لم يتعذر عليه خلقه وتفريقه يقول تعالى ذكره فكذلك هو القادر على جمع خلقه بحشر يوم القيامة بعد تفرق أوصالهم فى القبور ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير وما أنتم بمعجزين فى الارض ومالكم من دون الله من ولىّ ولا نصير﴾ يقول تعالى ذكره وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة فى الدنيا فى أنفسكم وأهليكم وأموالكم فبما كسبت أيديكم يقول فانما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترمتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم ويعفو لكم ربكم عن كثير من أجرامكم فلا يعاقبكم بها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب قال قرأت فى كتاب أبى قلابة قال نزلت فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره وأبو بكر رضى الله عنه يأكل فأمسك فقال يا رسول الله انى لراء ما عملت من خير أو شر فقال أرأيت ما رأيت مما تكره فهو من مثاقيل ذرّ الشر وتدخر مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة قال قال أبو ادريس فأرى مصداقها فى كتاب الله

قال

قال وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير * قال أبو جعفر حدث هذا الحديث الهيثم بن الربيع فقال فيه أيوب عن أبي قلابة عن أنس أن أبا بكر رضي الله عنه كان جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وهو غلط والصواب عن أبي ادريس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم الآية ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا يصيب ابن آدم خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو عنه أكثر حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت الآية قال يعجل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم ولا يؤاخذون بها في الآخرة * وقال آخرون بل عني بذلك وما عوقبتم في الدنيا من عقوبة بحد حددتموه على ذنب استوجبتموه عليه فبما كسبت أيديكم يقول فبما عملتم من معصية الله ويعفو عن كثير فلا يوجب عليكم فيها حداً ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن وما أصابكم من مصيبة الآية قال هذا في الحدود وقال قتادة بلغنا أنه ما من رجل يصيبه عثرة قدم ولا خدش عود أو كذا وكذا الا بذنب أو يعفو وما يعفو أكثر وقوله وما أنتم بمعجزين في الأرض يقول وما أنتم أيها الناس بمفيتي ربكم بأنفسكم اذا أراد عقوبتكم على ذنوبكم التي أذنبتموها ومعصيتكم اياه التي ركبتموها هرباً في الأرض فمعجزيه حتى لا يقدر عليكم ولكنكم حيث كنتم في سلطانه وقبضته جارية فيكم مشيئته وما لكم من دون الله من ولي يليكم بالدفاع عنكم اذا أراد عقوبتكم على معصيتكم اياه ولا نصير يقول ولا لكم من دونه نصير ينصركم اذا هو عاقبكم فينتصر لكم منه فاحذروا أيها الناس معاصيه واتقوه أن تخالفوه فيما أمركم أو نهاكم فانه لا دافع لعقوبته عمن أحلها به * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ يقول تعالى ذكره ومن حجج الله أيها الناس عليكم بأنه القادر على كل ما يشاء وأنه لا يتعذر عليه فعل شيء أراده السفن الجارية في البحر والجواري جمع جارية وهي السائرة في البحر كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الجواري في البحر قال السفن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ومن آياته الجواري في البحر قال الجواري السفن وقوله كالأعلام يعني كالجبال واحدها علم ومنه قول الشاعر

* كأنه علم في رأسه نار * يعني جبل وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كالأعلام قال كالجبال حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال الأعلام الجبال وقوله ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره يقول تعالى ذكره ان يشأ الله الذي قد أجرى هذه السفن في البحر أن لا تجري فيه أسكن الريح التي تجري بها فيه فثبتن في موضع واحد ووقفن على ظهر الماء لا تجري فتتقدم ولا تتأخر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن آياته الجواري في البحر كالأعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره سفن هذا البحر تجري بالريح فاذا أمسكت عنها الريح ركدت قال الله عز وجل ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور حدثنا محمد قال ثنا أحمد

قل لا أسئلكم عليه أجراً الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ان الله غفور شكور ﴾ * القراآت يوحى على البناء للمفعول ابن كثير وعباس يكاد بالياء التحتانية نافع وعلي تنفطرن بالنون أبو عمرو وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد والمفضل ابراهام كنظائره يبشر الله مخففاً من البشارة ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وعلي * الوقوف حم عسق كوفي من قبلك ط لمن قرأ يوحى مجهولاً كأنه قيل من الموحي فقال الله أي هو الله الحكيم ه في الأرض ط العظيم ه لمن في الأرض ط الرحيم ه عليهم ز والوصل أوجه لأن نفي ما بعده تقرير لاثبات ما قبله بوكيل ه لا ريب فيه ط السعير ه رحمته ط نصير ه أولياء ج للفصل بين الاستخبار والاخبار مع دخول الفاء الموتى ط فصلاً بين المقدور المخصوص وبين القدرة على العموم مع اتفاق الجملتين قدير ه الى الله ط أنيب ه والأرض ط ازواجاً الثاني ط لان ضمير فيه يحتمل أن يعود الى الازدواج الذي في مدلول الأزواج أو الى التدبير وان لم يسبق ذكره فيه ط شيء ج لعطف الجملتين المختلفتين البصير ه والأرض ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال والعامل معنى الفعل في له أو في الملك ويقدر ط عليم ه فيه ط اليه ط ينيب ه بينهم ط كذلك ما بعده ط مريب ه فادع ج كما أمرت ج أهواءهم ج كتاب ج كل ذلك للترتيل في القراءة وان اتفقت الجملتان بينكم ط وربكم ط أعمالكم ط وبينكم ط بيننا ج

قال ثنا أسباط عن السدى إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره لا تجرى حدثنى
على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فيظللن رواكد على
ظهره يقول وقوفا وقوله ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور يقول ان فى جرى هذه الجوارى
فى البحر بقدرة الله لعظة وعبرة وحجة بينة على قدرة الله على ما يشاء لكل ذى صبر على طاعة الله
شكور لنعمه وأياديه عنده ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أو يوبقهن بما كسبوا و يعف
عن كثير و يعلم الذين يجادلون فى آياتنا ما لهم من محيص فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا
وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ يقول تعالى ذكره أو يوبق هذه
الجوارى فى البحر بما كسبت ركبانها من الذنوب واجترموا من الآثام وجزم يوبقهن عطفا على
يسكن الريح ومعنى الكلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره أو يوبقهن و يعنى بقوله
أو يوبقهن أو يهلكهن بالغرق * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله أو يوبقهن يقول
يهلكهن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أو يوبقهن أو يهلكهن حدثنا
محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أو يوبقهن قال يغرقهن بما كسبوا
* و بنحو الذى قلنا فى قوله بما كسبوا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو يوبقهن بما كسبوا أى بذنوب أهلها حدثنا
ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أو يوبقهن بما كسبوا قال بذنوب أهلها
حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو يوبقهن بما كسبوا قال
يوبقهن بما كسبت أصحابهن وقوله و يعف عن كثير يقول و يصفح تعالى ذكره عن كثير
من ذنوبكم فلا يعاقب عليها وقوله و يعلم الذين يجادلون فى آياتنا يقول جل ثناؤه و يعلم الذين
يخاصمون رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من المشركين فى آياته وعبره وأدلته على توحيده
واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة و يعلم الذين رفعا على الاستئناف كما قال
فى سورة براءة و يتوب الله على من يشاء وقرأته قراء الكوفة والبصرة و يعلم الذين نصبا كما قال فى
سورة آل عمران و يعلم الصابرين على الصرف وكما قال النابغة

فان يهلك أبو قابوس يهلك * ربيع الناس والشهر الحرام
ونمسك بعده بذناب عيش * أجب الظهر ليس له سنام

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان متقاربتا المعنى فبأيتهما
قرأ القارئ فمصيب وقوله ما لهم من محيص يقول تعالى ذكره ما لهم من محيد من عقاب الله اذا
عاقبهم على ذنوبهم وكفرهم به ولا لهم منه ملجأ * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر
من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله ما لهم من محيص
ما لهم من ملجا وقوله فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا يقول تعالى ذكره فما أعطيتم أيها
الناس من شئ من رياش الدنيا من المال والبنين فمتاع الحياة الدنيا يقول تعالى ذكره فهو متاع لكم
تتمتعون به فى الحياة الدنيا وليس من دار الآخرة ولا مما ينفعكم فى معادكم وما عند الله خير وأبقى
يقول تعالى ذكره والذى عند الله لأهل طاعته والايمان به فى الآخرة خير مما أوتيتموه فى الدنيا
من متاعها وأبقى لأن ما أوتيتم فى الدنيا فان نافد وما عند الله من النعيم فى جنانه لأهل طاعته باق غير

المصير ه شديد ه والميزان ط
قريب ه بها ج لعطف الجملتين
المختلفتين منها ج للعطف أو الحال
الحق ط بعيد ه من يشاء ج
لاحتمال عطف وهو على جملة قوله
الله لطيف وهما متفقتان العزيز ه
فى حرثه ج لعطف جملتى الشرط
نصيب ه به الله ط بينهم ط أليم
ه بهم ط الجنات ط لاحتمال
ما بعده الاستئناف والحال ربهم
ط الكبير ه الصالحات ط
فى القربى ط حسنا ط شكور ه
﴿ التفسير الكلام فى حم كما سبق
وأما عسق فقد قيل انه مع حم اسم
للسورة وقيل رموز الى فتن كان على
يعرفها وقيل الحاء حكم الله والميم
ملكه والعين علمه والسين سناؤه
والقاف قدرته وقيل الحاء حرب
على ومعاوية والميم ولاية المروانية
والعين ولاية العباسية والسين ولاية
السفيانية والقاف قدرة المهدى
وهذه الأقاويل مما لا معول عليها
وقال أهل التصوف حاء حبه وميم
محبوبية محمد وعين عشقه وقاف
قربه الى سيده أقسم أنه يوحى اليه
والى سائر الأنبياء من قبله أنه محبوبه
فى الأزل و بتبعيته خلق الكائنات
والأولى تفويض علمها الى الله
كسائر الفواتح وانما فصل حم من
عسق حتى عدا آيتين خلاف
كهيعص لتقدم حم قبله واستقلالها
بنفسها ولأن جميعها ذكر الكتاب
بعدها صريحا الا هذه فانها دلت
عليه دلالة التضمن بذكر الوحى
الذى يرجع الى الكتاب روى عن
ابن عباس أنه لا نبى صاحب كتاب
الا أوحى الله اليه حم عسق والله أعلم
بصحة هذه الرواية والأظهر أن يقال

نافد للذين آمنوا يقول وماعند الله للذين آمنوا به وعليه يتوكلون فى أمورهم واليه يقومون فى أسبابهم وبه يثقون خير وأبقى مما أوتيتموه من متاع الحياة الدنيا ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ يقول تعالى ذكره وماعند الله للذين آمنوا والذين يجتنبون كبائر الاثم وكبائر فواحش الاثم قد بينا اختلاف أهل التأويل فيها وبينا الصواب من القول عندنا فيها فى سورة النساء فأغنى ذلك عن اعادته ههنا والفواحش قيل انها الزنا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى والفواحش قال الفواحش الزنا * واختلفت القراء فى قراءة قوله كبائر الاثم فقرأته عامة قراء المدينة على الجماع كذلك فى النجم وقرأته عامة قراء الكوفة كبير الاثم على التوحيد فيهما جميعا وكأن من قرأ ذلك كذلك عنى بكبير الاثم الشرك كما كان الفراء يقول كأنى أستحب لمن قرأ كبائر الاثم أن يخفض الفواحش لتكون الكبائر مضافة الى مجموع اذ كانت جمعا وقال ماسمعت أحدا من القراء خفض الفواحش والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء على تقارب معنييهما فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله واذا ما غضبوا هم يغفرون يقول تعالى ذكره واذا ما غضبوا على من اجترم اليهم جرما هم يغفرون لمن أجرم اليهم الجرم ذنبه ويصفحون عنه عقوبة ذنبه وقوله والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة يقول تعالى ذكره والذين أجابوا لربهم حين دعاهم الى توحيده والاقرار بوحدانيته والبراءة من عبادة كل ما يعبد دونه وأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها فى أوقاتها وأمرهم شورى بينهم يقول واذا حزبهم أمر تشاوروا بينهم ومما رزقناهم ينفقون يقول ومن الأموال التى رزقناهم ينفقون فى سبيل الله ويؤدون ما فرض عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة على من تجب عليه نفقته وكان ابن زيد يقول عنى بقوله والذين استجابوا لربهم الآية الأنصار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقرأ والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون قال فبدأ بهم والذين استجابوا لربهم الانصار وأقاموا الصلاة وليس فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم شورى بينهم ليس فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره والذين اذا بغى عليهم باغ واعتدى عليهم هم ينتصرون ثم اختلف أهل التأويل فى الباغى الذى حمد تعالى ذكره المنتصر منه بعد بغيه عليه فقال بعضهم هو المشرك اذا بغى على المسلم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنى ابن وهب قال قال ابن زيد ذكر المهاجرين صنفين صنفا عفا وصنفا انتصر وقرأ والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون قال فبدأ بهم والذين استجابوا لربهم الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وهم الانصار ثم ذكر الصنف الثالث فقال والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون من المشركين * وقال آخرون بل هو كل باغ بغى فحمد المنتصر منه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون قال ينتصرون ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا وهذا القول الثانى أولى فى ذلك بالصواب لأن الله لم يخصص من ذلك معنى دون معنى بل حمد كل منتصر بحق ممن بغى عليه فان قال قائل وما فى الانتصار من المدح قيل ان فى اقامة الظالم على سبيل الحق وعقوبته بما هو له أهل تقويم له

مثل الكتاب المسمى بحم عسق يوحى الله اليك والى الأنبياء قبلك والمراد المماثلة فى أصول الدين كالتوحيد والعدل والنبوّة والمعاد وتقبيح أحوال الدنيا والترغيب فى الآخرة كقوله ان هذا لفى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى وفى ورود لفظ يوحى مستقبلا لا ماضيا اشارة الى أن ايحاء مثله عادته ثم بين سعة ملكه وأخبر عن غاية جلاله بقوله (له ما فى السموات) الخ ثم أخبر عن فظاعة ما ارتكبه أهل الشرك فقال (تكاد السموات يتفطرن) وقد سبق فى آخر سورة مريم ومعنى (من فوقهن) أن الانفطار يبتدئ من أعلى السموات أو ما فوقها من العرش والكرسى الى أن ينتهى الى السفلى وفى الابتداء من جهة الفوق زيادة تفظيع وتهويل قال جار الله كأنه قيل يتفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن وقيل معناه من الجهة التى حصلت هذه السموات فيها وفيه ضعف لانه كقول القائل السماء فوقنا وقيل الضمير للارض وقد تقدم ذكرها أى من فوق الأرضين وروى عكرمة عن ابن عباس يتفطرن من ثقل الرحمن فان صحت الرواية كان فى الظاهر دليل المجسمة ولأهل السنة أن يتأولوا الثقل بالهيبة والجلال أو يقدروا مضافا محذوفا أى من ثقل ملائكة الرحمن كقوله صلى الله عليه وسلم أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع شبر الا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد ثم انتقل من وصف الجسمانيات الى ذكر الروحانيات وأنهم بالوجه الذى لهم الى عالم الأرواح يسبحون

وفى ذلك أعظم المدح وقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقد بينا فيما مضى معنى ذلك وأن معناه وجزاء سيئة المسىء عقوبته بما أوجبه الله عليه فهى وان كانت عقوبة من الله أوجبها عليه فهى مساءة له والسيئة انما هى الفعلة من السوء وذلك نظير قول الله عز وجل ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقد قيل ان معنى ذلك أن يجاب القائل الكلمة القزعة بمثلها ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال قال لى أبو بشر سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها قال يقول أخزاه الله فيقول أخزاه الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها قال اذا شتمك بشتيمة فاشتمه مثلها من غير أن تعتدى وكان ابن زيد يقول فى ذلك بما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون من المشركين وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح الآية ليس أمركم أن تعفوا عنهم لانه أحبهم ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ثم نسخ هذا كله وأمره بالجهاد فعلى قول ابن زيد هذا تأويل الكلام وجزاء سيئة من المشركين اليكم سيئة مثلها منكم اليهم وان عفوتم وأصلحتم فى العفو فأجركم فى عفوكم عنهم الى الله انه لا يحب الكافرين وهذا على قوله كقول الله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله وللذى قال من ذلك وجه غير أن الصواب عندنا أن تحمل الآية على الظاهر ما لم ينقله الى الباطن ما يجب التسليم له وأن لا يحكم لحكم فى آية بالنسخ الا بخبر يقطع العذر أو حجة يجب التسليم لها ولم تثبت حجة فى قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أنه مراد به المشركون دون المسلمين ولا بأن هذه الآية منسوخة فنسلم لها بأن ذلك كذلك وقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله يقول جل ثناؤه فمن عفا عمن أساء اليه اساءته اليه فغفرها له ولم يعاقبه بها وهو على عقوبته عليها قادر ابتغاء وجه الله فأجر عفوه ذلك على الله والله مثيبه عليه ثوابه انه لا يحب الظالمين يقول ان الله لا يحب أهل الظلم الذين يتعدون على الناس فيسيئون اليهم بغير ما أذن الله لهم فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره ولمن انتصر ممن ظلمه من بعد ظلمه اياه فأولئك ما عليهم من سبيل يقول فأولئك المنتصرون منهم لا سبيل للمنتصر منهم عليهم بعقوبة ولا أذى لانهم انتصروا منهم بحق ومن أخذ حقه ممن وجب ذلك له عليه ولم يتعد لم يظلم فيكون عليه سبيل وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بذلك فقال بعضهم عنى به كل منتصر ممن أساء اليه مسلما كان المسىء أو كافرا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا معاذ قال ثنا ابن عون قال كنت أسأل عن الانتصار ولمن انتصر بعد ظلمه الآية فحدثنى على ابن زيد بن جدعان عن أم محمد امرأة أبيه قال ابن عون زعموا أنها كانت تدخل على أم المؤمنين قالت قالت أم المؤمنين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا زينب بنت جحش فجعل يصنع بيده شيأ ولم يفطن لها فقلت بيده حتى فطنته لها فأمسك وأقبلت زينب تقحم لعائشة فنهاها فأبت أن تنتهى فقال لعائشة سبيها فسبتها وغلبتها وانطلقت زينب فأتت عليا فقالت ان عائشة تقع بكم وتفعل بكم فجاءت فاطمة فقال لها انها حبة أبيك ورب الكعبة فانصرفت وقالت لعلى انى قلت له كذا وكذا فقال كذا وكذا قال وجاء على الى النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فى ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولمن انتصر بعد ظلمه الآية قال هذا فى الخمش يكون بين الناس حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله

ولمن

وبالوجه الذى لهم الى عالم الأجسام يستغفرون فقال (والملائكة) قيل هو عام وقيل حملة العرش كما مر فى أول سورة المؤمن الا أنه عمم ههنا فقال (لمن فى الأرض) أى يطلبون أن لا يعاجل الله أهل الأرض بالعذاب طمعا فى توبة الكفار والفساق منهم وقيل هو مخصوص بما مر أى يستغفرون للمؤمنين منهم ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن المشركين انما يحاسبهم الله وما عليك الا البلاغ قوله (وكذلك أوحينا) قال ابن بحر هو الكلام الأول أعيد لما اعترض بين الكلامين ما اعترض وقال جار الله الكاف مفعول به لأوحينا وذلك اشارة الى المذكور قبله من أن الله هو عليهم الرقيب وما أنت عليهم برقيب وقد كرر الله هذا المعنى فى كتابه فى مواضع و(قرآنا عربيا) حال والمعنى مثل ذلك المذكور أوحينا اليك وهو قرآن عربى بين لا لبس فيه ليفهم معناه ولا يتجاوز حد الانذار ويجوز أن يكون ذلك اشارة الى الايحاء أى كما أوحينا الى الرسل قبلك أوحينا اليك فيجوز أن تكون المماثلة بالحروف المفردة وأن تكون بأصول الدين كما مر قال أهل اللغة يقال أنذرته كذا وبكذا فمن الاستعمال الثانى قوله (لتنذر أم القرى) أى أهل مكة على حذف المضاف والمفعول الثانى وهو القرآن محذوف ومن الاستعمال الاول قوله (وتنذر يوم الجمع) والمفعول الاول محذوف وتنذر الناس يوما تجمع فيه الخلائق أو يجمع فيه بين الارواح والاجساد أو بين كل عامل وعمله قلت ومن الجائز أن يكون الكل من الاستعمال

ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل قال هذا فيما يكون بين الناس من القصاص فأما لو ظلمك رجل لم يحل لك أن تظلمه * وقال آخرون بل عنى به الانتصار من أهل الشرك وقال هذا منسوخ ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل قال لمن انتصر بعد ظلمه من المؤمنين انتصر من المشركين وهذا قد نسخ وليس هذا في أهل الاسلام ولكن في أهل الاسلام الذي قال الله تبارك وتعالى ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم * والصواب من القول أن يقال انه معنيّ به كل منتصر من ظالمه وأن الآية محكمة غير منسوخة للعلة التي بينت في الآية قبلها وقوله انما السبيل على الذين يظلمون الناس يقول تبارك وتعالى انما الطريق لكم أيها الناس على الذين يتعدّون على الناس ظلما وعدوانا بأن يعاقبوهم بظلمهم لا على من انتصر ممن ظلمه فأخذ منه حقه وقوله و يبغون في الارض بغير الحق يقول و يتجاوزون في أرض الله الحدّ الذي أباح لهم ربهم الى ما لم يأذن لهم فيه فيفسدون فيها بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم يقول فهؤلاء الذين يظلمون الناس و يبغون في الارض بغير الحق لهم عذاب من الله يوم القيامة في جهنم مؤلم موجع

ﷺ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الامور ومن يضلل الله فماله من وليّ من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مردّ من سبيل﴾ يقول تعالى ذكره ولمن صبر على اساءة من أساء اليه وغفر للمسيء اليه جرمه اليه فلم ينتصر منه وهو على الانتصار منه قادر ابتغاء وجه الله و جزيل ثوابه ان ذلك لمن عزم الامور يقول ان صبره ذلك وغفرانه ذنب المسيء اليه لمن عزم الامور التي ندب اليها عباده وعزم عليهم العمل به ومن يضلل الله فماله من وليّ من بعده يقول ومن خذله الله عن الرشاد فليس له من وليّ يليه فيهديه لسبيل الصواب و يسدّده من بعد اضلال الله اياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وترى الكافرين بالله يا محمد يوم القيامة لما عاينوا عذاب الله يقولون لربهم هل لنا يارب الى مردّ من سبيل وذلك كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا الآية استعتب المساكين في غير حين الاستعتاب * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله هل الى مردّ من سبيل يقول الى الدنيا واختلف أهل العربية في وجه دخول ان في قوله ان ذلك لمن عزم الامور مع دخول اللام في قوله ولمن صبر وغفر فكان نحويّ أهل البصرة يقول في ذلك أما اللام التي في قوله ولمن صبر وغفر فلام الابتداء وأما ان ذلك فمعناه والله أعلم ان ذلك منه من عزم الامور وقال قد تقول مررت بالدار الذراع بدرهم أي الذراع منها بدرهم ومررت ببر قفيز بدرهم أي قفيز منه بدرهم قال وأما ابتداء ان في هذا الموضع فمثل قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم يجوز ابتداء الكلام وهذا اذ طال الكلام في هذا الموضع وكان بعضهم يستخطئ هذا القول و يقول ان العرب اذا أدخلت اللام في أوائل الجزاء أجابته بجوابات الأيمان بما ولا وإن واللام قال وهذا من ذلك كما قال لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولنّ الأدبار ثم لا ينصرون فجاء بلا و باللام جوابا للام الاولى قال ولو قال لئن قمت اني لقائم لجاز ولا حاجة به الى العائد لان الجواب في اليمين قد يكون فيه العائد وقد لا يكون ألا ترى أنك تقول لئن قمت لأقومنّ ولا أقوم واني لقائم فلا تأتي بعائد قال وأما قولهم مررت بدار الذراع بدرهم و ببر قفيز بدرهم فلا بدّ من أن يتصل بالاول بالعائد وانما يحذف العائد فيه لان الثاني تبعيض للاول مررت

الاول ولا حذف الا أن قوله وتنذر يكون مكررا للمبالغة والتقدير الاصلي لتنذر أم القرى يوم الجمع وقدمر في القصص في قوله حتى يبعث في أمها أن مكة لم سميت أم القرى وقوله (ومن حولها) يحتمل عموم أطراف الارض لأن مكة في وسطها و يحتمل أن يكون المراد به سائر جزيرة العرب و يدخل باقي الامم بالتبعية أو بنص آخر كقوله وما أرسلناك الا كافة للناس وقوله (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له أو صفة للجمع بناء على أن التعريف الجنسي قريب من النكرة وقوله (فريق) مبتدأ محذوف الخبر أي منهم فريق كذا ومنهم فريق كذا أي هذا مآل حالهم بعد الحشر والاجتماع ثم بين بقوله (ولو شاء الله) الخ أن السعادة والشقاوة والهداية والضلالة متعلق بمشيئته وارادته وهذا على مذهب أهل السنة ظاهر وتأوله المعتزلة بمشيئة القسر والالجاء وقدمر نظائره مرارا والظاهر أن المراد بكونهم أمة واحدة أن يكونوا مسلمين كلهم وقيل أن يكونوا أهل ضلالة قياسا على قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ثم أنكر على أهل الشرك بأم المنقطعة قائلا (أم اتخذوا من دونه أولياء) ان أرادوا أولياء بحق (فالله هو الوليّ) الذي يجب أن يعتقد أنه المولى والسيد لا ولي سواه ومن شأنه أنه (يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير) وهو الحقيق بأن يتخذ وليا وحين منع الرسول صلى الله عليه وسلم من التحزن على من كفر أراد أن يمنع المؤمنين من الاختلاف والتنازع فقال (وما اختلفتم) والتقدير قل يا محمد كذا

ببر بعضه بدرهم و بعضه بدرهم فلما كان المعنى التبعيض حذف العائد   قال وأما ابتداء ان فى كل
موضع اذا طال الكلام فلا يجوز أن تبتدئ الا بمعنى قل ان الموت الذى تفرون منه فانه جواب
للجزاء كأنه قال ما فررتم منه من الموت فهو ملاقيكم   وهذا القول الثانى عندى أولى فى ذلك بالصواب
للعلل التى ذكرناها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى. ﴿ وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل
ينظرون من طرف خفى وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم
القيامة ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم ﴾ يقول تعالى ذكره وترى يا محمد الظالمين يعرضون على النار
خاشعين من الذل يقول خاضعين متذللين كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد الخشوع الخوف والخشية لله عز وجل وقرأ قول الله عز وجل لما رأوا العذاب، الى قوله
خاشعين من الذل قال قد أذلهم الخوف الذى نزل بهم وخشعوا له   حدثنا محمد قال ثنا أحمد
قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله خاشعين قال خاضعين من الذل   وقوله ينظرون من
طرف خفى يقول ينظر هؤلاء الظالمون الى النار حين يعرضون عليها من طرف خفى   واختلف
أهل التأويل فى معنى قوله من طرف خفى فقال بعضهم معناه من طرف ذليل وكأن معنى الكلام
من طرف قد خفى من ذله   ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى
عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل الى قوله
من طرف خفى يعنى بالخفى الذليل حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد
فى قوله عز وجل من طرف خفى قال ذليل * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يسارقون النظر
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ينظرون من
طرف خفى قال يسارقون النظر حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى
من طرف خفى قال يسارقون النظر   واختلف أهل العربية فى ذلك فقال بعض نحويى البصرة
فى ذلك جعل الطرف العين كأنه قال ونظرهم من عين ضعيفة والله أعلم   قال وقال يونس ان من
طرف مثل بطرف كما تقول العرب ضربته فى السيف وضربته بالسيف * وقال آخر منهم انما
قيل من طرف خفى لانه لا يفتح عينيه انما ينظر ببعضها * وقال آخرون منهم انما قيل من
طرف خفى لانهم ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا   والصواب من القول فى ذلك
القول الذى ذكرناه عن ابن عباس ومجاهد وهو أن معناه أنهم ينظرون الى النار من طرف ذليل
وصفه الله جل ثناؤه بالخفاء للذلة التى قد ركبتهم حتى كادت أعينهم أن تغور فتذهب   وقوله
وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة يقول تعالى ذكره وقال
الذين آمنوا بالله ورسوله ان المغبونين الذين غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة فى الجنة كما حدثنا
محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم
القيامة قال غبنوا أنفسهم وأهليهم فى الجنة   وقوله ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم يقول تعالى ذكره
ألا ان الكافرين يوم القيامة فى عذاب لهم من الله مقيم عليهم ثابت لا يزول عنهم ولا يبيد ولا يخف
۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله
من سبيل   استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله مالكم من ملجإ يومئذ ومالكم من
نكير ﴾ يقول تعالى ذكره ولم يكن لهؤلاء الكافرين حين يعذبهم الله يوم القيامة أولياء يمنعونهم من
عذاب الله ولا ينتصرون لهم من ربهم على ما نالهم به من العذاب من دون الله   ومن يضلل الله فماله

بدليل قوله (ذلكم الله ربى) الآية
والمراد أن الذى اختلفتم أنتم
والكفرة فيه من أمور الدين فحكم
ذلك المختلف فيه مفوض الى الله
وهو اثابة المحقين ومعاقبة المبطلين
وقيل وما اختلفتم فيه فتحاكموا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله
فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله
والرسول وقيل وما اختلفتم فيه
من الآيات المتشابهات فارجعوا
فى بيانه الى المحكمات أو الى الظاهر
من السنة وقيل ما وقع بينكم الخلاف
فيه من العلوم التى لا تتصل
بالتكاليف فقولوا الله أعلم كمعرفة
الروح وغيره   قال فى الكشاف ولا
يندرج فيه اختلاف المجتهدين لأن
الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول
صلى الله عليه وسلم   قلت ان لم يجز
بحضرته فانه جائز بعده وقوله
وما اختلفتم شامل لجميع الامة الى
يوم القيامة مثل يا أيها الناس ومثل
أقيموا الصلاة والأظهر أن
اختلافهم يدخل فيه وأن المراد
بحكمه تعريفه من بيان الله سواء كان
ذلك البيان بالنص أو بالقياس
أو بالاجتهاد   فان قيل المقصود من
التحاكم قطع الاختلاف ولا قطع
مع القياس ولا مع الاجتهاد قلنا
اذا كان القياس مأمورا به وكذا
الاجتهاد بل يكون كل مجتهد مصيبا
كانت المخالفة فى حكم الموافقة ولهذا
قال اختلاف أمتى رحمة ثم وصف
نفسه بأوصاف الكمال ونعوت
الجلال تأكيدا لصحة أحكامه
فقال (فاطر السموات والأرض)
وهو أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدإ
محذوف ومعنى (ومن الانعام
أزواجا) أنه خلق للانعام أيضا

من سبيل يقول ومن يخذله عن طريق الحق فماله من طريق الى الوصول اليه لان الهداية والاضلال بيده دون كل أحد سواه وقوله استجيبوا لربكم يقول تعالى ذكره للكافرين به أجيبوا أيها الناس داعى الله وآمنوا به واتبعوه على ما جاءكم به من عند ربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يقول لاشئ يرد مجيئه اذا جاء الله به وذلك يوم القيامة مالكم من ملجأ يومئذ يقول جل ثناؤه مالكم أيها الناس من معقل تحترزون فيه وتلجؤن اليه فتعتصمون به من النازل بكم من عذاب الله على كفركم به كان فى الدنيا ومالكم من نكير يقول ولا أنتم تقدرون لما يحل بكم من عقابه يومئذ على تغييره ولا على انتصار منه اذا عاقبكم بما عاقبكم به * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله مالكم من ملجأ قال من محرز وقوله من نكير قال ناصر ينصركم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى مالكم من ملجأ يومئذ تلجؤن اليه ومالكم من نكير يقول من عز تعتزون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور﴾ يقول تعالى ذكره فان أعرض هؤلاء المشركون يا محمد عما أتيتهم به من الحق ودعوتهم اليه من الرشد فلم يستجيبوا لك وأبوا قبوله منك فدعهم فانا لن نرسلك اليهم رقيبا عليهم تحفظ عليهم أعمالهم وتحصيها إن عليك إلا البلاغ يقول ما عليك يا محمد إلا أن تبلغهم ما أرسلناك به اليهم من الرسالة فاذا بلغتهم ذلك فقد قضيت ما عليك وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها يقول تعالى ذكره فانا اذا أغنينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة وذلك هو الرحمة التى ذكرها جل ثناؤه فرح بها يقول سر بما أعطيناه من الغنى ورزقناه من السعة وكثرة المال وان تصبهم سيئة يقول وان أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش بما قدمت أيديهم يقول بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته اياه جحد نعمة الله وأيس من الخير فان الانسان كفور يقول تعالى ذكره فان الانسان جحود نعم ربه يعدد المصائب ويجحد النعم وانما قال وان تصبهم سيئة فأخرج الهاء والميم مخرج كناية جمع الذكور وقد ذكر الانسان قبل ذلك بمعنى الواحد لانه بمعنى الجمع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير﴾ يقول تعالى ذكره لله سلطان السموات السبع والأرضين يفعل فى سلطانه ما يشاء ويخلق ما يحب خلقه يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الاناث دون الذكور بأن يجعل كل ما حملت زوجته من حمل منه أنثى ويهب لمن يشاء الذكور يقول ويهب لمن يشاء منهم الذكور بأن يجعل كل حمل حملته امرأته ذكرا لا أنثى فيهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو يزوجهم ذكرانا وإناثا قال يخلط بينهم يقول التزويج أن تلد المرأة غلاما ثم تلد جارية ثم تلد غلاما ثم تلد جارية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور قادر والله ربنا على ذلك أن يهب للرجل ذكورا ليست معهم أنثى وأن يهب للرجل ذكرانا وإناثا فيجمعهم له جميعا ويجعل من يشاء عقيما لا يولد له حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قول الله عز وجل يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ليست معهم

من أنفسها أزواجا (يذرؤكم فيه) يكثركم فى هذا التدبير وهو أن جعل للناس والانعام أزواجا حتى حصل بين الذكور والاناث التوالد والتناسل والضمير فى يذرؤكم راجع الى المخاطبين والى الانعام وهو من الاحكام ذوات العلتين وذلك أن فيه تغليبين تغليب المخاطبين على الغائبين وهم من سيوجد الى يوم القيامة وتغليب العقلاء على غيرهم وعلة الاول الخطاب وعلة الثانى العقل وانما قال يذرؤكم فيه ولم يقل به لأنه جعل التدبير منبعا ومعدنا للتكثير كقوله ولكم فى القصاص حياة أو لأن حروف الجر يقام بعضها مقام البعض ومعنى (ليس كمثله شئ) نفى المثلية عنه بطريق الالتزام وذلك أنه لو كان له مثل والله تعالى شئ لكان مثل مثله شئ وهو خلاف نص المخبر الصادق وهذا المحال انما لزم من فرض وجود المثل له فوجود المثل محال وهو المطلوب ولعل هذا التقرير مختص بنا قال فى الكشاف انه من باب الكناية كقولهم مثلك لا يبخل يعنون انت لا تبخل وكذا ههنا يريد ليس كالله شئ وجوز أن يكون تكرير حرف التشبيه للتأكيد وقد يستدل بالآية على نفى الجسمية ولوازمها عنه تعالى لأن الاجسام متماثلة فى حقيقة الجسمانية قوله (له مقاليد السموات والارض) أى له مفاتيح خزائنها وقد مر فى الزمر والباقى واضح وقد سبق أيضا وحين عظم وحيه الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله كذلك يوحى اليك الى آخره ذكر تفصيل ذلك فقال (شرع لكم) أى أوجب وبين لأجلكم (من الدين ما وصى به نوحا)

إناث أو يزوجهم ذكرانا وإناثا قال يهب لهم إناثا وذكرانا ويجعل من يشاء عقيما لا يولد له حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ويجعل من يشاء عقيما يقول لا يلقح حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويجعل من يشاء عقيما لا يلد واحدا ولا اثنين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ليس فيهم أنثى أو يزوجهم ذكرانا وإناثا تلد المرأة ذكرا مرة وأنثى مرة ويجعل من يشاء عقيما لا يولد له وقال ابن زيد فى معنى قوله أو يزوجهم ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو يزوجهم ذكرانا وإناثا قال أو يجعل فى الواحد ذكرا وأنثى توأما هذا قوله أو يزوجهم ذكرانا وإناثا وقوله انه عليم قدير يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بما يخلق وقدرة على خلق ما يشاء لا يعزب عنه علم شئ من خلقه ولا يعجزه شئ أراد خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم﴾ يقول تعالى ذكره وما ينبغى لبشر من بنى آدم أن يكلمه ربه إلا وحيا يوحى الله اليه كيف شاء(١) أو إلهاما وإما غيره أو من وراء حجاب يقول أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه كما كلم موسى نبيه صلى الله عليه وسلم أو يرسل رسولا يقول أو يرسل الله من ملائكته رسولا إما جبرائيل وإما غيره فيوحى باذنه ما يشاء يقول فيوحى ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن ربه ما يشاء يعنى ما يشاء ربه أن يوحيه اليه من أمر ونهى وغير ذلك من الرسالة والوحى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله عز وجل وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا يوحى اليه أو من وراء حجاب موسى كلمه الله من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء قال جبرائيل يأتى بالوحى واختلفت القراء فى قراءة قوله أو يرسل رسولا فيوحى فقرأته عامة قراء الامصار فيوحى بنصب الياء عطفا على يرسل ونصبوا يرسل عطفا بها على موضع الوحى ومعناه لان معناه وما كان لبشر أن يكلمه الله الا أن يوحى اليه أو يرسل اليه رسولا فيوحى باذنه ما يشاء وقرأ ذلك نافع المدنى فيوحى بارسال الياء بمعنى الرفع عطفا به على يرسل وبرفع يرسل على الابتداء وقوله انه على حكيم يقول تعالى ذكره انه يعنى نفسه جل ثناؤه ذو علو على كل شئ وارتفاع عليه واقتدار حكيم يقول ذو حكمة فى تدبيره خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الأمور﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وكما كنا نوحى فى سائر رسلنا كذلك أوحينا اليك يا محمد هذا القرآن روحا من أمرنا يقول وحيا ورحمة من أمرنا واختلف أهل التأويل فى معنى الروح فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى به الرحمة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن الحسن فى قوله روحا من أمرنا قال رحمة من أمرنا * وقال آخرون معناه وحيا من أمرنا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا قال وحيا من أمرنا وقد بينا معنى الروح فيما مضى بذكر اختلاف أهل التأويل فيها بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان

يقول

وهو أقدم الاديان بعد الطوفان (والذى أوحينا اليك) وهو ختمها (وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) وهى الملل المعتبرة المتوسطة ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الاكابر من رسله فيه بقوله (أن أقيموا الدين) الحنيفى ومحله نصب بدلا من مفعول شرع أو رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين يعنى اقامة أصوله من التوحيد والنبوة والمعاد ونحو ذلك دون الفروع التى تختلف بحسب الاوقات لقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وفى بناء الكلام على الغيبة ثم الالتفات الى التكلم فى أوحينا والخطاب فى اليك تفخيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم حكى حسد أهل الشرك بقوله (كبر على المشركين) أى شق وعظم عليهم ما تدعوهم اليه من الدين المبرا من عبادة غير الله ثم أجاب عن شبهتهم بأن الاجتباء والاصطفاء يتعلق بمشيئة الله لا بتمنى كل واحد ولا بكثرة المال والجاه يقال اجتباه اليه أى اصطفاه لنفسه والتركيب يدل على الجمع والضم ويحتمل أن يراد يجتبى الى الدين ثم أخبر عن وقت تفرق كلمة أهل الكتاب وعن سبب ذلك فقال (وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم) ببعث محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته كقوله فى آل عمران وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقيل وما تفرق الأمم الذين تقدم ذكرهم الا بعد العلم بصحة ما أمروا به قال أهل البرهان لما ذكر مبدأ كفرهم وهو قوله

(١) كذا فى الخط ولعله إما إلقاء أو إلهاما الخ تأمل كتبه مصححه

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما كنت تدري يا محمد أي شئ الكتاب ولا الايمان اللذين أعطيناكهما ولكن جعلناه نورا يقول ولكن جعلنا هذا القرآن وهو الكتاب نورا يعني ضياء للناس يستضيؤن بضوئه الذي بين الله فيه وهو بيانه الذي بين فيه مما لهم فيه في العمل به الرشاد ومن النار النجاة نهدي به من نشاء من عبادنا يقول نهدي بهذا القرآن فالهاء في قوله به من ذكر الكتاب ويعني بقوله نهدي به من نشاء نسدد الى سبيل الصواب وذلك الايمان بالله من نشاء من عبادنا يقول نهدي به من نشاء هدايته الى الطريق المستقيم من عبادنا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا يعني بالقرآن وقال جل ثناؤه ولكن جعلناه فوحد الهاء وقد ذكر قبل الكتاب والايمان لانه قصد به الخبر عن الكتاب وقال بعضهم عنى به الايمان والكتاب ولكن وحد الهاء لان أسماء الافعال يجمع جميعها الفعل كما يقال اقبالك وادبارك يعجبني فيوحد وهما اثنان وقوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك يا محمد لتهدي الى صراط مستقيم عبادنا بالدعاء الى الله والبيان لهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم قال تبارك وتعالى ولكل قوم هاد داع يدعوهم الى الله عز وجل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وانك لتهدي الى صراط مستقيم قال لكل قوم هاد حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وانك لتهدي الى صراط مستقيم يقول تدعو الى دين مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض يقول جل ثناؤه وانك لتهدي الى صراط مستقيم وهو الاسلام طريق الله الذي دعا اليه عباده الذي له ملك جميع ما في السموات وما في الارض لا شريك له في ذلك والصراط الثاني ترجمة عن الصراط الاول وقوله جل ثناؤه ألا الى الله تصير الأمور يقول جل ثناؤه ألا الى الله أيها الناس تصير أموركم في الآخرة فيقضي بينكم بالعدل فان قال قائل أوليست أمورهم في الدنيا اليه قيل هي وان كان اليه تدبير جميع ذلك فان لهم حكاما وولاة ينظرون بينهم وليس لهم يوم القيامة حاكم ولا سلطان غيره فلذلك قيل اليه تصير الامور هنالك وان كانت الامور كلها اليه وبيده قضاؤها وتدبيرها في كل حال

آخر تفسير سورة حم عسق

﴿ تفسير سورة الزخرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ قد بينا فيما مضى قوله حم بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله والكتاب المبين قسم من الله تعالى أقسم بهذا الكتاب الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال والكتاب المبين لمن تدبره وفكر في عبره وعظاته هداه ورشده وأدلته على حقيته وأنه تنزيل من حكيم حميد لا اختلاق من محمد صلى الله عليه وسلم ولا افتراء من أحد إنا جعلناه قرآنا عربيا يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا

الامن بعد ما جاءهم العلم حسن ذكر نهاية إمهالهم وهو قوله الى أجل مسمى ليكون محدودا من الطرفين وانما ترك ذكر النهاية في السورة المتقدمة لعدم ذكر البداية (وان الذين أورثوا الكتاب) هم العرب ورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتابين كتابهم أوهم أهل الكتاب المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل جاءهم أسباب العلم فلم ينظروا فيها لانه حكم عليهم في آخر الآية بانهم في شك من كتابهم وهو مع العلم غير مجتمعين (فلذلك) أي فلاجل تشعب الملل وتفرق الكلم (فادع) الى الملة الحنيفية وقيل اللام بمعنى الى والاشارة الى القرآن (واستقم) عليها كما أمرت (ولا تتبع أهواءهم) المختلفة (وقل آمنت بما أنزل الله من) أي كتاب كان (وأمرت لأعدل بينكم) أي في التبليغ أواذا تحاكمتم الي حتى لا أفرق بين نفسي ونفس غيري ثم أشار الى ما هو أصل في الدين فقال (الله ربنا وربكم لنا) جزاء (أعمالنا ولكم) جزاء (أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم) وليس المراد منه تحريم المحاجة فانه لولا الأدلة لما توجه التكليف بل المراد أنهم بعد أن وقفوا على الحجج الباهرة والدلائل الظاهرة على حقية دين الاسلام لم يبق معهم حجة لسانية وانما بقي السيف وقيل انه منسوخ بآية القتال وقوله (الله يجمع بيننا) اشارة الى المهاجرة التي اقتضاها اصرارهم على الباطل وتفويض للامر الى المجازي المنتقم ثم أخبر عن وعيد المخاصمين في أمر دين الله (من بعد ما استجيب له)

بلسان العرب اذ كنتم أيها المنذرون به من رهط محمد صلى الله عليه وسلم عربا لعلكم تعقلون يقول لتعقلوا معانيه ومافيه من مواعظه ولم ينزله بلسان العجم فيجعله أعجميا فتقولوا نحن عرب وهذا كلام أعجمي لانفقه معانيه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي حم والكتاب المبين هو هذا الكتاب المبين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حم والكتاب المبين مبين والله بركته وهداه ورشده ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾ يقول تعالى ذكره وان هذا الكتاب في أصل الكتاب الذي منه نسخ هذا الكتاب عندنا العلي يقول لذو علو ورفعة حكيم قد أحكمت آياته ثم فصلت فهو ذو حكمة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائي عن القاسم بن أبي بزة قال ثنا عروة بن عامر أنه سمع ابن عباس يقول أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق قال والكتاب عنده قال وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبي عن عطية بن سعد في قول الله تبارك وتعالى وانه في أم الكتاب لدينا العلي حكيم يعني القرآن في أم الكتاب الذي عند الله منه نسخ حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت مالكا يروي عن عمران عن عكرمة وانه في أم الكتاب لدينا قال أم الكتاب القرآن حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وانه في أم الكتاب لدينا قال أم الكتاب أصل الكتاب وجملته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانه في أم الكتاب أي جملة الكتاب أي أصل الكتاب حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وانه في أم الكتاب يقول في الكتاب الذي عند الله في الاصل وقوله لدينا العلي حكيم وقد ذكرنا معناه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لدينا لعلي حكيم يخبر عن منزلته وفضله وشرفه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه أفنضرب عنكم ونترككم أيها المشركون فيما تحسبون فلا نذكركم بعقابنا من أجل أنكم قوم مشركون ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل أفنضرب عنكم الذكر صفحا قال تكذبون بالقرآن ثم لا تعاقبون عليه حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا سفيان عن اسمعيل عن أبي صالح قوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا قال بالعذاب حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي أفنضرب عنكم الذكر صفحا قال أفنضرب عنكم العذاب حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين يقول أحسبتم أن نصفح عنكم ولما تفعلوا ما أمرتم به * وقال آخرون بل معنى ذلك أفنترك تذكيركم بهذا القرآن ولا نذكركم به لأن كنتم قوما مسرفين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين أي مشركين والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا فدعاهم اليه عشرين سنة أو ما شاء الله من ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى

أي من بعد ما استجاب له الناس وقبلوا دينه أو بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر (حجتهم داحضة) أي باطلة زائلة (عند ربهم) وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فأنتم أولى باتباعنا وأيضا أنتم تقولون الاخذ بالمتفق عليه أولى من الاخذ بالمختلف فيه ونبوة موسى وحقية التوراة متفق عليها ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم مختلف فيها والجواب أن نبوة موسى انما صحت بالمعجزة فان كانت المعجزة في حقه مصححة للنبوة ففي حق محمد صلى الله عليه وسلم كذلك والا فأنتم القادحون في نبوة نبيكم أيضا ثم حث على سلوك طريقة العدل حذرا من عقاب يوم القيامة فقال (الله الذي أنزل الكتاب) أي جنسه متلبسا بالغرض الصحيح (والميزان) أي أنزل العدل والسوية في كتبه أو ألهم اتخاذ الميزان وقيل هو العقل وقيل الميزان نفسه وذلك في زمن نوح وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم يقضي بينهم بالكتاب (ومايدريك) يا محمد أو أيها المكلف (لعل الساعة) أي مجيئها (قريب) أوذكر بتأويل البعث أو الحشر ونحوه أو أراد شيء قريب ومتى كان الامر كذلك وجب على العاقل أن يجتهد في أداء ما عليه من التكاليف ولا يتأنى في سلوك سبيل الانصاف مع الخالق والخلق فانه لا يعلم أن القيامة متى تفاجئه ثم قبح طريقة منكري الساعة فقال (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) يقولون على سبيل السخرية متى تقوم الساعة وليتها قامت حتى تظهر لنا جلية الحال

قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا قال لو أن هذه الأمة لم يؤمنوا لضرب عنهم الذكر صفحا قال الذكر ما أنزل عليهم مما أمرهم الله به ونهاهم صفحا لايذكر لكم منه شيأ ❁ وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من تأوله أفنضرب عنكم العذاب فنترككم ونعرض عنكم لأن كنتم قوما مسرفين لاتؤمنون بربكم وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية لأن الله تبارك تعالى أتبع ذلك خبره عن الامم السالفة قبل الامم التى توعدها بهذه الآية فى تكذيبها رسلها وما أحل بها من نقمته ففى ذلك دليل على أن قوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا وعيد منه للخاطبين به من أهل الشرك اذ سلكوا فى التكذيب بما جاءهم عن الله رسولهم مسلك الماضين قبلهم واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ان كنتم بكسر الالف من إن بمعنى أفنضرب عنكم الذكر صفحا اذ كنتم قوما مسرفين وقرأه بعض قراء أهل مكة والكوفة وعامة قراء البصرة أن بفتح الألف من أن بمعنى لأن كنتم واختلف أهل العربية فى وجه فتح الالف من أن فى هذا الموضع فقال بعض نحويي البصرة فتحت لأن معنى الكلام لأن كنتم وقال بعض نحويي الكوفة من فتحها فكأنه أراد شيأ ماضيا فقال وأنت تقول فى الكلام أتيت أن حرمتنى تريد اذ حرمتنى ويكسر اذا اردت أتيت إن تحرمنى ومثله لايجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم وان صدوكم بكسر وبفتح وقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا قال والعرب تنشد قول الفرزدق

أتجزع ان أذنا قتيبة حزتا ❁ جهارا ولم تجزع لقتل ابن حازم

قال وينشد

أتجزع ان بان الخليط المودع ❁ وحبل الصفا من عزة المتقطع

قال وفى كل واحد من البيتين ما فى صاحبه من الكسر والفتح ❁ والصواب من القول فى ذلك عندنا أن الكسر والفتح فى الالف فى هذا الموضع قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن العرب اذا تقدم ان وهى بمعنى الجزاء فعل مستقبل كسروا ألفها أحيانا فمحضوا لها الجزاء فقالوا أقوم ان قمت وفتحوها أحيانا وهم ينوون ذلك المعنى فقالوا أقوم أن قمت بتأويل لأن قمت فاذا كان الذى تقدمها من الفعل ماضيا لم يتكلموا الا بفتح الالف من أن فقالوا قمت أن قمت وبذلك جاء التنزيل وتتابع شعر الشعراء ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكم أرسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره وكم أرسلنا من نبى يا محمد فى القرون الاولين الذين مضوا قبل قرنك الذى بعثت فيه كما أرسلناك فى قومك من قريش وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزؤن يقول وما كان يأتى قرنا من أولئك القرون وأمة من أولئك الامم الاولين لنا من نبى يدعوهم الى الهدى وطريق الحق الا كان الذين يأتيهم ذلك من تلك الامم نبيهم الذى أرسله اليهم يستهزؤن سخرية منهم بهم كاستهزاء قومك بك يا محمد يقول فلا يعظمن عليك ما يفعل بك قومك ولا يشقن عليك فانهم انما سلكوا فى استهزائهم بك مسلك أسلافهم ومنهاج أئمتهم الماضين من أهل الكفر بالله ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين﴾ يقول تعالى ذكره فأهلكنا أشد من هؤلاء المستهزئين بأنبيائهم بطشا اذا بطشوا فلم يعجزونا بقواهم وشدة بطشهم ولم يقدروا على الامتناع من بأسنا اذ أتاهم فالذين هم أضعف منهم قوة أحرى أن لا يقدروا على الامتناع من نقمتنا اذا حلت بهم ومضى مثل الاولين يقول جل ثناؤه ومضى لهؤلاء المشركين المستهزئين بك ولمن قبلهم من ضربائهم

ثم مدح المقربين بأنهم يخافون القيامة هيبة من الله واجلالا له أو حذرا من تقصير وخلل وقع فى العمل الا أن خوفهم يجب أن يكون ممتزجا بالرجاء وقد مر تحقيقه مرارا ثم هدد الشاكين المجادلين فى أمر البعث بقوله (ألا ان الذين يمارون) وأصله من المرية الشك (لفى ضلال بعيد) عن الصواب لأن استيفاء حق المظلوم من الظالم واجب على فضله أو فى حكمه ولان فى انكاره نسبة الله سبحانه الى ضد العلم والقدرة ثم انه لاريب فى أن انزال الكتاب والميزان لطف من الله على خلقه فلذلك قال (الله لطيف بعباده) عمم البر ثم خصص بقوله (يرزق من يشاء) يعنى الزائد على مقدار الضرورة فلكم من انسان فاق أقرانه فى المال أو الجاه أو الاولاد أو فى العلم أو فى سائر أسباب المزية الا أن أحدا منهم لايخلو من بره الذى يتعيش به كقوله أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقيل معنى لطيف يرزقهم من حيث لا يعلمون أو يلطف بهم فلا يعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا وقد مر معناه فى الانعام بوجه آخر فى قوله وهو اللطيف الخبير وأما قوله (القوى العزيز) ففيه اشارة الى أن لطفه مقرون بقهره وحين ذكر أنه يرزق من يشاء الزائد على مقدار كفايته وكان فيه كسر قلوب أرباب الضنك والضيق جبر كسرهم بقوله (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه) سماه حرثا تشبيها للعامل الطالب لثواب الآخرة أضعافا مضاعفة بالزارع الذى يلقى البذر فى الارض طلبا للزيادة والنماء ومن فضائل

مثلنا الذى مثلناه لهم فى أمثالهم من مكذبى رسلنا الذين أهلكناهم يقول فليتوقع هؤلاء الذين
يستهزؤن بك يا محمد من عقوبتنا مثل الذى أحللناه بأولئك الذين أقاموا على تكذيبك وبنحو الذى
قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة ومضى مثل الاولين قال عقوبة الأولين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال
ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد
فى قوله مثل الاولين قال سنتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم
تهتدون﴾ يقول تعالى ذكره ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين من قومك من خلق السموات
السبع والارضين فأحدثهنّ وأنشأهن ليقولنّ خلقهنّ العزيز فى سلطانه وانتقامه من أعدائه
العليم بهنّ وما فيهنّ من الاشياء لايخفى عليه شئ الذى جعل لكم الأرض مهادا يقول الذى
مهد لكم الارض فجعلها لكم وطاء توطؤنها بأقدامكم وتمشون عليها بأرجلكم وجعل لكم فيها سبلا
يقول وسهل لكم فيها طرقا تتطرقونها من بلدة الى بلدة لمعايشكم ومتاجركم كما حدثنا بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعل لكم فيها سبلا أى طرقا حدثنا محمد قال ثنا أحمد
قال ثنا أسباط عن السدى الذى جعل لكم الارض مهادا قال بساطا وجعل لكم فيها سبلا
قال الطرق لعلكم تهتدون يقول لكى تهتدوا بتلك السبل الى حيث أردتم من البلدان والقرى
والامصار لولا ذلك لم تطيقوا براح أفنيتكم ودوركم ولكنها نعمة أنعم بها عليكم ۞ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذى خلق
الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾ يقول تعالى ذكره والذى نزل من السماء
ماء بقدر يعنى ما نزل جل ثناؤه من الامطار من السماء بقدر يقول بمقدار حاجتكم اليه فلم يجعله
كالطوفان فيكون عذابا كالذى أنزل على قوم نوح ولا جعله قليلا لاينبت به النبات والزرع من
قلته ولكنه جعله غيثا مغيثا وحيًّا للارض الميتة محييا فأنشرنا به بلدة ميتا يقول جل ثناؤه
فأحيينا به بلدة من بلادكم ميتا يعنى مجدبة لانبات بها ولا زرع قد درست من الجدوب وتعفت
من القحوط كذلك تخرجون يقول تعالى ذكره كما أخرجنا بهذا الماء الذى نزلناه من السماء من
هذه البلدة الميتة بعد جدوبها وقحوطها النبات والزرع كذلك أيها الناس تخرجون من بعد فنائكم
ومصيركم فى الارض رفاتا بالماء الذى أنزله اليها لاحيائكم من بعد مماتكم منها أحياء كهيئتكم التى
كنتم بها قبل مماتكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذى نزل من السماء ماء بقدر الآية كما أحيا الله
هذه الارض الميتة بهذا الماء كذلك تبعثون يوم القيامة وقيل أنشرنا به لأن معناه أحيينا به ولو
وصفت الارض بأنها أحييت قيل نشرت الارض كما قال الاعشى

حتى يقول الناس مما رأوا * ياعجبا للميت الناشر

وقوله والذى خلق الأزواج كلها يقول تعالى ذكره والذى خلق كل شئ فزوجه أن خلق الذكور
من الاناث أزواجا والاناث من الذكور أزواجا وجعل لكم من الفلك وهى السفن والأنعام وهى
البهائم ما تركبون يقول جعل لكم من السفن ما تركبونه فى البحار الى حيث قصدتم واعتمدتم
فى سيركم فيها لمعايشكم ومطالبكم ومن الانعام ما تركبونه فى البر الى حيث أردتم من البلدان كالابل
والخيل والبغال والحمير ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة

حرث الآخرة ان طالبها قد يحصل
له الدنيا بالتبعية ويرى ثواب عمله
أضعافا مضاعفة وطالب الدنيا
لاتحصل له المطالب بأسرها ولهذا
قال (نؤته منها) أى بعض ذلك
(وماله فى الآخرة من نصيب) قط
وفى زيادة لفظ الحرث فائدة أخرى
وهى أن يعلم أن شيأ من القسمين
لايحصل الا بتحمل المتاعب
والمشاق عن النبى صلى الله عليه
وسلم من أصبح وهمه الدنيا شتت
الله عليه همه وجعل فقره بين عينيه
ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له
ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله
همه وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا
وهى راغمة هذا لفظه أو لفظ هذا
معناه وعن قتادة ان الله يعطى الدنيا
على نية الآخرة ولا يعطى الآخرة
على نية الدنيا وفى ظاهر اللفظ
دلالة على أن من صلى لطلب الثواب
أو لدفع العقاب فانه تصح صلاته
لانه صلى لأجل ما يتعلق بالآخرة
قال بعض أصحاب الشافعى اذا توضأ
بغير نية لم يصح لأن هذا الانسان
غفل عن الآخرة وعن ذكر الله
والخروج عن عهدة الصلاة من باب
منافع الآخرة فلا يحصل بالوضوء
العارى عن النية وحيث بين القانون
الاعظم والقسطاس الأقوم فى أعمال
الدارين نبه على أحوال الضلال
بقوله (أم لهم شركاء) وهى المنقطعة
عند بعضهم وقال آخرون هى المعادلة
لألف الاستفهام تقديره أفيقبلون
ما شرع الله لهم من الدين أم لهم آلهة
(شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)
أى لم يأمرهم به أو لم يعلمه كقوله
أتنبؤن الله بما لا يعلم والأذن بالفتح
العلم بالمسموعات وتحقيقه شرعوا
ما ليس بشريعة اذ لو كان شريعة

ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخرلنا هذا وما كناله مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون﴾ يقول تعالى ذكره كى تستووا على ظهور ما تركبون واختلف أهل العربية فى وجه توحيد الهاء فى قوله على ظهوره وتذكيرها فقال بعض نحويي البصرة تذكيره يعود على ما تركبون وما هو مذكر كما يقال عندى من النساء من يوافقك ويسرك وقد تذكر الأنعام وتؤنث وقد قال فى موضع آخر مما فى بطونه وقال فى موضع آخر بطونها وقال بعض نحويي الكوفة أضيفت الظهور الى الواحد لأن ذلك الواحد فى معنى جمع بمنزلة الجند والجيش قال فان قيل فهلا قلت لتستووا على ظهره فجعلت الظهر واحدا اذا أضفته الى واحد قلت ان الواحد فيه معنى الجمع فردت الظهور الى المعنى ولم يقل ظهره فيكون كالواحد الذى معناه ولفظه واحد وكذلك تقول قد كثر نساء الجند وقلت ورفع الجند أعينه ولم يقل عينه قال وكذلك كل ما أضفت اليه من الاسماء الموصوفة فأخرجها على الجمع واذا أضفت اليه اسما فى معنى فعل جاز جمعه وتوحيده مثل قولك رفع العسكر صوته وأصواته أجود وجاز هذا لأن الفعل لا صورة له فى الاثنين الا الصورة فى الواحد * وقال آخر منهم قيل لتستووا على ظهوره لأنه وصف للفلك ولكنه وحد الهاء لان الفلك بتأويل جمع فجمع الظهور و وحد الهاء لأن أفعال كل واحد تأويله الجمع توحد وتجمع مثل الجند منهزم ومنهزمون فاذا جاءت الاسماء خرج على الاسماء لاغير فقلت الجند رجال فلذلك جمعت الظهور ووحدت الهاء ولو كان مثل الصوت وأشباهه جاز الجند رافع صوته وأصواته قوله ثم تذكروا نعمة ربكم يقول تعالى ذكره ثم تذكروا نعمة ربكم التى أنعمها عليكم بتسخيره ذلك لكم مراكب فى البر والبحر اذا استويتم عليه فتعظموه وتمجدوه وتقولوا تنزيها الله الذى سخر لنا هذا الذى ركبناه من هذه الفلك والانعام مما يصفه به المشركون وتشرك معه فى العبادة من الأوثان والأصنام وما كناله مقرنين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وعبيد بن اسمعيل الهبارى قالا ثنا المحاربى عن عاصم الأحول عن أبى هاشم عن أبى مجلز قال ركبت دابة فقلت سبحان الذى سخر لنا هذا وما كناله مقرنين فسمعنى رجل من أهل البيت قال أبو كريب والهبارى قال المحاربى فسمعت سفيان يقول هو الحسن بن على رضوان الله تعالى عليهما فقال أهكذا أمرت قال قلت كيف أقول قال تقول الحمد لله الذى هدانا للاسلام الحمد لله الذى من علينا بمحمد عليه السلام الحمد لله الذى جعلنا فى خير أمة أخرجت للناس فاذا أنت قد ذكرت نعما عظاما ثم تقول بعد ذلك سبحان الذى سخر لنا هذا وما كناله مقرنين وإنا الى ربنا لمنقلبون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى هاشم عن أبى مجلز أن الحسن بن على رضى الله عنه رأى رجلا ركب دابة فقال الحمد لله الذى سخر لنا هذا ثم ذكر نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه يعلمكم كيف تقولون اذا ركبتم فى الفلك تقولون بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم واذا ركبتم الابل قلتم سبحان الذى سخر لنا هذا وما كناله مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون و يعلمكم ما تقولون اذا نزلتم من الفلك والانعام جميعا تقولون اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه أنه كان اذا ركب قال اللهم هذا من منك وفضلك ثم يقول سبحان الذى سخر لنا هذا وما كناله مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وقوله وما كناله مقرنين وما كناله مطيقين ولا ضابطين من قولهم قد أقرنت لهذا اذا صرت له قرنا وأطقته وفلان مقرن لفلان أى ضابط له مطيق

لعلمها الله (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأخير الجزاء (لقضى بينهم) والضمير للمؤمنين والكافرين أو المشركين والشركاء (ترى الظالمين) فى القيامة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من الجرائم (وهو) أى وبال ذلك (واقع بهم) واصل اليهم لا محالة (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) أى منتزهاتها قالت الاشاعرة فيه دليل على أن غيرها من الاماكن فى الجنة لغير المذكورين وغيرهم ليس الا الذى آمن ولم يعمل صالحا وهو الفاسق ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون اضافة الروضات الى الجنات من اضافة العام الى الخاص فيكون الجنات كلها روضات ولكن الروضات قد لا تكون فى الجنة لثبوتها فى الدنيا والفضل الكبير قد تقدم فى فاطر (ذلك) المذكور أو الثواب أو التبشير هو (الذى يبشر الله) به (عباده) ثم حذف الجار ثم الراجع الى الموصول ثم أمر رسوله بأن يقول (لا أسألكم عليه) على هذا التبليغ (أجرا الا المودة) الكائنة (فى القربى) جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها ولهذا لم يقل مودة القربى أو المودة للقربى وهى مصدر بمعنى القرابة أى فى أهل القربى وفى حقهم فان قيل استثناء المودة من الاجر دليل على أنه طلب الاجر على تبليغ الوحى وذلك غير جائز كما جاء فى قصص سائر الانبياء ولا سيما فى الشعراء وقد جاء فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم أيضا قل ما سألتكم من أجر فهو لكم وقل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين والمعقول منه أن التبليغ واجب عليه

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح
قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وما كنا له مقرنين يقول مطيقين حدثنى محمد بن
عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل مقرنين قال الابل والخيل والبغال
والحمير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كنا له مقرنين أى مطيقين
لا والله لا فى الأيدى ولا فى القوّة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر
عن قتادة فى قوله وما كنا له مقرنين قال فى القوّة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط
عن السدى وما كنا له مقرنين قال مطيقين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد فى قول الله جل ثناؤه سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال لسنا له مضيقين قال
لا نطيقها الا بك لولا أنت ما قوينا عليها ولا أطقناها وقوله وانا الى ربنا لمنقلبون يقول جل ثناؤه
وليقولوا أيضا وانا الى ربنا من بعد مماتنا لصائرون اليه راجعون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى
﴿وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين
واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودّا وهو كظيم﴾ يقول تعالى ذكره وجعل
هؤلاء المشركون لله من خلقه نصيبا وذلك قولهم للملائكة هم بنات الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز
وجل وجعلوا له من عباده جزأ قال ولدا وبنات من الملائكة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا
أسباط عن السدى وجعلوا له من عباده جزأ قال البنات * وقال آخرون عنى بالجزء ههنا العدل
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلوا له من عباده
جزأ أى عدلا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وجعلوا له
من عباده جزأ أى عدلا وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك
قوله أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين توبيخا لهم على قولهم ذلك فكان معلوما أن توبيخه اياهم
بذلك انما هو عما أخبر عنهم من قيلهم ما قالوا فى اضافة البنات الى الله جل ثناؤه وقوله ان الانسان
لكفور مبين يقول تعالى ذكره ان الانسان لذو جحد لنعم ربه التى أنعمها عليه مبين يقول يبين
كفرانه نعمه عليه لمن تأمله بفكر قلبه وتدبر حاله وقوله أم اتخذ مما يخلق بنات يقول جل ثناؤه
موبخا هؤلاء المشركين الذين وصفوه بأن الملائكة بناته أتخذ ربكم أيها الجاهلون مما يخلق بنات
وأنتم لا ترضون لأنفسكم وأصفاكم بالبنين يقول وأخلصكم بالبنين فجعلهم لكم واذا بشر أحدهم بما
ضرب للرحمن مثلا يقول تعالى ذكره واذا بشر أحد هؤلاء المشركين الجاعلين لله من عباده جزأ بما
ضرب للرحمن مثلا يقول بما مثل لله فشبهه شبها وذلك ما وصفه به من أن له بنات كما حدثنى
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال
ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله بما ضرب للرحمن مثلا قال ولدا حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بما ضرب للرحمن مثلا بما جعل لله وقوله
ظل وجهه مسودّا يقول تعالى ذكره ظل وجه هذا الذى بشر بما ضرب للرحمن مثلا من البنات
مسودّا من سوء ما بشر به وهو كظيم يقول وهو حزين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة وهو كظيم أى حزين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أومن ينشأ فى الحلية وهو

وطلب الأجر على أداء الواجب
لا يليق بالمروءة وأيضا انه يوجب
التهمة ونقصان الحشمة قلنا ان من
جعل الآية منسوخة باللتين
لا استثناء فيهما فلا اشكال عليه
وأما الآخرون فمنهم من قال
الاستثناء متصل ولكنه من قبيل
تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب
والمعنى لا أطلب منكم أجرا الا هذا
وهو فى الحقيقة ليس أجرا لان
حصول المودة بين المسلمين أمر
واجب ولا سيما فى حق الاقارب
كما قال عز من قائل والذين يصلون
ما أمر الله به أن يوصل ومنهم من
قال الاستثناء منقطع أى لا أسألكم
عليه أجرا البتة ولكن أذكركم المودة
فى القربى وفى تفسير المودة فى القربى
أربعة أقوال الاول قال الشعبى
أكثر الناس علينا فى هذه الآية
فكتبنا الى ابن عباس نسأله عن
ذلك فأجاب بأن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان واسطة النسب
فى قريش ليس بطن من بطونهم الا
وقد كان بينهم وبينه قرابة فقال الله
قل لا أسألكم على ما أدعوكم اليه أجرا
الا أن تودونى لقرابتى منكم يعنى انكم
قومى واحق من أجابنى وأطاعنى
فاذ قد أبيتم ذلك فاحفظوا حق
القربى ولا تؤذونى ولا تهيجوا على
القول الثانى روى الكعبى عن ابن
عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم
كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس
فى يده سعة فقال الانصار ان هذا
الرجل قد هداكم الله على يده وهو
ابن أختكم وجاركم فى بلدكم فاجمعوا
له طائفة من أموالكم ففعلوا ثم أتوه

في الخصام غير مبين﴾ يقول تعالى ذكره أومن ينبت في الحلية ويزين بها وهو في الخصام يقول
وهو في مخاصمة من خاصمه عند الخصام غير مبين من خصمه ببرهان وحجة لعجزه وضعفه جعلتموه
جزأ الله من خلقه وزعمتم أنه نصيبه منهم وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ماذكر منه وهو
ماذكرت ﴿واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فقال
بعضهم عني بذلك الجواري والنساء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي
قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام
غير مبين قال يعني المرأة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن
علقمة عن مرثد عن مجاهد قال رخص للنساء في الحرير والذهب وقرأ أومن ينشأ في الحلية وهو
في الخصام غير مبين قال يعني المرأة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله
أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين قال الجواري جعلتموهن للرحمن ولدا كيف
تحكمون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أومن ينشأ في الحلية وهو
في الخصام غير مبين قال الجواري يسفههن بذلك غير مبين بضعفهن حدثنا محمد بن عبد الاعلى
قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أومن ينشأ في الحلية يقول جعلوا له البنات وهم اذا بشر
أحدهم بهن ظل وجهه مسودا وهو كظيم قال وأما قوله وهو في الخصام غير مبين يقول
قلما تتكلم امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال
ثنا أسباط عن السدي أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين قال النساء * وقال آخرون
عني بذلك أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أومن ينشأ في الحلية الآية قال هذه تماثيلهم التي يضربونها
من فضة وذهب يعبدونها هم الذين أنشؤها ضربوها من تلك الحلية ثم عبدوها وهو في الخصام
غير مبين قال لا يتكلم وقرأ فاذا هو خصيم مبين * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال
عني بذلك الجواري والنساء لأن ذلك عقيب خبر الله عن اضافة المشركين اليه ما يكرهونه لأنفسهم
من البنات وقلة معرفتهم بحقه وتحليتهم اياه من الصفات والبخل وهو خالقهم ومالكهم ورازقهم
والمنعم عليهم النعم التي عددها في أول هذه السورة ما لا يرضونه لأنفسهم فاتباع ذلك من الكلام
ما كان نظيرا له أشبه وأولى من إتباعه ما لم يجر له ذكر واختلفت القراء في قراءة قوله أومن ينشأ
في الحلية فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض المكيين والكوفيين أومن ينشأ بفتح الياء
والتخفيف من نشأ ينشأ وقرأته عامة قراء الكوفة ينشأ بضم الياء وتشديد الشين من نشأته فهو ينشأ
والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال انهما قراءتان معروفتان في قرأة الامصار متقاربتا
المعنى لأن المنشأ من الانشاء ناشئ والناشئ منشأ فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقد ذكر أن ذلك
في قراءة عبد الله أو من لا ينشأ الا في الحلية وفي من وجوه من الاعراب الرفع على الاستئناف
والنصب على اضمار يجعلون كأنه قيل أومن ينشأ في الحلية يجعلون بنات الله وقد يجوز النصب
فيه أيضا على الرد على قوله أم اتخذ مما يخلق بنات أومن ينشأ في الحلية فيرد من على البنات والخفض
على الرد على ما التي في قوله واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى
﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون﴾
يقول تعالى ذكره وجعل هؤلاء المشركون بالله ملائكته الذين هم عباد الرحمن واختلفت القراء

فرده عليهم ونزلت الآية بحثهم على
مودة أقاربهم وصلة أرحامهم
القول الثالث عن الحسن الآن
تودّدوا الى الله وتتقربوا اليه بالطاعة
والعمل الصالح الرابع عن سعيد
ابن جبير لما نزلت هذه الآية قالوا
يارسول الله من هؤلاء الذين وجبت
علينا مودتهم لقرابتك فقال علي
وفاطمة وابناهما ولا ريب أن هذا
فخر عظيم وشرف تام ويؤيده
ماروى أن عليا رضي الله عنه شكا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسد الناس فيه فقال أما ترضى أن
تكون رابع أربعة أول من يدخل
الجنة أنا وأنت والحسن والحسين
وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا
وذرياتنا خلف أزواجنا وعنه صلى
الله عليه وسلم حرمت الجنة على
من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي
ومن اصطنع صنيعة الى أحد من
ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها
فانا أجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم
القيامة وكان يقول فاطمة بضعة مني
يؤذيني ما يؤذيها وثبت بالنقل المتواتر
أنه كان يحب عليا والحسن والحسين
واذا كان ذلك وجب علينا محبتهم
لقوله فاتبعوه وكفى شرفا لآل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخرا
ختم التشهد بذكرهم والصلاة عليهم
في كل صلاة قال بعض المذكرين
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل
أهل بيتي كمثل سفينة نوح من
ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق
وعنه صلى الله عليه وسلم أصحابي
كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم
فنحن نركب سفينة حب آل محمد
صلى الله عليه وسلم ونضع أبصارنا
على الكواكب النيرة أعني آثار

الصحابة لتتخلص من بحر التكليف وظلمة الجهالة ومن أمواج الشبه والضلالة ثم أكد ايصال الثواب على المودّة بقوله (ومن يقترف حسنة) أى يكتسب طاعة قال بعض أهل اللغة الاقتراف مستعمل فى الشرّ فاستعاره ههنا للخير عن السدى أنها المودّة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فى أبى بكر الصديق ومودّته فيهم والظاهر العموم فى كل حسنة ولا شك أن هذه مرادة قصدا أوّليا لذكرها عقيبها ومعنى زيادة حسنها تضعيف ثوابها (ان الله غفور) لمن أذنب (شكور) لمن أطاع الله والله أعلم ﴿ أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل و يحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور وهو الذى يقبل التوبة عن عباده و يعفوا عن السيئات ويعلم ما تفعلون و يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات و يزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا و ينشر رحمته وهو الولىّ الحميد ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفوا عن كثير وما أنتم بمعجزين فى الارض وما لكم من دون الله من ولىّ ولا نصير ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره

فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة الذين هم عند الرحمن بالنون فكأنهم تأوّلوا فى ذلك قول الله جل ثناؤه ان الذين عند ربك لا يستكبرون فتأويل الكلام على هذه القراءة وجعلوا ملائكة الله الذين هم عنده يسبحونه و يقدّسونه اناثا فقالوا هم بنات الله جهلا منهم بحق الله وجرأة منهم على قيل الكذب والباطل وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا بمعنى جمع عبد فمعنى الكلام على قراءة هؤلاء وجعلوا ملائكة الله الذين هم خلقه وعباده بنات الله فأنثوهم بوصفهم اياهم بانهم اناث والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان فى قرأة الامصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن الملائكة عباد الله وعنده واختلفوا أيضا فى قراءة قوله أشهدوا خلقهم فقرأ ذلك بعض قراء المدينة أشهدوا خلقهم بضم الالف على وجه ما لم يسم فاعله بمعنى أأشهد الله هؤلاء المشركين الجاعلين ملائكة الله اناثا خلق ملائكته الذين هم عنده فعلموا ما هم وأنهم اناث فوصفوهم بذلك لعلمهم بهم و برؤيتهم اياهم ثم ردّ ذلك الى ما لم يسم فاعله وقرئ بفتح الالف بمعنى أشهدوا هم ذلك فعلموه والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله ستكتب شهادتهم يقول تعالى ذكره ستكتب شهادة هؤلاء القائلين الملائكة بنات الله فى الدنيا بما شهدوا به عليهم و يسئلون عن شهادتهم تلك فى الآخرة أن يأتوا ببرهان على حقيقتها ولن يجدوا الى ذلك سبيلا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون من قريش لو شاء الرحمن ما عبدنا أوثاننا التى نعبدها من دونه وانما لم يحل بنا عقوبة على عبادتنا اياها لرضاه منا بعبادتناها كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لو شاء الرحمن ما عبدناهم للاوثان يقول الله عز وجل ما لهم بذلك من علم يقول ما لهم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم وانما يقولونه تخرصا وتكذبا لأنهم لا خبر عندهم منى بذلك ولا برهان وانما يقولونه ظنا وحسبانا ان هم الا يخرصون يقول ما هم الا متخرصون هذا القول الذى قالوه وذلك قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان هم الا يخرصون ما يعلمون قدرة الله على ذلك وقوله أم آتيناهم كتابا من قبله يقول تعالى ذكره آتينا هؤلاء المتخرصين القائلين لو شاء الرحمن ما عبدنا الآلهة كتابا بحقيقة ما يقولون من ذلك من قبل هذا القرآن الذى أنزلناه اليك يا محمد فهم به مستمسكون يقول فهم بذلك الكتاب الذى جاءهم من عندى من قبل هذا القرآن مستمسكون يعملون به و يدينون بما فيه ويحتجون به عليك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون ﴾ يقول تعالى ذكره ما آتينا هؤلاء القائلين لو شاء الرحمن ما عبدنا هؤلاء الأوثان بالامر بعبادتها كتابا من عندنا ولكنهم قالوا وجدنا آباءنا الذين كانوا قبلنا يعبدونها فنحن نعبدها كما كانوا يعبدونها وعنى جل ثناؤه بقوله بل وجدنا آباءنا على أمة بل وجدنا آباءنا على دين وملة وذلك هو عبادتهم الأوثان * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو

قال

قال ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله على أمة ملة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انا وجدنا آباءنا على أمة يقول وجدنا آباءنا على دين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا وجدنا آباءنا على أمة قال قد قال ذلك مشركو قريش انا وجدنا آباءنا على دين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة قال على دين واختلفت القراء في قراءة قوله على أمة فقرأته عامة قراء الأمصار على أمة بضم الألف بالمعنى الذي وصفت من الدين والملة والسنة وذكر عن مجاهد وعمر بن عبد العزيز أنهما قرآه على إمة بكسر الألف وقد اختلف في معناها اذا كسرت ألفها فكان بعضهم يوجه تأويلها اذا كسرت على أنها الطريقة وأنها مصدر من قول القائل أممت القوم فأنا أؤمهم إمة وذكر عن العرب سماعا ما أحسن عمته وإمته وجلسته اذا كان مصدرا ووجهه بعضهم اذا كسرت ألفها الى أنها الامة التي بمعنى النعيم والملك كما قال عدي ابن زيد

ثم بعد الفلاح والملك والامـ * ـة وارتهم هناك القبور

وقال أراد امامة الملك ونعيمه وقال بعضهم الأمة بالضم والامة بالكسر بمعنى واحد * والصواب من القراءة في ذلك الذي لا أستجيز غيره الضم في الألف لاجماع الحجة من قراء الأمصار عليه وأما الذين كسروها فاني لا أراهم قصدوا بكسرها الا معنى الطريقة والمنهاج على ما ذكرناه قبل لا النعمة والملك لانه لا وجه لأن يقال انا وجدنا آباءنا على نعمة ونحن لهم متبعون في ذلك لان الاتباع انما يكون في الملل والأديان وما أشبه ذلك لا في الملك والنعمة لأن الاتباع في الملك ليس بالأمر الذي يصل اليه كل من أراده وقوله وانا على آثارهم مهتدون يقول وانا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه من دينهم مهتدون يعني لهم متبعون على منهاجهم كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وانا على آثارهم مهتدون يقول وانا على دينهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانا على آثارهم مهتدون يقول وانا متبعوهم على ذلك * القول في تأويل قوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) يقول تعالى ذكره وهكذا كما فعل هؤلاء المشركون من قريش فعل من قبلهم من أهل الكفر بالله وقالوا مثل قولهم لم نرسل من قبلك يا محمد في قرية يعني الى أهلها رسلا تنذرهم عقابنا على كفرهم بنا فأنذروهم وحذروهم سخطنا وحلول عقوبتنا بهم الا قال مترفوها وهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله الا قال مترفوها قال رؤساؤهم وأشرافهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها قادتهم ورؤسهم في الشرك وقوله انا وجدنا آباءنا على أمة يقول قالوا انا وجدنا آباءنا على ملة ودين وانا على آثارهم يعني وانا على منهاجهم وطريقتهم مقتدون بفعلهم نفعل كالذي فعلوا ونعبد ما كانوا يعبدون يقول جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانما سلك مشركو قومك منهاج من قبلهم من اخوانهم من أهل الشرك بالله في اجابتهم اياك بما أجابوك به وردهم ما ردوا عليك من النصيحة واحتجاجهم بما احتجوا به لمقامهم على دينهم الباطل * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال

ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض

ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وانا على آثارهم مقتدون قال بفعلهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانا على آثارهم مقتدون فاتبعوهم على ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل أولوجئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك القائلين انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون أولوجئتكم أيها القوم من عند ربكم بأهدى الى طريق الحق وأدل لكم على سبيل الرشاد مما وجدتم أنتم عليه آباءكم من الدين والملة قالوا انا بما أرسلتم به كافرون يقول فقال ذلك لهم فأجابوه بأن قالوا له كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها لانبيائها انا بما أرسلتم به يا أيها القوم كافرون يعني جاحدون منكرون وقرأ ذلك قراء الأمصار سوى أبي جعفر قل أولوجئتكم بالتاء وذكر عن أبي جعفر القارئ أنه قرأه قل أولوجئناكم بالنون والالف والقراءة عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ يقول تعالى ذكره فانتقمنا من هؤلاء المكذبة رسلها من الأمم الكافرة بربها باحلالنا العقوبة بهم فانظر يا محمد كيف كان عقبى أمرهم اذ كذبوا بآيات الله ويعني بقوله عاقبة المكذبين آخر أمر الذين كذبوا رسل الله إلام صار يقول ألم نهلكهم فنجعلهم عبرة لغيرهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين قال شر والله أخذهم بخسف وغرق ثم أهلكهم فأدخلهم النار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه الذين كانوا يعبدون ما يعبده مشركو قومك يا محمد إنني براء مما تعبدون من دون الله فكذبوه فانتقمنا منهم كما انتقمنا ممن قبلهم من الأمم المكذبة رسلها وقيل انني براء مما تعبدون فوضع البراء وهو مصدر موضع النعت والعرب لاتثني البراء ولا تجمع ولا تؤنث فتقول نحن البراء والخلاء لما ذكرت أنه مصدر واذا قالوا هو بريء منك ثنوا وجمعوا وأنثوا فقالوا هما بريئان منك وهم بريئون منك وذكر أنها في قراءة عبدالله انني بريء بالياء وقد يجمع بريء برآء وأبراء الا الذي فطرني يقول انني بريء مما تعبدون من شئ الا من الذي فطرني يعني الذي خلقني فانه سيهدين يقول فانه سيقومني للدين الحق ويوفقني لاتباع سبيل الرشد * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه الآية قال كايدهم كانوا يقولون ان الله ربنا ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلم يبرأ من ربه حدثنا ابن عبدالأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قوله انني براء مما تعبدون يقول انني بريء مما تعبدون الا الذي خلقني حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي الا الذي فطرني قال خلقني وقوله وجعلها كلمة باقية في عقبه يقول تعالى ذكره وجعل قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وهو قول لا اله الا الله كلمة باقية في عقبه وهم ذريته فلم يزل في ذريته من يقول ذلك من بعده واختلف أهل التأويل في معنى الكلمة التي جعلها خليل الرحمن باقية في عقبه فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد وجعلها كلمة باقية في عقبه قال لا اله الا الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلها

يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا الى الله تصير الأمور﴾ ۞ القراآت ما تفعلون على الخطاب حمزة وعلي وحفص ينزل الغيث بالتشديد أبوجعفر ونافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتخفيف ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بما كسبت بدون فاء الجزاء أبوجعفر ونافع وابن عامر الباقون فبما كسبت بالفاء الجواري بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق أبوجعفر ونافع وأبوعمرو في الوصل وقرأ قتيبة ونصير وأبو عمرو بالامالة الرياح على الجمع أبوجعفر ونافع ويعلم الذين بالرفع ابن عامر وأبوجعفر ونافع الباقون بالنصب كبير الاثم على التوحيد حمزة وعلي وخلف أو يرسل بالرفع فيوحي بالاسكان نافع وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بالنصب فيهما ۞ الوقوف كذبا ج للشرط مع فاء التعقيب قلبك ط لان ما بعده مستأنف بكلماته ط الصدور ه تفعلون ه لا فضله ط شديد ه يشاء ط بصير ه رحمته ط الحميد ه دابة ط قدير ه كثير ه في الارض ط ولا نصير ه

كلمة باقية قال شهادة أن لا اله الا الله والتوحيد لم يزل فى ذرّيته من يقولها من بعده حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وجعلها كلمة باقية فى عقبه قال التوحيد والاخلاص ولا يزال فى ذرّيته من يوحد الله ويعبده حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وجعلها كلمة باقية فى عقبه قال لا اله الا الله * وقال آخرون الكلمة التى جعلها الله فى عقبه اسم الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلها كلمة باقية فى عقبه فقرأ اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين قال جعل هذه باقية فى عقبه قال الاسلام وقرأ هو سماكم المسلمين من قبل فقرأ واجعلنا مسلمين لك * وبنحو ما قلنا فى معنى العقب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى عقبه قال ولده حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وجعلها كلمة باقية فى عقبه قال يعنى من خلفه حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى عقبه قال فى عقب ابراهيم آل محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا ابن أبى فديك قال ثنا ابن أبى ذئب عن ابن شهاب أنه كان يقول العقب الولد وولد الولد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى عقبه قال عقبه ذرّيته وقوله لعلهم يرجعون يقول ليرجعوا الى طاعة ربهم ويثوبوا الى عبادته ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لعلهم يرجعون أى يتوبون أو يذكرون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون﴾ يقول تعالى ذكره بل متعت يا محمد هؤلاء المشركين من قومك وآباءهم من قبلهم بالحياة فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم حتى جاءهم الحق يعنى جل ثناؤه بالحق هذا القرآن يقول لم أهلكهم بالعذاب حتى أنزلت عليهم الكتاب وبعثت فيهم رسولا مبينا يعنى بقوله ورسول مبين محمدا صلى الله عليه وسلم وبالمبين أنه يبين لهم بالحجج التى يحتج بها عليهم أنه لله رسول محق فيما يقول ولما جاءهم الحق يقول جل ثناؤه ولما جاء هؤلاء المشركين القرآن من عند الله ورسول من الله أرسله اليهم بالدعاء اليه قالوا هذا سحر يقول هذا الذى جاءنا به هذا الرسول سحر يسحرنا به ليس بوحى من الله وانا به كافرون يقول قالوا وانا به جاحدون ننكر أن يكون هذا من الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون قال هؤلاء قريش قالوا للقرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هذا سحر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش لما جاءهم القرآن من عند الله هذا سحر فان كان حقا فهلا نزل على رجل عظيم من احدى هاتين القريتين مكة أو الطائف واختلف فى الرجل الذى وصفوه بأنه عظيم فقالوا هلا نزل عليه هذا القرآن فقال بعضهم هلا نزل على الوليد بن المغيرة المخزومى من أهل مكة أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى من أهل الطائف

كالأعلام ه ط على ظهره ط شكور ه لا كثير ه لا لمن رفع ويعلم ومن نصب فوقفه مجوّز آياتنا ط محيص ه الدنيا ج لعطف جملتى الشرط ويحتمل أن يكون الوقف مطلقا بناء على أن الثانية اخبار مستأنف يتوكلون ه ط يغفرون ه ج الصلاة ص لانقطاع النظم واتصال المعنى واتحاد المقول بينهم ص لذلك ينفقون ه ج ينتصرون ه مثلها ج على الله ط الظالمين ه سبيل ه ط الحق ط أليم ه الامور ه بعده ط من سبيل ه ج للآية مع العطف خفىّ ط القيامة ط مقيم ه من دون الله ط سبيل ط من الله ط نكير ه حفيظا ط البلاغ ط بها ج كفور ه والارض ط مايشاء ط الذكور ه لا واناثا ج لاحتمال ما بعده العطف والاستئناف أى وهو يجعل عقيما ه قدير ه مايشاء ط حكيم ه أمرنا ط عبادنا ط مستقيم ه وما فى الارض ط الامور ه ۞ التفسير لما ذكر فى أول السورة أن هذا القرآن انما حصل بوحى الله وانجز الكلام الى ههنا حكى شبهة القوم وهى زعمهم أنه مفترى وليس بوحى فقال (أم يقولون افترى) قال جار الله أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله الى أعظم أنواع الفرية وهو الافتراء على الله ثم أجابهم بقوله (فان يشا الله يختم على قلبك) أى يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لايجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان فى مثل حالهم والغرض المبالغة فى استبعاد

ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه
عن ابن عباس قوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال يعني بالعظيم الوليد بن
المغيرة القرشي أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وبالقريتين مكة والطائف * وقال آخرون بل
عني به عتبة بن ربيعة من أهل مكة وابن عبد ياليل من أهل الطائف ذكر من قال ذلك حدثنا
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال
ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد على رجل من القريتين عظيم قال عتبة بن ربيعة
من أهل مكة وابن عبد ياليل الثقفي من الطائف * وقال آخرون بل عني به من أهل مكة الوليد
ابن المغيرة ومن أهل الطائف ابن مسعود ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا
ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله رجل من القريتين عظيم قال الرجل الوليد بن المغيرة قال
لو كان ما يقول محمد حقا أنزل علي هذا أو على ابن مسعود الثقفي والقريتان الطائف ومكة وابن
مسعود الثقفي من الطائف اسمه عروة بن مسعود حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة قوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والقريتان مكة والطائف قال
قد قال ذلك مشركو قريش قال بلغنا أنه ليس فخذ من قريش الا قد ادعته وقالوا هو منا فكنا نحدث
أن الرجلين الوليد بن المغيرة وعروة الثقفي أبو مسعود يقولون هلا كان أنزل على أحد هذين
الرجلين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم قال كان أحد العظيمين عروة بن مسعود الثقفي كان عظيم أهل الطائف
* وقال آخرون بل عني به من أهل مكة الوليد بن المغيرة ومن أهل الطائف كنانة بن عبد بن عمرو
ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وقالوا لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال الوليد بن المغيرة القرشي وكنانة بن عبد بن عمرو بن
عمير عظيم أهل الطائف * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال جل ثناؤه مخبرا
عن هؤلاء المشركين وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اذ كان جائزا أن
يكون بعض هؤلاء ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عنوا منهم في كتابه ولا على لسان
رسوله صلى الله عليه وسلم والاختلاف فيه موجود على ما بينت وقوله أهم يقسمون رحمة ربك
يقول تعالى ذكره أهؤلاء القائلون لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يا محمد يقسمون
رحمة ربك بين خلقه فيجعلون كرامته لمن شاؤا وفضله لمن أرادوا أم الله الذي يقسم ذلك فيعطيه
من أحب ويحرمه من شاء * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك
عن ابن عباس قال لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك ومن أنكر منهم فقالوا الله أعظم
من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد قال فأنزل الله عز وجل أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل
منهم أن أنذر الناس وقال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر يعني أهل
الكتب الماضية أبشرا كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة فان كانوا ملائكة أتتكم وان كانوا
بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد رسولا قال ثم قال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل
القرى أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم قال فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا واذ كان بشرا فغير محمد كان
أحق بالرسالة فلولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يقولون أشرف من محمد صلى الله
عليه وسلم يعنون الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى ريحانة قريش هذا من مكة ومسعود بن

الافتراء من مثله والتعريض بأن من
ينسبه الى الافتراء فهو مختوم على
قلبه وقيل لأنساك ما أتاك من
القرآن ولكنه لم يشأ فأثبته فيه وقيل
لأماتك فان قلب الميت كالمختوم
عليه ومثله لقطعنا منه الوتين قاله
قتادة وقال مجاهد ومقاتل يربط على
قلبك بالصبر على أذاهم فلا يدخل
قلبك حزن مما قالوه ثم استأنف فقال
ويمح الله الباطل أي من عادته ذلك
فلو كان محمد صلى الله عليه وسلم مبطلا
لفضحه وكشف عن باطله وحذف
الواو من الخط لا للجزم كما في قوله
ويدع الانسان سندع الزبانية
وفي تفسير الجبائي أن الواو حذف
للجزم والمعنى ان افتريت ختم على
قلبك ومحا الباطل المفترى
فالاستئناف على هذا من قوله ويحق
الحق بكلماته أي يثبت ما هو الحق
في نفسه بوحيه أو بقضائه ويجوز
أن يكون وعدا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بأنه يمحو الباطل الذي هم
عليه من البهت والتكذيب ويظهر
الحق الذي أنت عليه وهو القرآن
بحكمه السابق وبعلمه القديم (انه
عليم بذات الصدور) فيجازي
المبطل والمحق على حسب حاليهما
وحين وبخهم على البهت والتكذيب
ندبهم الى التوبة وعرفهم أنه يقبلها
من كل مسيء والآية واضحة مما سلف
تارات ولاسيما في أوائل البقرة
في توبة آدم أما الضمير في قوله
(ويستجيب) فعائد الى الله سبحانه
وأصله ويستجيب لهم فحذف
الجار والمراد أنه اذا دعوه استجاب
لهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على
مطلوبهم تفضلا وقيل لا ضمير فيه
وانما الظاهر بعده فاعله قال سعيد

عمرو بن عبيد الله الثقفى من أهل الطائف قال يقول الله عز وجل ردًا عليهم أهم يقسمون رحمة ربك أنا أفعل ما شئت وقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا يقول تعالى ذكره بل نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا فنجعل من شئنا رسولا ومن أردنا صديقا ونتخذ من أردنا خليلا كما قسمنا بينهم معيشتهم التى يعيشون بها فى حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة بل جعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا ملكا وهذا مملوكا ليتخذ بعضهم بعضا سخريا * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الله تبارك وتعالى أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا فتلقاه ضعيف الحيلة عيي اللسان وهو مبسوط له فى الرزق وتلقاه شديد الحيلة سليط اللسان وهو مقتور عليه قال الله جل ثناؤه نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا كما قسم بينهم صورهم وأخلاقهم تبارك ربنا وتعالى وقوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا يقول ليستسخر هذا هذا فى خدمته اياه وفى عود هذا على هذا بما فى يديه من فضل يقول جعل تعالى ذكره بعضا لبعض سببا فى المعاش فى الدنيا وقد اختلف أهل التأويل فيما عنى بقوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فقال بعضهم معناه ما قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال يستخدم بعضهم بعضا فى السخرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال هم بنو آدم جميعا قال وهذا عبد هذا و رفع هذا على هذا درجة فهو يسخره بالعمل يستعمله به كما يقال سخر فلان فلانا * وقال بعضهم بل عنى بذلك ليملك بعضهم بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك فى قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا يعنى بذلك العبيد والخدم سخر لهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ملكة وقوله ورحمة ربك خير مما يجمعون يقول تعالى ذكره ورحمة ربك يا محمد بادخالهم الجنة خير لهم مما يجمعون من الأموال فى الدنيا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ورحمة ربك خير مما يجمعون يعنى الجنة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ورحمة ربك يقول الجنة خير مما يجمعون فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾ يقول تعالى ذكره ولولا أن يكون الناس أمة جماعة واحدة ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى لم يؤمن اجتماعهم عليه لو فعل ما قال جل ثناؤه وما به لم يفعله من أجله فقال بعضهم ذلك اجتماعهم على الكفر وقال معنى الكلام ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على الكفر فيصير جميعهم كفارا لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة يقول الله سبحانه لولا أن أجعل الناس كلهم كفارا لجعلت للكفار لبيوتهم سقفا من فضة حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة بن خليفة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة قال لولا أن يكون الناس كفارا أجمعون يميلون الى الدنيا لجعل الله تبارك وتعالى الذى قال ثم قال والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل ذلك فكيف لو فعله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا

ابن جبير أراد أن المؤمنين يجيبونه اذا دعاهم وعن ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه أنه قيل ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه وقرأ والله يدعوا الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا وحيث وعد الاستجابة للمؤمنين كان لسائل أن يقول انا نرى المؤمن فى شدة و بلية وفقر ثم انه يدعو الله فلا يشاهد أثر الاجابة فلا جرم قال (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض) أى ظلم بعضهم بعضا وعصوا الله وهذه ليست بقضية كلية دائمة ولكنها أكثرية فان المال معين قوى على تحصيل المطالب ودفع ما لا يلائم النفس واذا كانت الآلة موجودة وداعية الشر فى طبع الانسان مجبولة فقلما لا يقع مقتضاه فى الخارج وأيضا ان أكثر الناس انما يخدم مثله و يتسخره طمعا فى ماله أو جاهه التابع للمال غالبا فلو تساويا فى المال استنكف كل منهما من الانقياد لصاحبه فارتفعت رابطة التعاون وانقطعت سلسلة التمدن وقيل ان الآية نزلت فى العرب كانوا اذا أخصبوا تحاربوا وأغار بعضهم على بعض ولبعضهم شعر

قوم اذا نبت الربيع بأرضهم
نبتت [illegible]تهم مع البقل

وقال محمد بن جرير [illegible]ت فى أصحاب الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى وقوله (بقدر) أى على قدر المصلحة ووفق حال الشخص كقوله وما ننزله الا بقدر معلوم وحين بين أن حكمته اقتضت عدم توسيع الرزق على كل الخلق أراد أن يبين أنه لا يترك ما يحتاجون اليه وان بلغ أمرهم الى حد اليأس والقنوط فقال (وهو

سعيد عن قتادة قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة أى كفارا كلهم حدثنا محمد بن
عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ولولا أن يكون الناس أمة واحدة قال لولا
أن يكون الناس كفارا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ولولا
أن يكون الناس أمة واحدة يقول كفارا على دين واحد * وقال آخرون اجتماعهم على طلب
الدنيا وترك طلب الآخرة وقال معنى الكلام ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على طلب الدنيا
ورفض الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
فى قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة قال لولا أن يختار الناس دنياهم على دينهم لجعلنا هذا
لأهل الكفر وقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة يقول تعالى ذكره لجعلنا
لمن يكفر بالرحمن فى الدنيا سقفا يعنى أعالى بيوتهم وهى السطوح فضة كما حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لبيوتهم سقفا من فضة السقف أعلى البيوت * واختلف أهل
العربية فى تكرير اللام التى فى قوله لمن يكفر وفى قوله لبيوتهم فكان بعض نحويى البصرة يزعم أنها
أدخلت فى البيوت على البدل وكان بعض نحويى الكوفة يقول ان شئت جعلتها فى لبيوتهم
مكررة كما فى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه وان شئت جعلت اللامين مختلفتين كأن الثانية فى
معنى على كأنه قال جعلنا لهم على بيوتهم سقفا قال وتقول العرب للرجل فى وجهه جعلت لك
لقومك الأعطية أى جعلته من أجلك لهم واختلفت القراء فى قراءة قوله سقفا فقرأته عامة قراء
أهل مكة وبعض المدنيين وعامة البصريين سقفا بفتح السين وسكون القاف اعتبارا منهم
ذلك بقوله فخر عليهم السقف من فوقهم وتوجيها منهم ذلك الى أنه بلفظ واحد معناه الجمع وقرأه
بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة سقفا بضم السين والقاف ووجهوها الى أنها جمع سقيفة
أو سقوف واذا وجهت الى أنها جمع سقوف كانت جمع الجمع لان السقوف جمع سقف ثم تجمع
السقوف سقفا فيكون ذلك نظير قراءة من قرأه فرهن مقبوضة بضم الراء والهاء وهى الجمع واحدها
رهان ورهون وواحد الرهون والرهان رهن وكذلك قراءة من قرأ كلوا من ثمره بضم وكذلك قراءة
من قرأ كلوا من ثمره بضم الثاء والميم ونظير قول الراجز * حتى اذا بلت حلاقيم الحلق *
وقد زعم بعضهم أن السقف بضم السين والقاف جمع سقف والرهن بضم الراء والهاء جمع رهن
فأغفل وجه الصواب فى ذلك وذلك أنه غير موجود فى كلام العرب اسم على تقدير فعل بفتح
الفاء وسكون العين مجموعا على فعل فيجعل السقف والرهن مثله * والصواب من القول فى ذلك
عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى معروفتان فى قرأة الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب
وقوله ومعارج عليها يظهرون يقول ومراقى ودرجا عليها يصعدون فيظهرون على السقف
والمعارج هى الدرج نفسها كما قال المثنى بن جندل * يارب قرب البيت ذى المعارج *
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح
قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ومعارج قال معارج من فضة وهى درج حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومعارج عليها يظهرون أى درجا عليها يصعدون
حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ومعارج عليها يظهرون قال
المعارج المراقى حدثنا محمد قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ومعارج عليها
يظهرون قال درج عليها يرفعون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى
أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومعارج عليها يظهرون قال درج عليها يصعدون الى الغرف

الذى ينزل الغيث) الآية ونشر الرحمة
عموم المطر الارض أو هى عامة
فى كل رحمة سوى المطر (وهو الولى
الذى يتولى أمور عباده (الحميد) على
كل ما يفعله ولا ريب أن هذه من جملة
دلائل القدرة فلذلك عطف عليها
قوله (ومن آياته خلق السموات
والارض) ومحل قوله (وما بث)
اما مجرور عطفا على السموات
أو مرفوع عطفا على خلق وانما قال
(فيهما من دابة) مع أن الدواب
فى الارض وحدها لان الشئ قد
ينسب الى جميع المذكور وان كان
متلبسا ببعضه كما يقال بنو فلان فعلوا
كذا ولعله قد فعله واحد منهم فقط
ويجوز أن يكون للملائكة مع الطيران
مشى فيتصفوا بالدبيب كالانسان
أو يكون فى السموات أنواع أخر
من الخلائق يدبون كما يدب الحيوان
فى الارض (وهو على جمعهم) أى
احيائهم بعد الموت (اذا يشاء قدير)
واذا يدخل على الماضى ومعنى
الاستقبال فى يشاء يعود الى
تعلق المشيئة لا الى نفس المشيئة
القديمة ثم بين حال المكلفين وأن
ما يصيبهم من ألم ومكروه وبلاء
فهو عقوبة للمعاصى التى اكتسبوها
وأن الله يعفو عن كثير من الذنوب
أو الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة
رحمة أو استدراجا قال الحسن
أراد اقامة الحدود على المعاصى وأنه
لم يجعل لبعض الذنوب حدا وقيل
ان هذا فى يوم القيامة فان الدنيا دار
تكليف لا دار جزاء ولقائل أن يقول
يكون الجزاء الأوفى على الاثم
مخصوصا بالقيامة لا ينافى وصول
بعض الجزاء الى المكلف فى الدنيا
ولهذا قال على رضى الله عنه هذه
أرجى آية للمؤمنين فى كتاب الله

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومعارج عليها يظهرون قال المعارج درج من فضة ﴿القول في تأويل قوله تعالى (ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكؤن وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) يقول تعالى ذكره وجعلنا لبيوتهم أبوابا من فضة وسررا من فضة كما حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وسررا قال سرر فضة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكؤن قال الابواب من فضة والسرر من فضة عليها يتكؤن يقول على السرر يتكؤن وقوله وزخرفا يقول ولجعلنا لهم مع ذلك زخرفا وهو الذهب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وزخرفا وهو الذهب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وزخرفا قال الذهب وقال الحسن بيت من زخرف قال ذهب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وزخرفا والزخرف الذهب قال قد والله كانت تكره ثياب الشهرة وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اياكم والحمرة فانها من أحب الزينة الى الشيطان حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وزخرفا قال الذهب حدثنا (١) أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وزخرفا قال الذهب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وزخرفا لجعلنا هذا لأهل الكفر يعني لبيوتهم سقفا من فضة وما ذكر معها قال والزخرف سمي هذا الذي سمي السقف والمعارج والابواب والسرر من الاثاث والفرش والمتاع حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وزخرفا يقول ذهبا والزخرف على قول ابن زيد هذا هو ما تتخذه الناس في منازلهم من الفرش والامتعة والآلات وفي نصب الزخرف وجهان أحدهما أن يكون معناه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومن زخرف فلما لم يكرر عليه من نصب على اعمال الفعل فيه ذلك والمعنى فيه فكأنه قيل وزخرفا يجعل ذلك لهم منه والوجه الثاني أن يكون معطوفا على السرر فيكون معناه لجعلنا لهم هذه الاشياء من فضة وجعلنا لهم مع ذلك ذهبا يكون لهم غنى يستغنون بها ولو كان التنزيل جاء بخفض الزخرف لكان لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومن زخرف فكان الزخرف يكون معطوفا على الفضة وأما المعارج فانها جمعت على مفاعل وواحدها معراج على جمع معرج كما يجمع المفتاح مفاتح على جمع مفتح لانهما لغتان معرج ومفتح ولو جمع معاريج كان صوابا كما يجمع المفتاح مفاتيح اذ كان واحده معراج وقوله وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا يقول تعالى ذكره وما كل هذه الاشياء التي ذكرت من السقف من الفضة والمعارج والابواب والسرر من الفضة والزخرف إلا متاع يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين يقول تعالى ذكره وزين الدار الآخرة وبهاؤها عند ربك للمتقين الذين اتقوا الله فخافوا عقابه فجدوا في طاعته وحذروا معاصيه خاصة دون غيرهم من خلق الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والآخرة عند ربك للمتقين خصوصا ﴿القول في تأويل قوله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) يقول تعالى ذكره ومن يعرض عن ذكر الله فلم يخف سطوته ولم يخش عقابه نقيض له شيطانا فهو له قرين يقول نجعل له شيطانا يغويه فهو له قرين يقول فهو للشيطان قرين أي يصير كذلك وأصل العشو النظر بغير ثبت لعلة

وذلك أنه تعالى قسم ذنوب المؤمنين صنفين صنف يكفره عنهم بالمصائب وصنف يعفو عنه وهو كريم لا يرجع في عفوه نعم لو عكست القضية وقيل ما كسبت أيديكم فانه يصيبكم به ألم وعذاب في الدنيا لكان هذا منافيا لكون الجزاء في الآخرة ولحصول العفو أيضا روي عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقال ما عفا الله عنه فهو أعز وأكرم من أن يعود اليه في الآخرة وما عاقب عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يعيد عليه العذاب في الآخرة قال أهل التناسخ لولا أن الأطفال والبهائم لهم حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة ما كانوا ليتألموا فانهم لا ذنوب لهم الآن وأجيب بالتزام أنهم لا يتألمون من المصائب والآلام وفيه بعد وبأن الخطاب في الآية لذوي العقول البالغين وبأنها في البالغين عقوبة أو زيادة درجة وفي الاطفال مثوبة لهم أو لوالديهم ثم خاطب المشركين بقوله (وما أنتم بمعجزين) الآية ثم ذكر دليلا آخر قائلا (ومن آياته الجوارى) أي السفن الجوارى (في البحر كالأعلام) أي كالجبال في العظم ولا شك أن جريانها بواسطة هبوب الرياح فلذلك قال (ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) أي فيصرن واقفة على ظهر ماء البحر (ان في ذلك لآيات لكل صبار) على البلاء (شكور) على الآلاء أو صبار في السفينة شكور اذا خرج منها (أو) ان يشأ (يوبقهن) أي يهلك السفينة بما فيها بالغرق أو الكسر لعصوف الريح وغيره (بما كسبوا) من كفران نعم الله وعصيانه

(١) يظهر أن هذا مكرر فليحرر كتبه مصححه

في العين يقال منه عشا فلان يعشو عشوا وعشوا اذا ضعف بصره وأظلمت عينه كأن عليه غشاوة كما قال الشاعر

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

يعني متى تفتقر فتأته يعنك وأما اذا ذهب البصر ولم يبصر فانه يقال فيه عشي فلان يعشى عشى منقوص ومنه قول الاعشى

رأت رجلا غائب الوافديـ * ـن مختلف الخلق أعشى ضريرا

يقال منه رجل أعشى وامرأة عشواء وانما معنى الكلام ومن لا ينظر في حجج الله بالاعراض منه عنه الا نظرا ضعيفا كنظر من قد عشي بصره نقيض له شيطانا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا يقول اذا أعرض عن ذكر الله نقيض له شيطانا فهو له قرين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن قال يعرض وقد تأوله بعضهم بمعنى ومن يعم ومن تأول ذلك كذلك فيجب أن تكون قراءته ومن يعش بفتح الشين على ما بينت قبل ذكر من تأوله كذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن قال من يعم عن ذكر الرحمن وقوله وانهم ليصدونهم عن السبيل يقول تعالى ذكره وان الشياطين ليصدون هؤلاء الذين يعشون عن ذكر الله عن سبيل الحق فيزينون لهم الضلالة و يكرهون اليهم الايمان بالله والعمل بطاعته و يحسبون أنهم مهتدون يقول و يظن المشركون بالله بتحسين الشياطين لهم ماهم عليه من الضلالة أنهم على الحق والصواب يخبر تعالى ذكره عنهم أنهم من الذي هم عليه من الشرك على شك وعلى غير بصيرة وقال جل ثناؤه وانهم ليصدونهم عن السبيل فأخرج ذكرهم مخرج ذكر الجميع وانما ذكر قبل واحدا فقال نقيض له شيطانا لأن الشيطان وان كان لفظه واحدا ففي معنى جمع ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿حتى اذا جاءنا قال ياليت بيني و بينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله حتى اذا جاءنا فقرأته عامة قراء الحجاز سوى ابن محيصن و بعض الكوفيين و بعض الشاميين حتى اذا جاآنا على التثنية بمعنى حتى اذا جاءنا هذا الذي عشي عن ذكر الرحمن وقرينه الذي قيض له من الشياطين وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وابن محيصن حتى اذا جاءنا على التوحيد بمعنى حتى اذا جاءنا هذا العاشي من بني آدم عن ذكر الرحمن * والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتا المعنى وذلك أن في خبر الله تبارك وتعالى عن حال أحد الفريقين عند مقدمه عليه فيما أقرنا فيه في الدنيا الكفاية للسامع عن خبر الآخر لذكان الخبر عن حال أحدهما معلوما به خبر حال الآخر وهما مع ذلك قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا جاآنا هو وقرينه جميعا وقوله ياليت بيني و بينك بعد المشرقين يقول تعالى ذكره قال أحد هذين القرينين لصاحبه الآخر وددت أن بيني و بينك بعد المشرقين أي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما قيل شبه القمرين وكما قال الشاعر

أخذنا بآفاق السماء عليكم * لنا قمراها والنجوم الطوالع

وكما

(و يعف عن كثير) من الذنوب فلا يجازي عليها في الدنيا ولا في الآخرة والحاصل أنه ان يشأ يسكن الريح فتبق الجواري واقفة على متن البحر أو ان يشأ يهلك ناسا و ينج ناسا على طريق العفو عنهم من رفع (و يعلم) فعلى الاستئناف ومن نصب فللعطف على تعليل محذوف أي لينتقم منهم و يعلم قاله في الكشاف وقال الكوفيون ومنهم الزجاج النصب باضمار أن لأن قبلها جزاء تقول ما تصنع أصنع وأكرمك ووجهه أن هذا في تأويل المصدر معطوف على مصدر أصنع مقدرا ثم استأنف قوله (مالهم من محيص) أي لا مهرب للمجادلين عن عقابه ثم رغب المكلفين عن الدنيا وفي الدنيا وفي الآخرة وقد مر نظيره في القصص الا أنه ذكرههنا أن هذه الخيرية تحصل للموصوفين بصفات احداها الايمان والثانية التوكل على الرب والثالثة الاجتناب عن الكبائر والفواحش كقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه انما حرم ربي الفواحش ومن قرأ كبير على التوحيد فللجنس وفسره ابن عباس بالشرك الرابعة الغفران عند الغضب وهم تأكيد للضمير أو مبتدأ ما بعده خبره قال بعض العلماء يحتمل ان يراد بالكبائر ما يتعلق بالبدع والعقائد الفاسدة وهي من فساد القوة العقلية و بالفواحش فساد القوة الشهوية و بالأخيرة ما يتعلق بالقوة الغضبية قال المفسرون نزل قوله (والذين استجابوا لربهم) في الانصار دعاهم الله و رسوله الى التوحيد فأطاعوا ورضوا بقضائه وواظبوا على الصلوات الخمس وكانوا قبل

وكما قال الآخر

و بصرة الأزد منا والعراق لنا * والموصلان ومنا مصر والحرم

يعني الموصل والجزيرة فقال الموصلان فغلب الموصل وقد قيل عني بقوله بعد المشرقين مشرق الشتاء ومشرق الصيف وذلك أن الشمس تطلع في الشتاء من مشرق وفي الصيف من مشرق غيره وكذلك المغرب تغرب في مغربين مختلفين كما قال جل ثناؤه رب المشرقين ورب المغربين وذكر أن هذا قول أحدهما لصاحبه عند لزوم كل واحد منهما صاحبه حتى يورده جهنم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن سعيد الجريري قال بلغني أن الكافر اذا بعث يوم القيامة من قبره سفع بيده الشيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما الله الى النار فذلك حين يقول ياليت بيني و بينك بعد المشرقين فبئس القرين وأما المؤمن فيوكل به ملك فهو معه حتى قال اما يفصل بين الناس أو نصير الى ماشاء الله وقوله ولن ينفعكم اليوم أيها العاشون عن ذكر الله في الدنيا اذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون يقول لن يخفف عنكم اليوم من عذاب الله اشتراككم فيه لأن لكل واحد منكم نصيبه منه وأن من قوله أنكم في موضع رفع لما ذكرت أن معناه لن ينفعكم اشتراككم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفأنت تسمع الصم من قد سلبه الله استماع حججه التي احتج بها في هذا الكتاب فأصمه عنه أو تهدي الى طريق الهدى من أعمى الله قلبه عن ابصاره واستحوذ عليه الشيطان فزين له الردى ومن كان في ضلال مبين يقول أو تهدي من كان في جور عن قصد السبيل سالك غير سبيل الحق قد أبان ضلاله أنه عن الحق زائل وعن قصد السبيل جائر يقول جل ثناؤه ليس ذلك اليك انما ذلك الى الله الذي بيده صرف قلوب خلقه كيف شاء وانما أنت منذر فبلغهم النذارة وقوله فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون اختلف أهل التأويل في المعنيين بهذا الوعيد فقال بعضهم عني به أهل الاسلام من أمة نبينا عليه الصلاة والسلام ذكر من قال ذلك حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال ثني أبي عن أبي الاشهب عن الحسن في قوله فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون قال لقد كانت بعد نبي الله نقمة شديدة فأكرم الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يريه في أمته ما كان من النقمة بعده حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون فذهب الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ولم يرفي أمته الا الذي تقر به عينه وأبقى الله النقمة بعده وليس من نبي الا وقد رأى في أمته العقوبة أوقال مالا يشتهي ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى الذي لقيت أمته بعده فما زال منقبضا ما انبسط ضاحكا حتى لقي الله تبارك وتعالى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال تلا قتادة فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون فقال ذهب النبي صلى الله عليه وسلم و بقيت النقمة ولم ير الله نبيه صلى الله عليه وسلم في أمته شيأ يكرهه حتى مضى ولم يكن نبي قط الا رأى العقوبة في أمته الا نبيكم صلى الله عليه وسلم قال وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى ما يصيب أمته بعده فما رؤي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله * وقال آخرون بل عني به أهل الشرك من قريش وقالوا قد أرى الله نبيه عليه الصلاة والسلام فيهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون كما انتقمنا من الامم الماضية أو نرينك الذي وعدناهم فقد أراه الله ذلك وأظهره عليه وهذا القول الثاني

الاسلام متشاورين في كل أمر دهمهم غير منفردين برأي والشورى مصدر كالفتيا والمضاف محذوف أي ذو التشاور وليس بين قوله هم ينتصرون أي ينتقمون و بين قوله يغفرون منافاة فان هذه أخص من الاولى اذ البغي هو الذي يؤدي الى الفساد ولا يصير عفوه سببا لتسكين ثائرة الفتنة ولرجوع الجاني عن جنايته ويجوز أن يتوجه المدح في الانتصار الى كون المظلوم بحيث يراعي حد الشرع ولا يتجاوزه حتى لو زاد عليه لم يكن منتصرا ولا يستحق المدح فهذه خمس صفات أخرى للراغبين في الدار الآخرة ثم بين أن شرعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) حتى لو قال اخزاه الله لا يزيد في الجواب عليه شيأ وسمى الثانية سيئة ازدواجا للكلام أو لأن السيئة هي التي يكرهها الانسان طبعا كالقصاص والقطع وسائر الحدود وقد لا يمكن رعاية المماثلة كما في قتل الانفس بنفس واحدة أو كقطع الايدي بواحدة اذا تعاونوا على قطعها وتعديد ذلك في الفقه وانما عرف ذلك بنص آخر أو بقياس جلي ثم حث مع ذلك على العفو والصبر قائلا (فمن عفى وأصلح) ما بينه و بين خصمه بالاغضاء والعفو (فأجره على الله) فان الانتصار حسن في نفسه ولا سيما اذا كان فيه مصلحة دينية كزجر وارتداع الا أن العفو أحسن لانه لا يكاد يؤمن في الانتصار التجاوز عن حد الاعتدال ولهذا حذر منه بقوله (انه لا يحب الظالمين) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له أجر

أولى التأويلين فى ذلك بالصواب وذلك أن ذلك فى سياق خبر الله عن المشركين فلأن يكون ذلك تهديدا لهم أولى من أن يكون وعيدا لمن لم يجر له ذكر فمعنى الكلام اذ كان ذلك كذلك فان نذهب بك يا محمد من بين أظهر هؤلاء المشركين فنخرجك من بينهم فانا منهم منتقمون كما فعلنا ذلك بغيرهم من الامم المكذبة رسلها أو نرينك الذى وعدناهم يا محمد من الظفر بهم واعلائك عليهم فانا عليهم مقتدرون أن نظهرك عليهم ونخزيهم بيدك وأيدى المؤمنين بك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فتمسك يا محمد بما يأمرك به هذا القرآن الذى أوحاه اليك ربك انك على صراط مستقيم ومنهاج سديد وذلك هو دين الله الذى أمر به وهو الاسلام كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم أى الاسلام حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فاستمسك بالذى أوحى اليك بالقرآن انك على صراط مستقيم وقوله وانه لذكر لك ولقومك يقول تعالى ذكره وان هذا القرآن الذى أوحى اليك يا محمد الذى أمرناك أن تستمسك به لشرف لك ولقومك من قريش وسوف تسئلون يقول وسوف يسألك ربك واياهم عما عملتم فيه وهل عملتم بما أمركم ربكم فيه وانتهيتم عما نهاكم عنه فيه * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله وانه لذكر لك ولقومك يقول ان القرآن شرف لك حدثنى عمرو ابن مالك قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وانه لذكر لك ولقومك قال يقال للرجل من أنت فيقول من العرب فيقال من أى العرب فيقول من قريش حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانه لذكر لك ولقومك وهو هذا القرآن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وانه لذكر لك ولقومك قال شرف لك ولقومك يعنى القرآن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وانه لذكر لك ولقومك قال أولم تكن النبوة والقرآن الذى أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم ذكرا له ولقومه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾

اختلف اهل التأويل فى معنى قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا ومن الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسألتهم ذلك فقال بعضهم الذين أمر بمسألتهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنو أهل الكتابين التوراة والانجيل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الأعلى بن واصل قال ثنا يحيى بن آدم عن ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال فى قراءة عبد الله بن مسعود واسأل الذين أرسلنا اليهم قبلك رسلنا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا انها قراءة عبد الله سل الذين أرسلنا اليهم قبلك رسلنا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا يقول سل أهل التوراة والانجيل هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد أن يوحدوا الله وحده قال وفى بعض القراءة واسأل الذين أرسلنا اليهم رسلنا قبلك أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى بعض الحروف واسأل الذين أرسلنا اليهم قبلك من رسلنا سل أهل الكتاب أما كانت الرسل تأتيهم بالتوحيد أما كانت تأتى بالاخلاص حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله

على الله فليقم فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله ثم كرر أن الانتصار لا يؤاخذ به ولا سبيل للوم اليه لئلا يظن ان وعد الأجر على العفو يقتضى قبح الانتصار فى نفسه فقال (ولمن انتصر) الآية وقوله (بعد ظلمه) من اضافة المصدر الى المفعول والباقى واضح الى قوله الامور وانما أدخل اللام فى الخبر خلاف ما فى لقمان لأن الصبر على المكروه الذى هو ظلم أشد من الصبر على الذى ليس بظلم وتكريرا الحث على الصبر لمزيد التأكيد أيضا ثم ذكر أن الاضلال والهداية التى هى نقيضه انما تتعلق بمشيئته والمعتزلة يتأولون الاضلال بالخذلان أو بالاضلال عن طريق الجنة ثم حكى أن الكفار عند معاينة عذاب النار يتمنون الرجعة الى الدنيا ثم عقبه بذكر حالهم حين يعرضون على النار الخشوع بمعنى الهوان ولهذا علق بقوله من الذل وقد يعلق بينظرون أى لهذا السبب يبتدئ نظرهم من تحريك أجفانهم وهو ضعيف فان الناظر الى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها وقد يفسر الطرف الخفى بمعنى البصيرة بناء على أن الكفار يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم والاكثرون أجابوا عنه فقالوا العلهم يكونون فى الابتداء هكذا ثم يجعلون عميا أو لعل هذا فى قوم وذلك فى قوم ثم حكى قول المؤمنين فيهم و (يوم القيامة) ظرف لخسروا كما فى الزمر فيحتمل أن يكون قول المؤمنين فيه أو فى الدنيا ويجوز فى الكشاف أن يكون ظرفا

واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا فى قراءة ابن مسعود وسل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك يعنى مؤمنى أهل الكتاب * وقال آخرون بل الذين أمر بمسئلتهم ذلك الانبياء الذين جمعوا له ليلة أسرى به ببيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واسئل من أرسلنا من قبلك الآية قال جمعوا له ليلة أسرى به ببيت المقدس فأمهم وصلى بهم فقال الله له سلهم قال فكان أشد ايمانا و يقينا بالله و بما جاءه من الله من أن يسألهم وقرأ فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال فلم يكن فى شك ولم يسأل الانبياء ولا الذين يقرؤن الكتاب قال ونادى جبرائيل صلى الله عليه وسلم فقلت فى نفسى الآن يؤمنا أبونا ابراهيم قال فدفع جبرائيل فى ظهرى قال تقدم يا محمد فصل وقرأ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام حتى بلغ لنريه من آياتنا * وأولى القولين بالصواب فى تأويل ذلك قول من قال عنى به سل مؤمنى أهل الكتابين فان قال قائل وكيف يجوز أن يقال سل الرسل فيكون معناه سل المؤمنين بهم و بكتابهم قيل جاز ذلك من أجل أن المؤمنين بهم و بكتبهم أهل بلاغ عنهم ما أتوهم به عن ربهم فالخبر عنهم وعما جاؤا به من ربهم اذا صح بمعنى خبرهم والمسئلة عما جاؤا به بمعنى مسألتهم اذا كان المسؤل من أهل العلم بهم والصدق عليهم وذلك نظير أمر الله جل ثناؤه ايانا بردّ ما تنازعنا فيه الى الله والى الرسول يقول فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والى الرسول ومعلوم أن معنى ذلك فردوه الى كتاب الله وسنة رسوله لأن الردّ الى ذلك ردّ الى الله والرسول وكذلك قوله واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا انما معناه فاسأل كتب الذين أرسلنا من قبلك من الرسل فانك تعلم صحة ذلك من قبلها فاستغنى بذكر الرسل من ذكر الكتب اذ كان معلوما ما معناه وقوله أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون يقول أمرناهم بعبادة الآلهة من دون الله فيما جاؤهم به أو أتوهم بالامر بذلك من عندنا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون أتتهم الرسل يأمرونهم بعبادة الآلهة من دون الله وقيل آلهة يعبدون فأخرج الخبر عن الآلهة مخرج الخبر عن ذكور بنى آدم ولم يقل تعبد ولا يعبدن فتؤنث وهى حجارة أو بعض الجماد كما يفعل فى الخبر عن بعض الجماد وانما فعل ذلك كذلك اذ كانت تعبد وتعظم تعظيم الناس ملوكهم وسراتهم فأجرى الخبر عنها مجرى الخبر عن الملوك والاشراف من بنى آدم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا يا محمد موسى بحججنا الى فرعون وأشراف قومه كما أرسلناك الى هؤلاء المشركين من قومك فقال لهم موسى انى رسول رب العالمين كما قلت أنت لقومك من قريش انى رسول الله اليكم فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون يقول فلما جاء موسى فرعون وملأه بحججنا وأدلتنا على صدق قوله فيما يدعوهم اليه من توحيد الله والبراءة من عبادة الآلهة اذا فرعون وقومه مما جاءهم به موسى من الآيات والعبر يضحكون كما أن قومك مما جئتهم به من الآيات والعبر يسخرون وهذا تسلية من الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مشركى قومه واعلام منه له أن قومه من أهل الشرك لن يعدوا أن يكونوا كسائر الامم الذين كانوا على منهاجهم فى الكفر بالله وتكذيب رسله وندب منه نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاستنان فى الصبر عليهم بسنن أولى العزم من الرسل واخبار منه له أن عقبى مردتهم الى البوار والهلاك كسنته فى المتمردين عليه قبلهم واظفاره بهم واعلائه أمره كالذى فعل بموسى عليه

لقال والنكير الانكار اى مالكم من مخلص ولا من قدرة أن تنكروا شيأ مما دوّن فى صحائف أعمالكم أو مالكم من ينكر علينا حتى يغير شيأ من أحوالكم ثم سلى نبيه بقوله فان أعرضوا ثم ذكر سبب اصرارهم على عقائدهم الفاسدة وهو الضعف الذى جبل عليه الانسان من البطر عند الغنى والفراغ فى زمن الصحة والأمن فى زمن الكفران ونسيان نعم الله عند البلاء وانما جمع قوله وان تصبهم لأن الانسان جنس يشمل أهل الغفلة كلهم وقوله (فان الانسان) من وضع الظاهر موضع الضمير وفائدته التسجيل على أن هذا الجنس من شأنه ذلك الا اذا أدب النفس وراضها ثم بين كمال قدرته بقوله (لله ملك السموات والارض) الآية والمقصود أن الانسان لا يغتر بما يملكه من الجاه والمال ولا يعتقد أنه حصل بجد أوجده فيعجب به و يعرض عن طاعة ربه ثم ذكر من أقسام تصرفه فى ملكه أنه يخص البعض من الحيوان بالاولاد الاناث والبعض بالذكور والبعض بالصنفين والبعض يجعله عديم الولد وقدم ذكر الاناث تطييبا لقلوب آبائهن أو لأنهن مكروهات عند العرب فناسب أن يقرن اللفظ الدال عليهن باللفظ الدال على البلاء أو لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاء الانسان فكان ذكر الاناث التى هى من جملة ما لا يشاء الانسان أهم وفيه نقل الانسان من الغم الى الفرح ولا ريب أن هذا أولى من العكس وفيه أن الانسان اذا رضى بالانثى فاذا أعطاه الذكر علم

السلام وقومه الذين آمنوا به من اظهارهم على فرعون وملئه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون ﴾ يقول تعالى ذكره وما نرى فرعون وملأه آية يعنى حجة لنا عليه بحقيقة مايدعوه اليه رسولنا موسى إلا هى أكبر من أختها يقول الا التى نريه من ذلك أعظم فى الحجة عليهم وأوكد من التى مضت قبلها من الآيات وأدل على صحة ما يأمره به موسى من توحيد الله وقوله وأخذناهم بالعذاب يقول وأنزلنا بهم العذاب وذلك كأخذه تعالى ذكره اياهم بالسنين ونقص من الثمرات وبالجراد والقمل والضفادع والدم وقوله لعلهم يرجعون يقول ليرجعوا عن كفرهم بالله الى توحيده وطاعته والتوبة مما هم عليه مقيمون من معاصيهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون أى يتوبون أو يذكرون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون ﴾ يقول تعالى ذكره وقال فرعون وملؤه لموسى يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك وعنوا بقولهم بما عهد عندك بعهده الذى عهد اليك أنا ان آمنا بك واتبعناك كشف عنا الرجز كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل بما عهد عندك قال لئن آمنا ليكشفن عنا العذاب ان قال لنا قائل وما وجه قيلهم يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك وكيف سموه ساحرا وهم يسألونه أن يدعو لهم ربه ليكشف عنهم العذاب قيل ان الساحر كان عندهم معناه العالم ولم يكن السحر عندهم ذما وانما دعوه بهذا الاسم لان معناه عندهم كان يا أيها العالم وقوله اننا لمهتدون يقول قالوا اننا لمتبعوك فمصدقوك فيما جئتنا به وموحدو الله فمبصرو سبيل الرشاد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الساحر ادع لنا ربك اننا لمهتدون قال قالوا يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وقوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون يقول تعالى ذكره فلما رفعنا عنهم العذاب الذى أنزلناه بهم الذى وعدوا أنهم ان كشف عنهم اهتدوا لسبيل الحق اذاهم بعد كشفنا ذلك عنهم ينكثون العهد الذى عاهدونا يقول يغدرون ويصرون على ضلالهم ويتمادون فى غيهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذاهم ينكثون أى يغدرون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ﴾ يقول تعالى ذكره ونادى فرعون فى قومه من القبط فقال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون يعنى بقوله من تحتى من بين يدى فى الجنان كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهذه الانهار تجرى من تحتى قال كانت لهم جنات وأنهار ماء وقوله أفلا تبصرون يقول أفلا تبصرون أيها القوم ما أنا فيه من النعيم والخير وما فيه موسى من الفقر وعى اللسان افتخر بملكه مصر عدو الله وما قد مكن له من الدنيا استدراجا من الله له وحسب أن الذى هو فيه من ذلك ناله بيده وحوله وأن موسى انما لم يصل الى الذى يصفه فنسبه من أجل ذلك الى المهانة محتجا على جهلة قومه بأن موسى عليه السلام لو كان محقا فيما يأتى به من الآيات والعبر ولم يكن ذلك سحرا لأكسب نفسه من الملك والنعمة مثل الذى هو فيه من ذلك جهلا بالله واغترارا منه باملائه اياه ﴿ القول

أنه فضل من الله وفيه أن العجز كلما كان أتم كانت عناية الله بحاله أوفر ثم أراد أن يتدارك تأخيرهم وهم أحقاء بالتقديم فعرف الذكور لانه مع رعاية الفاصلة تنويه وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام ثم قال (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) فأعطى كلا الجنسين حقه ونصبهما على الحال والضمير للاولاد أو على المفعولية والضمير لمن يشاء أى يجمع لهم كلا الصنفين سواء كانا متساويين فى العدد أم لا وقيل معناه أن تلد أولا غلاما ثم جارية ثم غلاما ثم جارية وهكذا قاله مجاهد وقيل أن تلد ذكرا وأنثى فى بطن واحد قاله ابن الحنفية وعن ابن عباس أن الآية نزلت فى الانبياء وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم عليه السلام ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا وهم القاسم والطاهر وعبد الله وابراهيم واناثا هن فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وجعل يحيى وعيسى عقيما والحق أن هذا التقسيم وان كان مطابقا لحال هؤلاء الانبياء الا أن فى التخصيص ضيق عطن وان صحت الرواية عن ابن عباس فالعبرة بعموم اللفظ والمعنى لا بخصوص السبب وحمل بعض أهل التأويل الاناث على أمور الدنيا والذكور على أمور الآخرة وتزويج الصنفين على الجامع بين الامرين والعقيم على من لا دين له ولا دنيا ثم أكد كمال القدرة بقوله (وما كان لبشر) أى وما صح لأحد (أن يكلمه الله الا) على أحد ثلاثة أنحاء الاول الوحى وهو الالهام أو المنام كما أوحى الى أم موسى والى ابراهيم عليه السلام

في تأويل قوله تعالى ﴿أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون لقومه بعد احتجاجه عليهم بملكه وسلطانه و بيان لسانه وتمام خلقه وفضل ما بينه و بين موسى بالصفات التي وصف بها نفسه وموسى أنا خير أيها القوم وصفتي هذه الصفة التي وصفت لكم أم هذا الذي هو مهين لا شيء له من الملك والأموال مع العلة التي في جسده والآفة التي بلسانه فلا يكاد من أجلها يبين كلامه وقد اختلف في معنى قوله أم في هذا الموضع فقال بعضهم معناها بل أنا خير وقالوا ذلك خبر لا استفهام ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين قال بل أنا خير من هذا * و بنحو ذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة وقال بعض نحويي الكوفة هو من الاستفهام الذي جعل بأم لاتصاله بكلام قبله قال وان شئت رددته على قوله أليس لي ملك مصر واذا وجه الكلام الى أنه استفهام وجب أن يكون في الكلام محذوف استغني بذكر ما ذكر مما ترك ذكره و يكون معنى الكلام حينئذ أنا خير أيها القوم من هذا الذي هو مهين أم هو وذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ ذلك أما أنا خير حدثت بذلك عن الفراء قال أخبرني بعض المشيخة أنه بلغه أن بعض القراء قرأ كذلك ولو كانت هذه القراءة قراءة مستفيضة في قرأة الامصار لكانت صحيحة وكان معناها حسنا غير أنها خلاف ما عليه قراء الامصار فلا أستجيز القراءة بها وعلى هذه القراءة لو صحت لا كلفة له في معناها ولا مؤنة * والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الامصار وأولى التأويلات بالكلام اذ كان ذلك كذلك تأويل من جعل أم أنا خير من الاستفهام الذي جعل بأم لاتصاله بما قبله من الكلام و وجهه الى أنه بمعنى أأنا خير من هذا الذي هو مهين أم هو ثم ترك ذكر أم هو لما في الكلام من الدليل عليه وعني بقوله من هذا الذي هو مهين من هذا الذي هو ضعيف لقلة ماله وأنه ليس له من الملك والسلطان ماله * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم أنا خير من هذا الذي هو مهين قال ضعيف حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي من هذا الذي هو مهين قال المهين الضعيف وقوله ولا يكاد يبين يقول ولا يكاد يبين الكلام من عي لسانه * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا يكاد يبين أي عيي اللسان حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ولا يكاد يبين الكلام وقوله فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب يقول فهلا ألقي على موسى ان كان صادقا أنه رسول رب العالمين أسورة من ذهب وهو جمع سوار وهو القلب الذي يجعل في اليد * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أسورة من ذهب يقول أقلبة من ذهب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أسورة من ذهب أي أقلبة من ذهب واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة والكوفة فلولا ألقي عليه أساورة من ذهب وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه أسورة من ذهب وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي ما عليه قرأة الامصار وان كانت الاخرى صحيحة المعنى واختلف أهل العربية في واحد الاساورة والأسورة فقال بعض نحويي البصرة الاسورة جمع إسوار قال والاساورة جمع الاسورة وقال ومن قرأ ذلك أساورة فانه أراد أساوير والله أعلم فجعل الهاء عوضا

في ذبح ولده وعن مجاهد أن داود عليه السلام ألهمه الزبور فكتبه حفظا الثاني التكليم بلا واسطة ولكن من وراء حجاب والمجسمة استدلوا به على أنه تعالى في جهة فان الاحتجاب لا يصح الا من ذي جهة ومكان وأجيب بأن هذا مثل لأنه اذا سمع الصوت ولا يرى الشخص كان بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب كما كلم موسى و يكلم الملائكة وقيل حجاب عن ادراك ذلك الكلام لا المتكلم وقيل حجاب لموضع الكلام الثالث أن يرسل رسولا كجبرائيل فيوحي الملك باذن الله الى النبي ما يشاؤه الله والأقسام الثلاثة كلها من قبيل الوحي ولكنه سبحانه جعل الوحي في الآية خاصا بالاول وتقدير الكلام وما صح أن يكلم أحدا الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا أو الا وحيا أو اسماعا أو ارسالا أو الا أن يوحي أو يسمع أو يرسل ومن قرأ بالرفع فعلى الاستئناف بمعنى أو هو يرسل أو على الحال بمعنى مرسلا عطفا على وحيا بمعنى موحيا وقيل الوحي هو الوحي الى الرسل بواسطة الملائكة وارسال الرسل ارسال الانبياء الى الامم فان الصحيح عند أهل الحق أن الشيطان لا يقدر على القاء الباطل في أثناء الوحي وقد يقال ان توجيه التكليف الى العبد لا يتم الا بثلاث مراتب من المعجزات وذلك أن التسلسل محال فلا بد من سماع الملك كلام الله بلا واسطة فالملك يحتاج الى معجزة تدل على أن ذلك الكلام كلام الله واذا بلغ الملك ذلك الكلام الى النبي فلا بد للنبي من مشاهدة معجزة تدل على

كذلك وهذا الثالث مشهور متفق عليه وأما الاولان فعلهما يعرفان بنور الباطن ولا يفتقر الى المعجزة لا فى أول الامر ولا كل مرة قال أهل التصديق ان الاقسام الثلاثة اجتمعت لنبينا صلى الله عليه وسلم لأنه فى بدء الاسلام كان يرى الرؤيا الصادقة كفلق الصبح وسمع الكلام من وراء الحجاب ليلة المعراج وكان يأتيه جبرائيل الى آخر عمره فلهذا قال عز من قائل (وكذلك أوحينا اليك) ويحتمل أن يراد كما أوحينا الى سائر الانبياء أوحينا اليك يعنى بالطريق الاكثرى وهو القسم الثالث ومعنى (روحا من أمرنا) قرآنا من عندنا أو من عالم أمرنا كقوله يلقى الروح من أمره و(ما كنت تدرى) فى المهد أو قبل البلوغ أو قبل الوحى (ما الكتاب ولا الايمان) يعنى ما يتعلق بكمال الايمان مما لا يكفى فى معرفته مجرد العقل والنظر ويتوقف على النقل واذن الشرع وقيل أراد أهل الايمان يعنى من الذى يؤمن ومن الذى لا يؤمن والضمير فى جعلناه للقرآن أو الايمان أو لهما جميعا ووحد كقوله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وهداية الله خاصة وهداية النبى عامة وهى الدعوة وصراط الله دينه ومصير الكل اليه عبارة عن رجوعهم الى حيث لا حكم لأحد سواه والله أعلم

* (سورة الزخرف وهى مكية حروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة كلمها ثمانمائة وثلاث وثلاثون آياتها تسع وثمانون آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿حم والكتاب المبين انا جعلناه

من الياء مثل الزنادقة صارت الهاء فيها عوضا من الياء التى فى زناديق وقال بعض نحويى الكوفة من قرأ أساورة جعل واحدها إسوار ومن قرأ أسورة جعل واحدها سوار وقال قد تكون الاساورة جمع أسورة كما يقال فى جمع الاسقية الاساقى وفى جمع الأكرع الأكارع وقال آخر منهم قد قيل فى سوار اليد يجوز فيه أسوار وإسوار قال فيجوز على هذه اللغة أن يكون أساورة جمعه وحكى عن أبى عمرو بن العلاء أنه كان يقول واحد الاساورة إسوار قال وتصديقه فى قراءة أبى بن كعب فلولا ألقى عليه أساورة من ذهب فان كان ما حكى من الرواية من أنه يجوز أن يقال فى سوار اليد إسوار فلا مؤنة فى جمعه أساورة ولست أعلم ذلك صحيحا عن العرب برواية عنها وذلك أن المعروف فى كلامهم من معنى الاسوار الرجل الرامى الحاذق بالرمى من رجال العجم وأما الذى يلبس فى اليد فان المعروف من أسمائه عندهم سوار فاذا كان ذلك كذلك فالذى هو أولى بالأساورة أن يكون جمع أسورة على ما قاله الذى ذكرنا قوله فى ذلك وقوله أو جاء معه الملائكة مقترنين يقول أو هلا ان كان صادقا جاء معه الملائكة مقترنين قد اقترن بعضهم ببعض فتتابعوا يشهدون له بأنه لله رسول اليهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى العبارة على تأويله فقال بعضهم يمشون معا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله الملائكة مقترنين قال يمشون معا * وقال آخرون متتابعين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو جاء معه الملائكة مقترنين أى متتابعين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون يقارن بعضهم بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أو جاء معه الملائكة مقترنين قال يقارن بعضهم بعضا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾ يقول تعالى ذكره فاستخف فرعون خلقا من قومه من القبط بقوله الذى أخبر الله تبارك وتعالى عنه أنه قاله لهم فقبلوا ذلك منه فأطاعوه وكذبوا موسى قال الله وانما أطاعوا فاستجابوا لما دعاهم اليه عدو الله من تصديقه وتكذيب موسى لأنهم كانوا قوما عن طاعة الله خارجين بخذلانه اياهم وطبعه على قلوبهم يقول الله تبارك وتعالى فلما آسفونا يعنى بقوله آسفونا أغضبونا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فلما آسفونا يقول أسخطونا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فلما آسفونا يقول لما أغضبونا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلما آسفونا أغضبونا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما آسفونا قال أغضبوا ربهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فلما آسفونا قال أغضبونا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فلما آسفونا قال أغضبونا وهو على قول يعقوب يا أسفى على يوسف قال يا حزنى على يوسف حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلما آسفونا انتقمنا منهم قال أغضبونا وقوله انتقمنا منهم يقول انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذى عجلناه لهم فأغرقناهم جميعا فى البحر ۞ القول فى تأويل

قوله تعالى ﴿فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدّون﴾
اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة غير عاصم فجعلناهم سلفا بضم السين واللام
توجيها ذلك منهم الى جمع سليف من الناس وهو المتقدم أمام القوم وحكى الفراء أنه سمع القاسم
ابن معن يذكر أنه سمع العرب تقول مضى سليف من الناس وقرأته عامة قراء المدينة والبصرة
وعاصم فجعلناهم سلفا بفتح السين واللام واذا قرئ كذلك احتمل أن يكون مرادا به الجماعة
والواحد والذكر والانثى لانه يقال للقوم أنتم لنا سلف وقد يجمع فيقال هم أسلاف ومنه الخبر الذى
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يذهب الصالحون أسلافا وكان حميد الأعرج
يقرأ ذلك فجعلناهم سلفا بضم السين وفتح اللام توجيها منه ذلك الى جمع سلفة من الناس مثل أمة
منهم وقطعة * وأولى القراآت فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه بفتح السين واللام لانها اللغة
الجوداء والكلام المعروف عند العرب وأحق اللغات أن يقرأ بها كتاب الله من لغات العرب
أفصحها وأشهرها فيهم فتأويل الكلام اذا فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم من قوم فرعون فى البحر
مقدمة يتقدمون الى النار كفار قومك يا محمد من قريش وكفار قومك لهم بالأثر * و بنحو الذى قلنا
فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا
عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد
قوله فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين قال قوم فرعون كفارهم سلفا لكفار أمة محمد صلى الله عليه وسلم
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فجعلناهم سلفا فى النار حدثنا ابن عبد الأعلى
قال ثنا ابن ثور عن معمر فجعلناهم سلفا قال سلفا الى النار وقوله ومثلا للآخرين يقول وعبرة
وعظة يتعظ بهم من بعدهم من الأمم فينتهوا عن الكفر بالله و بمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومثلا للآخرين قال
عبرة لمن بعدهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ومثلا للآخرين
أى عظة للآخرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومثلا للآخرين أى عظة
لمن بعدهم حدثنا محمد قال ثنا احمد قال ثنا أسباط عن السدى فجعلناهم سلفا ومثلا قال عبرة
وقوله ولما ضرب ابن مريم مثلا يقول تعالى ذكره ولما شبه الله عيسى فى احداثه وانشائه اياه من
غير فحل بآدم فمثله به بأنه خلقه من تراب من غير فحل اذا قومك يا محمد من ذلك يضجون و يقولون
ما يريد محمد منا الا أن نتخذه الها نعبده كما عبدت النصارى المسيح واختلف أهل التأويل
فى تأويل ذلك فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد فى قول الله عز وجل اذا قومك منه يصدّون قال يضجون قال قالت قريش انما يريد محمد
أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة
قال لما ذكر عيسى بن مريم جزعت قريش من ذلك وقالوا يا محمد ما ذكرت عيسى بن مريم وقالوا
ما يريد محمد الا أن نصنع به كما صنعت النصارى بعيسى بن مريم فقال الله عز وجل ما ضربوه لك
الا جدلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما ذكر عيسى فى القرآن
قال مشركو قريش يا محمد ما أردت الى ذكر عيسى قال وقالوا انما يريد أن نحبه كما أحبت النصارى
عيسى * وقال آخرون بل عنى بذلك قول الله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم

قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه
فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم
أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم
قوما مسرفين وكم أرسلنا من نبى
فى الأولين وما يأتيهم من نبى الا
كانوا به يستهزؤن فأهلكنا أشد
منهم بطشا ومضى مثل الاولين
ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن خلقهن العزيز
العليم الذى جعل لكم الارض مهدا
وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون
والذى نزل من السماء ماء بقدر
فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون
والذى خلق الازواج كلها وجعل
لكم من الفلك والانعام ما تركبون
لتستووا على ظهوره ثم تذكروا
نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا
سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا
له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون
وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان
لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات
وأصفاكم بالبنين واذا بشر أحدهم
بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه
مسودّا وهو كظيم أومن ينشأ
فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم
ستكتب شهادتهم ويسئلون وقالوا
لو شاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك
من علم ان هم الا يخرصون أم آتيناهم
كتابا من قبله فهم به مستمسكون
بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة
وانا على آثارهم مهتدون وكذلك
ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير
الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على
أمة وانا على آثارهم مقتدون قال
أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه
آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون

أنتم لها واردون وقيل المشركين عند نزولها قد رضينا بأن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة لان كل هؤلاء مما يعبد من دون الله قال الله عز وجل ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدّون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدّون قال يعنى قريشا لما قيل لهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فقالت له قريش فما ابن مريم قال ذاك عبد الله ورسوله فقالوا والله ما يريد هذا الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فقال الله عز وجل ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون واختلفت القراء فى قراءة قوله يصدّون فقرأته عامة قراء المدينة وجماعة من قراء الكوفة يصدّون بضم الصاد وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة يصدّون بكسر الصاد واختلف أهل العلم بكلام العرب فى فرق ما بين ذلك اذا قرئ بضم الصاد واذا قرئ بكسرها فقال بعض نحويى البصرة ووافقه عليه بعض الكوفيين هما لغتان بمعنى واحد مثل يشدّ ويشدّ وينم وينم من النميمة وقال آخر منهم من كسر الصاد فمجازها يضجون ومن ضمها فمجازها يعدلون وقال بعض من كسرها فانه أراد يضجون ومن ضمها فانه أراد الصدود عن الحق وحدثت عن الفراء قال ثنى أبو بكر بن عياش أن عاصما ترك يصدون من قراءة أبى عبد الرحمن وقرأ يصدّون قال قال أبو بكر حدثنى عاصم عن أبى رزين عن أبى يحيى أن ابن عباس لقى ابن أخى عبيد بن عمير فقال ان عمك لعربى فما له يلحن فى قوله اذا قومك منه يصدون وانما هى يصدّون * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان ولغتان مشهورتان بمعنى واحد ولم نجد أهل التأويل فرقوا بين معنى ذلك اذا قرئ بالضم والكسر ولو كان مختلفا معناه لقد كان الاختلاف فى تأويله بين أهله موجودا وجود اختلاف القراءة فيه باختلاف اللغتين ولكن لما لم يكن مختلف المعنى لم يختلفوا فى أن تأويله يضجون ويجزعون فبأى القراءتين قرأ القارئ فمصيب ذكر ما قلنا فى تأويل ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله اذا قومك منه يصدّون قال يضجون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس اذا قومك منه يصدّون يقول يضجون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو حمزة عن المغيرة الضبى عن الصعب بن عثمان قال كان ابن عباس يقرأ اذا قومك منه يصدون وكان يفسرها يقول يضجون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس اذا قومك منه يصدون قال يضجون حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس بمثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل اذا قومك منه يصدون قال يضجون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذا قومك منه يصدون أى يجزعون ويضجون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن عاصم بن أبى النجود عن أبى صالح عن ابن عباس أنه قرأها يصدون أى يضجون وقرأ على رضى الله عنه يصدون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله اذا قومك منه يصدون قال يضجون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى اذا قومك منه يصدون قال يضجون * القول فى تأويل قوله تعالى (وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد أنعمنا عليه

وجعلناه

فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون)

* القراآت فى إم الكتاب بكسر الهمزة حمزة وعلى إن كنتم بالكسر أبو جعفر ونافع وعلى وحمزة وخلف الآخرون بالفتح أى لأن كنتم مهدا عاصم وحمزة وعلى وخلف وروح الباقون مهادا ميتا بالتشديد يزيد يخرجون من الخروج حمزة وعلى وخلف وابن ذكوان الآخرون من الاخراج ينشأ من باب التفعيل حمزة وعلى وخلف وحفص الباقون بالتخفيف والياء مفتوحة والنون ساكنة عباد الرحمن جمع عبد أو عابد أبو عمرو وعاصم وحمزة وعلى وخلف وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر عند الرحمن بالنون كقوله فالذين عند ربك الآخرون عبيد الرحمن اوشهدوا بقلب همزة الاشهاد واوا مضمومة ورش واسمعيل وقرأ يزيد وقالون مثله ولكن بالمد وقرأ المفضل بتحقيق الهمزتين الباقون بهمزة واحدة للاستفهام والشين مفتوحة قال أولو بالألف ابن عامر وحفص والمفضل جئناكم يزيد * الوقوف حم ه كوفى المبين ه لا ومن لم يقف على حم وقف على المبين لأن القسم متعلق بما قبله وهو هذه حم تعقلون ه ج حكيم ه ط مسرفين ه الاولين ه يستهزؤن ه الاولين ه العليم ه لا بناء على

وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون﴾ يقول تعالى ذكره
وقال مشركو قومك يا محمد آلهتنا التي نعبدها خير أم محمد فنعبد محمدا ونترك آلهتنا وذكر أن ذلك في قراءة
أبيّ بن كعب أآلهتنا خير أم هذا ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور
عن معمر عن قتادة أن في حرف أبي بن كعب وقالوا أآلهتنا خير أم هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم
* وقال آخرون بل عني بذلك آلهتنا خير أم عيسى ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين
قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله وقالوا أآلهتنا خير أم هو ماضربوه لك
الا جدلا بل هم قوم خصمون قال خاصموه فقالوا يزعم أن كل من عبد من دون الله في النار فنحن
نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة هؤلاء قد عبدوا من دون الله قال فأنزل الله براءة
عيسى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أآلهتنا خير قال عبد هؤلاء
عيسى ونحن نعبد الملائكة وقوله ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون الى في الارض
يخلفون وقوله تعالى ذكره ماضربوه لك الا جدلا يقول تعالى ذكره ما مثلوا لك هذا المثل يا محمد
ولا قالوا لك هذا القول الا جدلا وخصومة يخاصمونك به بل هم قوم خصمون يقول جل ثناؤه
ما بقومك يا محمد هؤلاء المشركين في محاجتهم اياك بما يحاجونك به طلب الحق بل هم قوم خصمون
يلتمسون الخصومة بالباطل وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ماضل قوم عن الحق
الا أوتوا الجدل ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا يعلى قال ثنا الحجاج بن دينار عن
أبي غالب عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه
الا أوتوا الجدل ثم قرأ ماضربوه لك الا جدلا الآية حدثني موسى بن عبد الرحمن الكندي
وأبو كريب قالا ثنا محمد بن بشر قال ثنا حجاج بن دينار عن أبي غالب عن أبي أمامة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا أحمد بن عبد الرحمن عن عباد بن عباد عن
جعفر بن القاسم عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس وهم يتنازعون
في القرآن فغضب غضبا شديدا حتى كأنما صب على وجهه الخل ثم قال صلى الله عليه وسلم
لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فانه ماضل قوم قط الا أوتوا الجدل ثم تلا ماضربوه لك
الا جدلا بل هم قوم خصمون وقوله ان هو الا عبد أنعمنا عليه يقول تعالى ذكره فما عيسى الا عبد
من عبادنا أنعمنا عليه بالتوفيق والايمان وجعلناه مثلا لبني اسرائيل يقول وجعلناه آية لبني اسرائيل
وحجة لنا عليهم بارسالناه اليهم بالدعاء الينا وليس هو كما تقول النصارى من أنه ابن الله تعالى الله
عن ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة ان هو الا عبد أنعمنا عليه يعني بذلك عيسى بن مريم ما عدا ذلك عيسى
ابن مريم ان كان الا عبدا أنعم الله عليه وبنحو الذي قلنا أيضا في قوله وجعلناه مثلا لبني اسرائيل
قالوا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن قتادة مثلا لبني اسرائيل
أحسبه قال آية لبني اسرائيل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلنا مثلا لبني
اسرائيل أي آية قوله ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون يقول تعالى ذكره ولو نشاء
معشر بني آدم أهلكناكم فأفنينا جميعكم وجعلنا بدلا منكم في الارض ملائكة يخلفونكم فيها يعبدونني
وذلك نحو قوله تعالى ذكره ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا وكما قال
ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل غير أن منهم
من قال معناه يخلف بعضهم بعضا ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني

أن ما بعده وصف ولو كان نصبا او
رفعا على المدح فالوقف تهتدون ه
بقدر ج للالتفات مع الفاء ميتا ج
لانقطاع النظم مع تعلق التشبيه
تخرجون ه تركبون ه لا مقرنين
ه لا لأن ما بعده من تمام المقول
لمنقلبون ه جزا ط مبين ه ط
بالبنين ه كظيم ه مبين ه اناثا ط
خلقهم ط ويسئلون ه ماعبدناهم
ط يخرصون ه ط مستمسكون
ه مهتدون ه مقتدون ه آباءكم
ط كافرون ه المكذبين ه
تعبدون ه لا سيهدين ه
يرجعون ه مبين ه كافرون ه
(التفسير) أقسم بجنس الكتاب أو
بالقرآن الظاهر الاعجاز أو المفصح
عن كل حكم يحتاج المكلف اليه أنه
جعل القرآن بلغة العرب ليعقلوه
وفي نسبة الجعل الى نفسه اشارة الى
أنه ليس بمفترى كما زعمه الكفرة
وقيل أراد ورب الكتاب وقيل
الكتاب اللوح المحفوظ وقال ابن بحر
هو الخط اقسم به تعظيما لنعمته فيه
وقال ابن عيسى البيان ما يظهر به
المعنى للنفس عند الادراك بالبصر
والسمع وذلك على خمسة أوجه
لفظ وخط واشارة وعقد وهيئة
كالاعراض وتكليح الوجه
وأم الكتاب بكسر الهمزة وبضمها
اللوح المحفوظ لانه أصل كل كتاب
والتقدير وانه لعليّ حكيم في أم
الكتاب لدينا والعلو علو الشأن
في البلاغة والارشاد وغير ذلك
والحكيم المشتمل على الحكمة ثم أنكر
على مشركي قريش بقوله (أفنضرب)
قال جار الله أراد أنهملكم فنضرب
(عنكم الذكر) يقال ضرب عنه الذكر
اذا أمسك عنه وأعرض عن ذكره

معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون يقول يخلف بعضهم بعضا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون قال يعمرون الارض بدلا منكم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله ملائكة في الارض يخلفون قال يخلف بعضهم بعضا مكان بني آدم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون لو شاء الله لجعل في الارض ملائكة يخلف بعضهم بعضا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون قال خلفا منكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ﴾ اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله وانه وما المعنى بها ومن ذكر ما هي فقال بعضهم هي من ذكر عيسى وهي عائدة عليه وقالوا معنى الكلام وان عيسى ظهوره علم يعلم به مجيء الساعة لان ظهوره من أشراطها ونزوله الى الارض دليل على فناء الدنيا واقبال الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن يحيى عن ابن عباس وانه لعلم الساعة قال خروج عيسى بن مريم حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس بمثله الا أنه قال نزول عيسى بن مريم حدثني محمد بن اسمعيل الأحمسي قال ثنا غالب بن قائد قال ثنا قيس عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس أنه كان يقرأ وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى بن مريم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن فضيل بن مرزوق عن جابر قال كان ابن عباس يقول ما أدري علم الناس بتفسير هذه الآية أم لم يفطنوا لها وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى بن مريم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى ابن مريم حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبي مالك وعوف عن الحسن أنهما قالا في قوله وانه لعلم للساعة قالا نزول عيسى بن مريم وقرأها أحدهما وانه لعلم للساعة حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وانه لعلم للساعة قال آية للساعة خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى بن مريم علم للساعة القيامة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى بن مريم علم للساعة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وانه لعلم للساعة قال خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وانه لعلم للساعة يعني خروج عيسى بن مريم ونزوله من السماء قبل يوم القيامة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى بن مريم علم للساعة حين ينزل

* وقال آخرون الهاء التي في قوله وانه من ذكر القرآن وقالوا معنى الكلام وان هذا القرآن لعلم للساعة يعلمكم بقيامها ويخبركم عنها وعن أهوالها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول وانه لعلم للساعة هذا القرآن حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال كان ناس يقولون القرآن علم للساعة واجتمعت قراء الامصار

من ضرب في الارض اذا أبعد و(صفحا) مصدر من غير لفظ الفعل والاصل فيه أن تولي الشيء صفحة عنقك وجوز جار الله أن يكون بمعنى جانبا من قولهم نظر اليه بصفح وجهه فينتصب على الظرف ويكون الذكر بمعنى الوعظ والقرآن والفحوى أفننحيه عنكم وقيل ضرب الذكر رفع القرآن عن الارض أي افنرفع القرآن عن الارض أي أفنرفع القرآن من بين أظهركم لاشراككم مع علمنا بأنه سيأتي من يقبله ويعمل به قال السدي أفنترككم سدى لا نأمركم ولا ننهاكم وهو قريب من الاول وقيل الذكر هو ان يذكروا بالعقاب ولا يخلو من مناسبة لقوله فأهلكنا أشد منهم بطشا من قرأ (ان كنتم) بالكسر فكقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي يخيل في كلامه أن تفريطه في الخروج عن عهدة الاجر فعل من يشذ في الاستحقاق مع تحققه في الخارج ثم سلى نبيه بقوله (وكم أرسلنا) الآيتين قوله (أشد منهم) قيل من زائدة والمراد أشدهم (بطشا) كعاد وثمود وقيل الضمير لقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصله أشد منكم الا أنه ورد على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم قوله (ومضى مثل الاولين) أي سلف ذكرهم وقصتهم العجيبة في القرآن غير مرة ويحتمل أن يكون معناه كقوله وقد خلت سنة الاولين ثم بين بقوله (ولئن سألتهم) أن كفرهم كفر عناد ولجاج لانهم يعرفون الله ثم ينكرون رسوله وكتابه وقدرته على البعث وهذه الاوصاف من كلام

فى قراءة قوله وانه لعلم للساعة على كسر العين من العلم وروى عن ابن عباس ماذكرت عنه فى فتحها وعن قتادة والضحاك * والصواب من القراءة فى ذلك الكسر فى العين لاجماع الحجة من القراء عليه وقد ذكر أن ذلك فى قراءة أبى" وانه لذكر للساعة فذلك مصحح قراءة الذين قرؤا بكسر العين من قوله لعلم وقوله فلا تمترن بها يقول فلا تشكن فيها وفى مجيئها أيها الناس كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فلا تمترن بها قال تشكون فيها وقوله واتبعون يقول تعالى ذكره وأطيعون فاعملوا بما أمرتكم به وانتهوا عما نهيتكم عنه هذا صراط مستقيم يقول اتباعكم اياى أيها الناس فى أمرى ونهيى صراط مستقيم يقول طريق لا اعوجاج فيه بل هو قويم وقوله ولا يصدنكم الشيطان يقول جل ثناؤه ولا يعدلنكم الشيطان عن طاعتى فيما آمركم وأنهاكم فتخالفوه الى غيره وتجوروا عن الصراط المستقيم فتضلوا إنه لكم عدو مبين يقول ان الشيطان لكم عدو يدعوكم الى ما فيه هلاككم ويصدكم عن قصد السبيل ليوردكم المهالك مبين قد أبان لكم عداوته بامتناعه من السجود لأبيكم آدم وادلائه بالغرور حتى أخرجه من الجنة حسدا وبغيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ يقول تعالى ذكره ولما جاء عيسى بنى اسرائيل بالبينات يعنى بالواضحات من الأدلة وقيل عنى بالبينات الانجيل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولما جاء عيسى بالبينات أى بالانجيل وقوله قال قد جئتكم بالحكمة قيل عنى بالحكمة فى هذا الموضع النبوة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال قد جئتكم بالحكمة قال النبوة وقد بينت معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده وذكرت اختلاف المختلفين فى تأويله فأغنى ذلك عن اعادته وقوله ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه يقول ولأبين لكم معشر بنى اسرائيل بعض الذى تختلفون فيه من أحكام التوراة كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه قال من تبديل التوراة وقد قيل معنى البعض فى هذا الموضع بمعنى الكل وجعلوا ذلك نظير قول لبيد

تراك أمكنة اذا لم أرضها * أو يعتلق بعض النفوس حمامها

قالوا الموت لا يعتلق بعض النفوس وانما المعنى أو يعتلق النفوس حمامها وليس لما قال هذا القائل كبير معنى لان عيسى انما قال لهم ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه لانه قد كان بينهم اختلاف كثير فى أسباب دينهم ودنياهم فقال لهم أبين لكم بعض ذلك وهو أمر دينهم دون ما هم فيه مختلفون من أمر دنياهم فلذلك خص ما أخبرهم أنه يبينه لهم وأما قول لبيد أو يعتلق بعض النفوس فانه انما قال ذلك أيضا كذلك لانه أراد أو يعتلق نفسه حمامها فنفسه من بين النفوس لاشك أنها بعض لا كل وقوله فاتقوا الله وأطيعون يقول فاتقوا ربكم أيها الناس بطاعته وخافوه باجتناب معاصيه وأطيعون فيما أمرتكم به من اتقاء الله واتباع أمره وقبول نصيحتى لكم وقوله ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه يقول ان الله الذى يستوجب علينا افراده بالالوهية واخلاص الطاعة له ربى وربكم جميعا فاعبدوه وحده لا تشركوا معه فى عبادته شيأ فانه لا يصلح ولا ينبغى أن يعبد شئ سواه وقوله هذا صراط مستقيم يقول هذا الذى أمرتكم به من اتقاء الله وطاعتى وافراد الله بالالوهة هو الطريق

الله لا من قول الكفار بدليل قوله لكم ولم يقل لنا ولقوله فأنشرنا والمراد لينسبن خلقها الى الذى هذه أوصافه وقدمر فى طه مثله وقوله (تهتدون) أى فى الاسفار أو الى الايمان بالنظر والاعتبار وقوله (بقدر) أى بمقدار الحاجة لا مخربا مغرقا كما فى الطوفان وقوله (ميتا) تذكيره بتأويل المكان والازواج الاصناف وقدمر فى قوله سبحان الذى خلق الازواج والعائد الى ما فى قوله ما تركبون محذوف فالك أن تقدره مؤنثا أو مذكرا باعتبارين قال فى الكشاف يقال ركبت الانعام وركبت فى الفلك الا أنه غلب المتعدى بغير واسطة على المتعدى بواسطة قلت يجوز أن يكون كقوله ويوم شهدناه والضمير فى ظهوره عائد الى ما والاستواء فى الآية بمعنى التمكن والاستقرار وذكر النعمة بالقلب ويحتمل كونه باللسان وهو تقديم الحمدلله يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع رجله فى الركاب قال الحمدلله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا واذا ركب فى السفينة قال بسم الله مجريها ومرساها ان ربى لغفور رحيم ومعنى (مقرنين) مطيقين أو ضابطين مع صعوبة خلقه وخلقه وقيل لا يطيق أن يقرن بعضها ببعض حتى يسيرها الى حيث يريد (وانا الى ربنا لمنقلبون) أى فى آخر عمرنا كأنه يتذكر ركوب الجنازة أو عثور الدابة أو انكسار السفينة فليستعد للقاء الله عز وجل بخلاف من يركب الخيول والزوارق لأجل التنزه والاشتغال بالملاهى والمناهى

المستقيم وهودين الله الذى لا يقبل من أحد من عباده غيره ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنيين بالاحزاب الذين ذكرهم الله فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى بذلك الجماعة التى تناظرت فى أمر عيسى واختلفت فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله فاختلف الاحزاب من بينهم قال هم الاربعة الذين أخرجهم بنو اسرائيل يقولون فى عيسى * وقال آخرون بل هم اليهود والنصارى ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فاختلف الاحزاب من بينهم قال اليهود والنصارى * والصواب من القول فى ذلك أن يقال معنى ذلك فاختلف الفرق المختلفون فى عيسى بن مريم من بين من دعاهم عيسى الى ما دعاهم اليه من اتقاء الله والعمل بطاعته وهم اليهود والنصارى ومن اختلف فيه من النصارى لأن جميعهم كانوا أحزابا مبتسلين مختلفى الأهواء مع بيانه لهم أمر نفسه وقوله لهم ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم وقوله فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم يقول تعالى ذكره فالوادى السائل من القيح والصديد فى جهنم للذين كفروا بالله الذين قالوا فى عيسى بن مريم بخلاف ما وصف عيسى به نفسه فى هذه الآية من عذاب يوم أليم يقول من عذاب يوم مؤلم ووصف اليوم بالايلام اذ كان العذاب الذى يؤلمهم فيه وذلك يوم القيامة كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى من عذاب يوم أليم قال من عذاب يوم القيامة وقوله هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة يقول هل ينظر هؤلاء الأحزاب المختلفون فى عيسى بن مريم القائلون فيه الباطل من القول الا الساعة التى فيها تقوم القيامة فجأة وهم لا يشعرون يقول وهم لا يعلمون بمجيئها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ يقول تعالى ذكره المتخالون يوم القيامة على معاصى الله فى الدنيا بعضهم لبعض عدو يتبرأ بعضهم من بعض الا الذين كانوا تخالوا فيها على تقوى الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فكل خلة على معصية الله فى الدنيا متعادون حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فكل خلة هى عداوة الا خلة المتقين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن أبى اسحق أن عليا رضى الله عنه قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات أحد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى أنى ملاقيك يارب فلا تضله بعدى واهده كما هديتنى وأكرمه كما أكرمتنى فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن أحدكما على صاحبه فيقول يارب انه كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى أنى ملاقيك فيقول نعم الخليل ونعم الأخ ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافرين فيقول يارب ان فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى أنى غير ملاقيك فيقول بئس الأخ وبئس الخليل وبئس الصاحب وقوله يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون وفى هذا الكلام محذوف

فيكون غافلا عن المبدا والمعاد عن بعضهم أنه أدخل اللام فى الخبر ههنا خلاف ما فى الشعراء لان ركوب الدابة أو السفينة أو الجنازة عام لكل أحد وما فى الشعراء خاص بالسحرة ثم عاد الى ما انجر الكلام منه وهو قوله (ولئن سألتهم) والمقصود التنبيه على سخافة عقولهم وقلة محصولهم فانهم مع الاقرار بأن خالق السموات والارض هو الله جعلوا له من عباده جزأ أى أثبتوا له ولدا وذلك أن ولد الرجل جزء منه قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى يؤذينى ما يؤذيها وفى قوله (من عباده) اشارة الى أن ما عداه ممكن الوجود فان الولد متأخر فى الوجود عن الاب والمتأخر عن الواجب ممكن والممكن مفتقر الى الواجب فى الوجود والبقاء والذات والصفات وقيل هو انكار على مثبتى الشركاء لأنهم جعلوا بعض العبادة لغير الله وفيه نوع تكلف والكفور البليغ الكفران لانه يجحد ربه وخالقه ولا يجتهد فى تنزيهه وتقديسه وحين وبخهم على اثبات الولد زاد فى توبيخهم وتجهيلهم والتعجيب من حالهم حيث جعلوا ذلك الولد بنتا مع أنها مكروهة عندهم فقال (أم اتخذ مما يخلق) وفائدة تنكير (بنات) وتعريف البنين كما مر فى آخر السورة المتقدمة فى تنكير اناثا وتعريف الذكور وقوله (بما ضرب للرحمن مثلا) اى بالجنس الذى جعله شبها لله لأن الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمراد أنه اذا بشر بالانثى كما سبق فى النحل اغتم ويسود وجهه ومليء غيظا وكربا ثم زاد فى الانكار بتعديد طرف

استغنى بدلالة ماذكر عليه ومعنى الكلام الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الا المتقين فانهم يقال لهم ياعبادى لاخوف عليكم اليوم من عقابى فانى قد أمنتكم منه برضاى عنكم ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا فان الذى قدمتم عليه خير لكم مما فارقتموه منها وذكر أن الناس ينادون هذا النداء يوم القيامة فيطمع فيها من ليس من أهلها حتى يسمع قوله الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فييئس منها عند ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال ثنا المعتمر عن أبيه قال سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد الا فزع فينادى مناد ياعباد الله لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم قال فيتبعها الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين قال فييئس الناس منها غير المسلمين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾ وقوله الذين آمنوا بآياتنا يقول تعالى ذكره ياعبادى الذين آمنوا وهم الذين صدّقوا بكتاب الله ورسله وعملوا بما جاءتهم به رسلهم وكانوا مسلمين يقول وكانوا أهل خضوع لله بقلوبهم وقبول منهم لما جاءتهم به رسلهم عن ربهم على دين ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم حنفاء لايهود ولا نصارى ولا أهل أوثان وقوله ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يقول جل ثناؤه ادخلوا الجنة أنتم أيها المؤمنون وأزواجكم مغبوطين بكرامة الله مسرورين بما أعطاكم اليوم ربكم وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تحبرون وقد ذكرنا ما قد قيل فى ذلك فيما مضى وبينا الصحيح من القول فيه عندنا بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع غير أنا نذكر بعض ما لم يذكر هنالك من أقوال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون أى تنعمون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله تحبرون قال تنعمون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله تحبرون قال تكرمون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أنتم وأزواجكم تحبرون قال تنعمون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون﴾ يقول تعالى ذكره يطاف على هؤلاء الذين آمنوا بآياته فى الدنيا اذا دخلوا الجنة فى الآخرة بصحاف من ذهب وهى جمع للكثير من الصحفة والصحفة القصعة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى يطاف عليهم بصحاف من ذهب قال القصاع حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث ابن اسحق عن جعفر عن شعبة قال ان أدنى أهل الجنة منزلة من له قصر فيه سبعون ألف خادم فى يد كل خادم صحفة سوى مافى يد صاحبها لو فتح بابه فضافه أهل الدنيا لأوسعهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد قال ان أخس أهل الجنة منزلا من له سبعون ألف خادم مع كل خادم صحفة من ذهب لو نزل به جميع أهل الارض لاوسعهم لايستعين عليهم بشئ من غيره وذلك فى قول الله تبارك وتعالى لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد ولهم فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الأعين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى أيوب الازدى عن عبد الله بن عمرو قال ما أحد من أهل الجنة الا يسعى عليه ألف غلام كل غلام على عمل ما عليه صاحبه وقوله وأكواب وهى جمع كوب والكوب الابريق المستدير الرأس الذى لا أذن له ولا خرطوم واياه عنى الاعشى بقوله

صريفية طيب طعمها * لها زبد بين كوب ودنّ

من نقصان الاناث قائلا (أومن ينشأ) والتقدير أهو كضده قال جار الله تقديره أو يجعل للرحمن من الولد من له هذه الصفة الدنيئة الذميمة وهى أنه يربى أو يتربى فى الزينة والنعومة وهو اذا احتاج الى المخاصمة لايبين ولا يعرب عما فى ضميره لعجزه عن البيان ولقلة عقله قالت العقلاء قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تعرب عن حجتها الا نطقت بما هو حجة عليها وفيه أن النشء فى الزينة والامعان فى التنعم من خصائص ربات الحجال لا من خواص الرجال وانما ينبغى أن يكون تلبسهم بلباس التقوى وتزينهم باستعداد الزاد للدار الأخرى ثم خصص أن البنات التى نسبن اليه تعالى من أىّ جنس من بعد ما عمم فى قوله مما يخلق فقال (وجعلوا) أى سموا (الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) وفى اثبات العبودية لهم نفى الجزئية عنهم كما مر آنفا وقوله (أشهدوا خلقهم) كقوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض وفيه تهكم بهم لأنه لم يدل على ذلك عقل ولا نقل صحيح فلم يبق الا الاخبار عن المشاهدة يعنى مشاهدتهم خلق الله اياهم أو مشاهدة صور الملائكة ثم أوعدهم بقوله (ستكتب شهادتهم) على أنوثية الملائكة (ويسئلون) ثم حكى نوعا آخر من كفرهم وشبهاتهم وهو أنهم (قالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم) أى الملائكة والاصنام نظير مامر فى آخر الانعام سيقول الذين أشركوا الآية واستدلال المعتزلة به ظاهر لانه ذمهم بقوله (مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون)

و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وأكواب قال الأكواب التى ليست لها آذان ومعنى الكلام يطاف عليهم فيها بالطعام فى صحاف من ذهب و بالشراب فى أكواب من ذهب فاستغنى بذكر الصحاف والاكواب من ذكر الطعام والشراب الذى يكون فيها لمعرفة السامعين بمعناه وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين يقول تعالى ذكره لكم فى الجنة ما تشتهى نفوسكم أيها المؤمنون وتلذ أعينكم وأنتم فيها خالدون يقول وأنتم فيها ماكثون لا تخرجون منها أبدا كما حدثنا بشر قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن ابن سابط أن رجلا قال يا رسول الله انى أحب الخيل فهل فى الجنة خيل فقال ان يدخلك الجنة ان شاء فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء تطير بك فى أى الجنة شئت الا فعلت فقال أعرابى يا رسول الله انى أحب الابل فهل فى الجنة إبل فقال يا أعرابى ان يدخلك الله الجنة ان شاء الله ففيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا عمر بن عبد الرحمن الأبار عن محمد بن سعد الانصارى عن أبى ظبية السلفى قال ان السرب من أهل الجنة لتظلهم السحابة قال فتقول ما أمطركم قال فما يدعو داع من القوم بشئ الا أمطرتهم حتى ان القائل منهم ليقول أمطرينا كواعب أترابا حدثنا ابن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية عن على بن أبى الوليد قال قيل لمجاهد فى الجنة سماع قال ان فيها لشجرا يقال له العيص له سماع لم يسمع السامعون الى مثله حدثنى موسى بن عبد الرحمن قال ثنا زيد ابن حباب قال أخبرنا معاوية بن صالح قال ثنى سليمن بن عامر قال سمعت أبا أمامة يقول ان الرجل من أهل الجنة ليشتهى الطائر وهو يطير فيقع متفلقا نضيجا فى كفه فيأكل منه حتى تنتهى نفسه ثم يطير و يشتهى الشراب فيقع الابريق فى يده و يشرب منه ما يريد ثم يرجع الى مكانه واختلفت القراء فى قراءة قوله وفيها ما تشتهيه الانفس فقرأته عامة قراء المدينة والشام ما تشتهيه بزيادة هاء وكذلك ذلك فى مصاحفهم وقرأ ذلك عامة قراء العراق تشتهى بغير هاء وكذلك هو فى مصاحفهم * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهم وهذه الجنة التى أورثكموها الله عن أهل النار الذين أدخلهم جهنم بما كنتم فى الدنيا تعملون من الخيرات لكم فيها يقول لكم فى الجنة فاكهة كثيرة من كل نوع منها منها تأكلون يقول من الفاكهة تأكلون ما اشتهيتم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره ان المجرمين وهم الذين اجترموا فى الدنيا الكفر بالله فاجترموا به فى الآخرة فى عذاب جهنم خالدون يقول هم فيه ماكثون لا يفتر عنهم يقول لا يخفف عنهم العذاب وأصل الفتور الضعف وهم فيه مبلسون يقول وهم فى عذاب جهنم مبلسون والهاء فى فيه من ذكر العذاب ويذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله وهم فيها مبلسون والمعنى وهم فى جهنم مبلسون والمبلس فى هذا الموضع هو الآيس من النجاة الذى قد قنط فاستسلم للعذاب والبلاء و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهم فيه مبلسون أى مستسلمون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قوله وهم فيه مبلسون قال آيسون * وقال آخرون بما حدثنا محمد قال ثنا أحمد

قال

أجاب الزجاج عنه بأن قوله ما لهم بذلك من علم عائد الى قولهم الملائكة بنات الله والمراد لو شاء الرحمن ما أمرنا بعبادتهم كقولهم والله أمرنا بها فلهذا أنكر الله عليهم قاله الواحدى فى بسيطه وقيل قالوها استهزاء وزيفه جار الله بأنه لا يتمشى فى أقوالهم المتقدمة والا كانوا صادقين مؤمنين وجعل هذا الأخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله تعويج لكتاب الله وتمام البحث بين الفريقين مذكور فى الانعام وانما قال فى الجاثية ان هم الا يظنون لان هذا كذب محض وهناك خلطوا الصدق بالكذب صدقوا فى قولهم نموت ونحيى وكذبوا فى قولهم وما يهلكنا الا الدهر وكانوا شاكين فى أمر البعث ثم زاد فى الانكار عليهم بقوله (أم آتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل القرآن أو الرسول (فهم به مستمسكون) ثم أضرب عن ذلك وأخبر أنه لا مستند لهم فى عقائدهم وأقوالهم الفاسدة الا التقليد والامة الدين والطريقة التى تؤم أى تقصد ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن هذا دأب أسلافهم وداء قديم فى جهال بنى آدم وانما قال أولا مهتدون و بعده مقتدون لان العرب كانوا يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم و يزعمون الاهتداء ولعل الأمم قبلهم لم يزعموا الا الاقتداء بالآباء دون الاهتداء ثم أخبر أن النذير (قال) أو أمر النذير أو محمدا أن يقول (أولو جئتكم) أى أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم فاصروا على التكذيب ولم يقبلوا فانتقم الله منهم

قال ثنا أسباط عن السدى وهم فيه مبلسون متغير حالهم وقد بينا فيما مضى معنى الابلاس بشواهده وذكر المختلفين فيه بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين يقول تعالى ذكره وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بفعلنا بهم ما أخبرنا كم أيها الناس أنا فعلنا بهم من التعذيب بعذاب جهنم ولكن كانوا هم الظالمين بعبادتهم فى الدنيا غير من كان عليهم عبادته وكفرهم بالله وبجحودهم توحيده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون﴾ يقول تعالى ذكره ونادى هؤلاء المجرمون بعد ما أدخلهم الله جهنم فنالهم فيها من البلاء ما نالهم مالكا خازن جهنم يا مالك ليقض علينا ربك قال ليمتنا ربك فيفرغ من اماتتنا فذكر أن مالكا لا يجيبهم فى وقت قيلهم له ذلك ويدعهم ألف عام بعد ذلك ثم يجيبهم فيقول لهم انكم ماكثون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبى الحسن عن ابن عباس ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك فأجابهم بعد ألف سنة انكم ماكثون حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء ابن السائب عن رجل من جيرانه يقال له الحسن عن نوف فى قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال يتركهم مائة سنة مما تعدون ثم يناديهم فيقول يا أهل النار انكم ماكثون حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن عبد الله بن عمرو قال ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال نخلى عنهم أربعين عاما لا يجيبهم ثم أجابهم انكم ماكثون قالوا ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون نخلى عنهم مثلى الدنيا ثم أجابهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فوالله ما نبس القوم بعد الكلمة ان كان الا الزفير والشهيق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى أيوب الازدى عن عبد الله بن عمرو قال ان أهل جهنم يدعون مالكا أربعين عاما فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم أو يخلى عنهم مثل الدنيا ثم يرد عليهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فما نبس القوم بعد ذلك بكلمة ان كان الا الزفير والشهيق فى نار جهنم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن الحسن عن نوف ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال يتركهم مائة سنة مما تعدون ثم ناداهم فاستجابوا له فقال انكم ماكثون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال مالك خازن النار قال فمكثوا ألف سنة مما تعدون قال فأجابهم بعد ألف عام انكم ماكثون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله تعالى ذكره ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال يميتنا القضاء ههنا الموت فأجابهم انكم ماكثون وقوله لقد جئناكم بالحق يقول لقد أرسلنا اليكم يا معشر قريش رسولنا محمدا بالحق كما حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى لقد جئناكم بالحق قال الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولكن أكثركم للحق كارهون يقول تعالى ذكره ولكن أكثركم لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الحق كارهون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم أبرموا أمرا فانا مبرمون أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾ يقول تعالى ذكره أم أبرم هؤلاء المشركون من قريش أمرا فأحكموه يكيدون به الحق الذى جئناهم به فانا محكمون لهم ما يخزيهم ويذلهم من النكال وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أم أبرموا أمرا فانا مبرمون قال مجمعون ان كادوا شرا كدنا مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله

ثم بين بقصة ابراهيم عليه السلام أن القول بالتقليد يوجب المنع من التقليد وذلك أن ابراهيم عليه السلام كان أشرف آباء العرب وأنه ترك دين الآباء لأجل الدليل فلو كانوا مقلدين لآبائهم وجب أن يتبعوه فى الاعتماد على الدليل لا على مجرد التقليد والبراء بالفتح مصدر أى ذو براء وقوله (الا الذى فطرنى) قيل متصل وكان فيهم من يعبد الله مع الاصنام وقيل منقطع بمعنى لكن ويحتمل أن يكون مجرورا بدلا من ما أى الا من الذى وجوز فى الكشاف أن تكون الا صفة بمعنى غير وما موصوفة تقديره اننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى (فانه سيهدين) أى يثبتنى على الهداية أو يرشدنى الى طريق الجنة ولا ريب أن قوله اننى براء مما تعبدون بمنزلة لا اله وقوله الا الذى فطرنى بمثابة الا الله وهى كلمة التوحيد فلذلك أنث الضمير فى قوله (وجعلها) أى وجعل ابراهيم أو الله (كلمة) التوحيد (باقية فى عقبه) فلا يزال فى ذريته من يوحد الله عز وجل ويدعو الى توحيده نظيره ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب (لعلهم) أى لعل من أشرك منهم يرجع الى التوحيد أو عن الشرك بدعاء الموحدين منهم ثم أضرب عن رجاء الرجوع منهم الى أن تمتيعهم بالعمر وسعة الرزق صار سببا لعظم كفرهم وشدة عنادهم قال جار الله أراد بل اشتغلوا عن التوحيد (حتى جاءهم الحق) وهو القرآن (ورسول مبين) الرسالة واضحها فخيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها من غفلتهم لاقتضائها التنبيه ثم ابتدأ قصتهم عند مجىء الحق قائلا

أم أبرموا أمرا فانا مبرمون قال أم أجمعوا أمرا فانا مجمعون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد فى قوله أم أبرموا أمرا فانا مبرمون قال أم أحكموا أمرا فانا محكمون لأمرنا وقوله
أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم يقول أم يظن هؤلاء المشركون بالله أنا لا نسمع ما أخفوا عن
الناس من منطقهم وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم فلا نعاقبهم عليه لخفائه علينا وقوله بلى
ورسلنا لديهم يكتبون يقول تعالى ذكره بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم وأخفوه عن الناس من سر
كلامهم وحفظتنا لديهم يعنى عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق وتكلموا به من كلامهم وذكر
أن هذه الآية نزلت فى نفر ثلاثة تدارؤا فى سماع الله تبارك وتعالى كلام عباده ذكر من قال ذلك
حدثنى عمرو بن سعيد بن يسار القرشى قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا عاصم بن محمد العمرى
عن محمد بن كعب القرظى قال بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها قرشيان وثقفى أو ثقفيان وقرشى
فقال واحد من الثلاثة أترون الله يسمع كلامنا فقال الاول اذا جهرتم سمع واذا أسررتم لم يسمع قال
الثانى ان كان يسمع اذا أعلنتم فانه يسمع اذا أسررتم قال فنزلت أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم
ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله بلى ورسلنا لديهم يكتبون قال
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى بلى
ورسلنا لديهم يكتبون قال الحفظة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بلى
ورسلنا لديهم يكتبون أى عندهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل ان كان للرحمن ولد فأنا
أول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون﴾ اختلف أهل التأويل
فى تأويل قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين فقال بعضهم معنى ذلك قل يا محمد ان كان
للرحمن ولد فى قولكم وزعمكم أيها المشركون فأنا أول المؤمنين بالله فى تكذيبكم والجاحدين ما قلتم
من أن له ولدا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قل ان كان
للرحمن ولد كما تقولون فأنا أول العابدين المؤمنين بالله فقولوا ما شئتم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا
ابن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فأنا أول العابدين قال قل ان كان لله ولد
فى قولكم فأنا أول من عبد الله ووحده وكذبكم * وقال آخرون بل معنى ذلك قل ما كان للرحمن ولد
فأنا أول العابدين له بذلك ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية
عن على عن ابن عباس قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين يقول لم يكن للرحمن ولد فأنا أول
الشاهدين * وقال آخرون بل معنى ذلك نفى ومعنى ان الجحد وتأويل ذلك ما كان ذلك ولا ينبغى
أن يكون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ان كان
للرحمن ولد فأنا أول العابدين قال قتادة وهذه كلمة من كلام العرب ان كان للرحمن ولد أى ان ذلك
لم يكن ولا ينبغى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل ان كان للرحمن
ولد فأنا أول العابدين قال هذا الانكاف ما كان للرحمن ولد نكف الله أن يكون له ولد وان مثل ما
انما هى ما كان للرحمن ولد ليس للرحمن ولد مثل قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال انما هى
ما كان مكرهم لتزول منه الجبال فالذى أنزل الله من كتابه وقضاه من قضائه أثبت من الجبال وان
هى ما ان كان ما كان تقول العرب ان كان وما كان الذى تقول وفى قوله فأنا أول العابدين أول
من يعبد الله بالايمان والتصديق أنه ليس للرحمن ولد على هذا أعبد الله حدثنى ابن عبد الرحيم
البرقى قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال سألت ابن محمد عن قول الله ان كان للرحمن ولد قال ما كان

(ولما جاءهم الحق) جاؤا بما هو شر
من غفلتهم وهو أن ضموا الى شركهم
معاندة الحق ومكابرة الرسول
وانكار القرآن والله أعلم ﴿وقالوا
لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة
ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم
فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق
بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا
سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون
ولولا أن يكون الناس أمة واحدة
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة ومعارج عليها
يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا
عليها يتكئون وزخرفا وان كل
ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة
عند ربك للمتقين ومن يعش عن
ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو
له قرين وانهم ليصدونهم عن
السبيل ويحسبون أنهم مهتدون
حتى اذا جاءنا قال ياليت بينى وبينك
بعد المشرقين فبئس القرين ولن
ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم فى العذاب
مشتركون أفأنت تسمع الصم
أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال
مبين فاما نذهبن بك فانا منهم
منتقمون أو نرينك الذى وعدناهم
فانا عليهم مقتدرون فاستمسك
بالذى أوحى اليك انك على صراط
مستقيم وانه لذكر لك ولقومك
وسوف تسئلون واسئل من
أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا
من دون الرحمن آلهة يعبدون ولقد
أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون
وملئه فقال انى رسول رب العالمين
فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها
يضحكون وما نريهم من آية الا هى
أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب
لعلهم يرجعون وقالوا يا أيه الساحر

حدثني ابن عبدالرحيم البرقى قال ثنا عمرو قال سألت زيدبن أسلم عن قول الله قل ان كان للرحمن ولد قال هذا قول العرب معروف ان كان ما كان ان كان هذا الأمر قط ثم قال وقوله وان كان ما كان * وقال آخرون معنى ان فى هذا الموضع معنى المجازاة قالوا وتأويل الكلام لو كان للرحمن ولد كنت أول من عبده بذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين قال لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولدا ولكن لا ولد له * وقال آخرون معنى ذلك قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول الآنفين ذلك ووجهوا معنى العابدين الى المنكرين الآبين من قول العرب قد عبد فلان من هذا الأمر اذا أنف منه وغضب وأباه فهو يعبد عبدا كما قال الشاعر

ألا هويت أم الوليد وأصبحت * لما أبصرت فى الرأس منى تعبد

وكما قال الآخر

متى ما يشأ ذو الود يصرم خليله * و يعبد عليه لا محالة ظالما

وقد حدثني يونس بن عبدالأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى ابن أبى ذئب عن أبى قسيط عن بعجة بن زيد الجهنى أن امرأة منهم دخلت على زوجها وهو رجل منهم ايضا فولدت له فى ستة أشهر فذكر ذلك لعثمان بن عفان رضى الله عنه فأمر بها أن ترجم فدخل عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال ان الله تبارك وتعالى يقول فى كتابه وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال وفصاله فى عامين قال فوالله ما عبد عثمان أن بعث اليها ترد قال يونس قال ابن وهب عبد استنكف * وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال معنى ان الشرط الذى يقتضى الجزاء على ما ذكرناه عن السدى وذلك أن ان لا تعدو فى هذا الموضع أحد معنيين اما أن تكون الحرف الذى هو بمعنى الشرط الذى يطلب الجزاء أو تكون بمعنى الجحد وهى اذا وجهت الى الجحد لم يكن للكلام كبير معنى لأنه يصير بمعنى قل ما كان للرحمن ولد واذا صار بذلك المعنى أوهم أهل الجهل من أهل الشرك بالله أنه انما نفى بذلك عن الله عز وجل أن يكون له ولد قبل بعض الأوقات ثم أحدث له الولد بعد أن لم يكن مع أنه لو كان ذلك معناه لقدر الذين أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أن يقولوا له صدقت وهو كما قلت ونحن لم نزعم أنه لم يزل له ولد وانما قلنا لم يكن له ولد ثم خلق الجن فصاهرهم فحدث له منهم ولد كما أخبر الله عنهم أنهم كانوا يقولونه ولم يكن الله تعالى ذكره ليحتج لنبيه صلى الله عليه وسلم وعلى مكذبيه من الحجة بما يقدرون على الطعن فيه واذ كان فى توجيهنا ان الى معنى الجحد ما ذكرنا فالذى هو أشبه المعنيين بها الشرط واذ كان ذلك كذلك فبينة صحة ما نقول من أن معنى الكلام قل يا محمد لمشركى قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله ان كان للرحمن ولد فأنا أول عابديه بذلك منكم ولكنه لا ولد له فأنا أعبده بأنه لا ولد له ولا ينبغى أن يكون له واذا وجه الكلام الى ما قلنا من هذا الوجه لم يكن على وجه الشك ولكن على وجه الالطاف فى الكلام وحسن الخطاب كما قال جل ثناؤه قل الله وانا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين وقد علم أن الحق معه وأن مخالفيه فى الضلال المبين وقوله سبحان رب السموات والأرض يقول تعالى ذكره تبرئة وتنزيها لمالك السموات والأرض ومالك العرش المحيط بذلك كله وما فى ذلك من خلق مما يصفه به هؤلاء المشركون من الكذب و يضيفون اليه من الولد وغير ذلك من الأشياء التى لا ينبغى أن تضاف اليه * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة

ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) ۞ القراآت سقفا بالفتح فالسكون ابن كثير وأبو عمرو و يزيد والباقون بضمتين على الجمع كرهن ورهن قال أبو عبيدة لا ثالث لهما لما بالتشديد عاصم وحمزة بمعنى الا فان نافية الآخرون بالتخفيف فان مخففة واللام فارقة كما مر فى آخر هود يقيض على الغيبة والضمير للرحمن يعقوب وحماد الآخرون بالنون جاءنا على الوحدة والضمير للعاشى حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد و يعقوب الباقون بألف التثنية والضمير للعاشى والقرين انكم فى العذاب بالكسر ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان أيه الساحر بضم الهاء مثل أيه المؤمنون وقد مر فى النور تحتى بفتح الياء أبو عمرو وابن كثير ونافع وأبو جعفر أسورة كأجربة حفص وسهل و يعقوب الآخرون أساورة كأشاعرة وهو جمع اسوار بمعنى السوار وأصله أساوير الا أنه عوض من الياء هاء فى آخره سلفا بضمتين حمزة وعلى وهو جمع سليف الباقون بفتحتين جمع سالف كخادم وخدم ۞ الوقوف

قوله رب العرش عما يصفون أي يكذبون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فذرهم يخوضوا و يلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله وهو الحكيم العليم﴾ يقول تعالى ذكره فذر يا محمد هؤلاء المفترين على الله الواصفيه بأن له ولدا يخوضوا في باطلهم و يلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وذلك يوم يصليهم الله بفريتهم عليه جهنم وهو يوم القيامة كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون قال يوم القيامة وقوله وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله يقول تعالى ذكره والله الذي له الالوهة في السماء معبود وفي الأرض معبود كما هو في السماء معبود لا شئ سواه تصلح عبادته يقول تعالى ذكره فأفردوا لمن هذه صفته العبادة ولا تشركوا به شيأ غيره * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله قال يعبد في السماء و يعبد في الأرض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله أي يعبد في السماء وفي الأرض وقوله وهو الحكيم العليم يقول وهو الحكيم في تدبير خلقه وتسخيرهم لما يشاء العليم بمصالحهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره وتبارك الذي له سلطان السموات السبع والأرض وما بينهما من الأشياء كلها جار على جميع ذلك حكمه ماض فيهم قضاؤه يقول فكيف يكون له شريكا من كان في سلطانه وحكمه فيه نافذ وعنده علم الساعة يقول وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة و يحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب قوله واليه ترجعون يقول واليه أيها الناس تردون من بعد مماتكم فتصيرون اليه فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ولا يملك عيسى وعزير والملائكة الذين يعبدهم هؤلاء المشركون بالساعة الشفاعة عند الله لأحد الا من شهد بالحق فوحد الله وأطاعه علم منه بتوحيد وصحة بما جاءت به رسله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة قال عيسى وعزير والملائكة قوله الا من شهد بالحق قال كلمة الاخلاص وهم يعلمون أن الله حق وعيسى وعزير والملائكة يقول لا يشفع عيسى وعزير والملائكة إلا من شهد بالحق وهو يعلم الحق * وقال آخرون عنى بذلك ولا تملك الآلهة التي يدعوها المشركون و يعبدونها من دون الله الشفاعة الا عيسى وعزير وذووهما والملائكة الذين شهدوا بالحق فأقروا به وهم يعلمون حقيقة ما شهدوا به ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون الملائكة وعيسى وعزير قد عبدوا من دون الله ولهم شفاعة عند الله ومنزلة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة الا من شهد بالحق قال الملائكة وعيسى بن مريم وعزير فان لهم عند الله شهادة * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد الا من شهد بالحق وشهادته بالحق هو اقراره بتوحيد الله يعني بذلك الا من آمن بالله وهم يعلمون حقيقة توحيده ولم يخصص بأن الذي لا يملك ملك الشفاعة منهم بعض من كان يعبد من دون الله فذلك على جميع من كان تعبد قريش من دون الله

عظيم ٥ رحمت ربك ط سخريا ط يجمعون ٥ يظهرون ٥ لا يتكئون ٥ لا وزخرفا ط الدنيا ط للمتقين ٥ قرين ٥ مهتدون ٥ القرين ٥ مشتركون ٥ مبين ٥ منتقمون ٥ لا مقتدرون ٥ اليك ط لاحتمال التعليل مستقيم ٥ ولقومك ج للتعليق مع سين التهديد تسئلون ٥ يعبدون ٥ العالمين ٥ يضحكون ٥ من أختها ز لنوع عدول يرجعون ٥ لمهتدون ٥ ينكثون ٥ تحتي ج للاستفهام مع اتحاد الكلام تبصرون ٥ لان أم منقطعة مقترنين ٥ فأطاعوه ط فاسقين ٥ أجمعين ٥ للآخرين ٥ ۞ التفسير هذه حكاية شبهة لكفار قريش وذلك أنهم ظنوا أن الفضيلة في المال والجاه الدنيوي فقالوا (لولا نزل هذا القرآن) وفي الاشارة ههنا نوع استخفاف منهم لكتاب الله (على رجل من القريتين) اى من احداهما يعنون مكة أو الطائف قال المفسرون الذي بمكة هو الوليد ابن المغيرة والذي بالطائف هو عروة بن مسعود الثقفي ومنهم من قال غير ذلك وأرادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا فألزمهم الله تعالى بأجوبة أولها قوله على سبيل الانكار (أهم يقسمون رحمة ربك) أي النبوة فيضعوها حيث شاؤا (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) أي خدما وتابعا ومملوكا واللام لام العاقبة فان الانسان خلق مدنيا بالطبع وقالت المعتزلة للغرض واذا كانت المعايش

يوم نزلت هذه الآية وغيرهم وقد كان فيهم من يعبد من دون الله الآلهة وكان فيهم من يعبد من دونه الملائكة وغيرهم بجميع أولئك داخلون فى قوله ولا يملك الذين يدعو قريش وسائر العرب من دون الله الشفاعة عند الله ثم استثنى جل ثناؤه بقوله الا من شهد بالحق وهم يعلمون وهم الذين يشهدون شهادة الحق فيوحدون الله و يخلصون له الوحدانية على علم منهم و يقين بذلك أنهم يملكون الشفاعة عنده باذنه لهم بها كما قال جل ثناؤه ولا يشفعون الا لمن ارتضى فأثبت جل ثناؤه للملائكة وعيسى وعزير ملكهم من الشفاعة مانفاه عن الآلهة والاوثان باستثنائه الذى استثناه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من خلقهم ليقولن الله خلقنا فأنى يؤفكون فأى وجه يصرفون عن عبادة الذى خلقهم ويحرمون اصابة الحق فى عبادته وقوله وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون اختلفت القراء فى قراءة قوله وقيله فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة وقيله بالنصب واذا قرئ ذلك كذلك كان له وجهان فى التأويل أحدهما العطف على قوله أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ونسمع قيله يارب والثانى أن يضمر له ناصب فيكون معناه حينئذ وقال قوله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وشكى محمد شكواه الى ربه وقرأته عامة قراء الكوفة وقيله بالخفض على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فتأويل الكلام اذا وقال محمد قيله شاكيا الى ربه تبارك وتعالى قومه الذين كذبوه وما يلقى منهم يارب ان هؤلاء الذين أمرتنى بانذارهم وأرسلتنى اليهم لدعائهم اليك قوم لا يؤمنون كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون قال فأبر الله عزوجل قول محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون قال هذا قول نبيكم عليه السلام يشكو قومه الى ربه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وقيله يارب قال هو قول النبى صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء قوم لا يؤمنون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم جوابا له عن دعائه اياه اذ قال يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم يا محمد وأعرض عن أذاهم وقل لهم سلام عليكم ورفع سلام بضمير عليكم أو لكم واختلفت القراء فى قراءة قوله فسوف يعلمون فقرأ ذلك عامة قراء المدينة فسوف تعلمون بالتاء على وجه الخطاب بمعنى أمر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك للمشركين مع قوله سلام وقرأته عامة قراء الكوفة و بعض قراء مكة فسوف يعلمون بالياء على وجه الخبر وانه وعيد من الله للمشركين فتأويله على هذه القراءة فاصفح عنهم يا محمد وقل سلام ثم ابتدأ تعالى ذكره الوعيد لهم فقال فسوف يعلمون ما يلقون من البلاء والنكال والعذاب على كفرهم ثم نسخ الله جل ثناؤه هذه الآية وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاصفح عنهم وقل سلام قال اصفح عنهم ثم أمره بقتالهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله تبارك وتعالى يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون

آخر تفسير سورة الزخرف

الدنيوية مع حقارتها وخساستها مفوضة الى تدبير الله وتسخيره وتقديره دون أحد من خلقه فالأمور الدينية والمناصب الحقيقية الأخروية اولى بذلك وقيل الرحمة الرزق ومعنى الآية انكار أن الرزق منهم فكيف تكون النبوة منهم واستدلال السنى بالآية ظاهر فى أن كل الأرزاق من الله حلالا كانت أو حراما وقالت المعتزلة الله تعالى قاسم ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تنا ولهم والجواب أنه كما قسم الرزق عين الجهة التى بها يصل الرزق اليه فكل بقدره وثانيها قوله (ورحمة ربك خير مما يجمعون) لأن الدنيا منقضية فانية ودين الله وما يتبعه من السعادات باق لا يزول فكيف يجعل العاقل ما هو الأخس أفضل مما هو الأشرف وثالثها قوله (ولولا كراهة (أن يكون الناس أمة واحدة) مجتمعين على الكفر (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم) هو بدل اشتمال وقيل هما كقولك وهبت له ثوبا لقميصه فى أن اللام للغرض والمعارج المصاعد أو المراقى جمع معرج كمخلب (عليها) أى على المعارج (يظهرون) يعلون السطوح والزخرف الزينة أى جعلنا لهم زينة عظيمة فى كل باب وقيل الذهب أى جعلنا لهم مع ذلك ذهبا كثيرا أو وجه آخر على هذا التفسير وهو أن يكون معطوفا على قوله من فضة الا أنه نصب بنزع الخافض أى بعضها من فضة و بعضها من ذهب والحاصل أنه سبحانه ان وسع على الكافرين كل التوسعة أطبق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم

﴿ تفسير سورة الدخان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم﴾ قد تقدم بياننا فى معنى قوله حم والكتاب المبين وقوله انا أنزلناه فى ليلة مباركة أقسم جل ثناؤه بهذا الكتاب أنه أنزله فى ليلة مباركة واختلف أهل التأويل فى تلك الليلة أى ليلة من ليالى السنة هى فقال بعضهم هى ليلة القدر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا أنزلناه فى ليلة مباركة ليلة القدر ونزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان ونزلت التوراة لست ليال مضت من رمضان ونزل الزبور لست عشرة مضت من رمضان ونزل الانجيل لثمان عشرة مضت من رمضان ونزل الفرقان لاربع وعشرين مضت من رمضان حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله فى ليلة مباركة قال هى ليلة القدر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله عز وجل انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين قال تلك الليلة ليلة القدر أنزل الله هذا القرآن من أم الكتاب فى ليلة القدر ثم أنزله (١) على الانبياء فى الليالى والايام وفى غير ليلة القدر * وقال آخرون بل هى ليلة النصف من شعبان * والصواب من القول فى ذلك قول من قال عنى بها ليلة القدر لان الله جل ثناؤه أخبر أن ذلك كذلك لقوله تعالى انا كنا منذرين خلقنا بهذا الكتاب الذى أنزلناه فى الليلة المباركة عقوبتنا أن تحل بمن كفر منهم فلم ينب الى توحيدنا وافراد الالوهة لنا وقوله فيها يفرق كل أمر حكيم اختلف أهل التأويل فى هذه الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم نحو اختلافهم فى الليلة المباركة وذلك أن الهاء التى فى قوله فيها عائدة على الليلة المباركة فقال بعضهم هى ليلة القدر يقضى فيها أمر السنة كلها من يموت ومن يولد ومن يعز ومن يذل وسائر أمور السنة ذكر من قال ذلك حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا ربيعة بن كلثوم قال كنت عند الحسن فقال له رجل يا أبا سعيد ليلة القدر فى كل رمضان هى قال إى والله انها لفى كل رمضان وانها الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضى الله كل أجل وأمل ورزق الى مثلها حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال قال رجل للحسن وأنا أسمع أرأيت ليلة القدر أفى كل رمضان هى قال نعم والله الذى لا اله الا هو إنها لفى كل رمضان وانها الليلة يفرق فيها كل أمر حكيم يقضى الله كل أجل وخلق ورزق الى مثلها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الحميد بن سالم عن عمر مولى غفرة قال يقال ينسخ لملك الموت من يموت ليلة القدر الى مثلها وذلك لأن الله عز وجل يقول انا أنزلناه فى ليلة مباركة وقال فيها يفرق كل أمر حكيم قال فتجد الرجل ينكح النساء ويغرس الغرس واسمه فى الاموات حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة عن أبى مالك فى قوله فيها يفرق كل أمر حكيم قال أمر السنة الى السنة ما كان من خلق أو رزق أو أجل أو مصيبة أو نحو هذا * قال ثنا سفيان عن حبيب عن هلال بن يساف قال كان يقال انتظروا القضاء فى شهر رمضان حدثنا الفضل بن الصباح قال ثنا محمد بن فضيل عن حصين عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن فى قوله فيها يفرق كل أمر حكيم قال يدبر أمر

عليها مع حقارة الدنيا عند الله تعالى وفى معناه قول نبينا صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وانما لم يوسع على المسلمين كلهم لتكون رغبة الناس فى الاسلام لمحض الاخلاص لا لأجل الدنيا ثم بشر المؤمنين بقوله (وان كل ذلك) الى آخره قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن اللطف من الله تعالى واجب وفيه أنه تعالى لما لم يفعل بالناس التوسعة لئلا يجتمعوا على الكفر فلأن لا يخلق فيهم الكفر أولى والجواب أن وقوع كل الناس فى طريق القهر محذور وأما وقوع البعض فضرورى كما مر فى أول البقرة فشتان بين الممتنع الوجود والضرورى الوجود فكيف يقاس أحدهما على الآخر ثم بين أن مادة كل الآفات وأصل جميع البليات هو السكون الى الدنيا والركون الى أهلها فان ذلك بمنزلة الرمد للبصر ويصير بالتدريج كالعشى ثم كالعمى فقال (ومن يعش عن ذكر الرحمن) أى عن القرآن أى يعرف أنه الحق ولكنه يتجاهل قال جار الله قرئ بفتح الشين أيضا والفرق أنه اذا حصلت آفة فى بصره يقال عشى بالكسر أى عمى يعشى بالفتح واذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا اى تعامى وفيه معنى الاعراض فلهذا عدى بعن ومعنى (نقيض) نقدر كما مر فى حم السجدة (وانهم) أى الشياطين (ليصدونهم) أى العشى عن دين الله (ويحسبون) أى الكفار أن الشياطين والكافرين (مهتدون) وانما جمع الضميرين لان من عام وشيطانا تابع له ولا شك أن

(١) لعله على الأشياء والأنبياء حرر

السنة فى ليلة القدر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فيها يفرق كل أمر حكيم قال فى ليلة القدر كل أمر يكون فى السنة الى السنة الحياة والموت يقدر فيها المعايش والمصائب كلها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا أنزلناه فى ليلة مباركة ليلة القدر فيها يفرق كل أمر حكيم كنا نحدث أنه يفرق فيها أمر السنة الى السنة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال هى ليلة القدر فيها يقضى ما يكون من السنة الى السنة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور قال سألت مجاهدا فقلت أرأيت دعاء أحدنا يقول اللهم ان كان اسمى فى السعداء فأثبته فيهم وان كان فى الأشقياء فامحه منهم واجعله بالسعداء فقال حسن ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر من ذلك فسألته عن هذا الدعاء قال انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم قال يقضى فى ليلة القدر ما يكون فى السنة من رزق أو مصيبة ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء فأما كتاب السعادة والشقاء فهو ثابت لا يغير * وقال آخرون بل هى ليلة النصف من شعبان ذكر من قال ذلك حدثنا الفضل بن الصباح والحسن بن عرفة قالا ثنا الحسن بن اسمعيل البجلى عن محمد بن سوقة عن عكرمة فى قول الله تبارك وتعالى فيها يفرق كل أمر حكيم قال فى ليلة النصف من شعبان يبرم فيه أمر السنة وتنسخ الأحياء من الاموات ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد حدثنى عبيد بن آدم بن أبى اياس قال ثنا أبى قال ثنا الليث عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الاخنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتى حدثنى محمد ابن معمر قال ثنا أبو هشام قال ثنا عبد الواحد قال ثنا عثمان بن حكيم قال ثنا سعيد ابن جبير قال قال ابن عباس ان الرجل ليمشى فى الناس وقد رفع فى الاموات قال ثم قرأ هذه الآية انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم قال ثم قال يفرق فيها أمر الدنيا من السنة الى السنة * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال ذلك ليلة القدر لما قد تقدم من بياننا عن أن المعنى بقوله انا أنزلناه فى ليلة مباركة ليلة القدر والهاء فى قوله فيها من ذكر الليلة المباركة وعنى بقوله فيها يفرق كل أمر حكيم فى هذه الليلة المباركة يقضى ويفصل كل أمر أحكمه الله تعالى فى تلك السنة الى مثلها من السنة الأخرى ووضع حكيم موضع محكم كما قال الم تلك آيات الكتاب الحكيم يعنى المحكم وقوله أمرا من عندنا انا كنا مرسلين يقول تعالى ذكره فى هذه الليلة المباركة يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله أمرا فقال بعض نحويى الكوفة نصب على انا أنزلناه أمرا ورحمة على الحال وقال بعض نحويى البصرة نصب على معنى يفرق كل أمر فرقا وأمرا قال وكذلك قوله رحمة من ربك قال ويجوز أن تنصب الرحمة بوقوع مرسلين عليها بجعل الرحمة للنبى صلى الله عليه وسلم وقوله انا كنا مرسلين يقول تعالى ذكره انا كنا مرسلى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم الى عبادنا رحمة من ربك يا محمد انه هو السميع العليم يقول ان الله تبارك وتعالى هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون فيما أنزلنا من كتابنا وأرسلنا من رسلنا اليهم وغير ذلك من منطقهم ومنطق غيرهم العليم بما تنطوى عليه ضمائرهم وغير ذلك من أمورهم وأمور غيرهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين بل هم فى شك

هذا القرين ملازم له فى الآخرة لقوله حتى اذا جاءنا الآية وأما فى الدنيا فمحتمل بل لازم لقوله صلى الله عليه وسلم كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون ويروى أن الكافر اذا بعث يوم القيامة من قبره أخذ شيطان بيده ولم يفارقه حتى يصيرهما الله الى النار فذلك حيث يقول (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) أى بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب كالقمرين وقيل المغرب أيضا مشرق بالنسبة الى الحركة الثانية وهذا قول أهل السنة وقيل مشرق الصيف ومشرق الشتاء وفيه ضعف لأنه لا يفيد مبالغة فبين الله تعالى أن ذلك التمنى لا ينفعهم وعلله بقوله (انكم) من قرأ بالكسر فظاهر ومن قرأ بالفتح فعلى حذف اللام أى لن ينفعكم تمنيكم لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه وهو الكفر ويحتمل أن يكون أن فى قراءة الفتح فاعل ينفع أى لن ينفعكم كونكم مشتركين فى العذاب وان قيل المصيبة اذا عمت طابت وذلك أن كل أحد مشغول فى ذلك اليوم عن حال غيره بحال نفسه و(اذ) بدل من اليوم ومعناه اذ ظلمكم تبين ووضح لكل أحد ثم انه صلى الله عليه وسلم كان يحزن على فقد الايمان منهم فسلاه بقوله (أفأنت) الى آخره وقوله (فاما نذهبن بك) أراد به قبض روحه كقوله فى يونس وفى المؤمن فاما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك والانتقام اما فى الآخرة وهو قول الجمهور أو فى الدنيا عن جابر أنه قال لما نزلت فانا منهم منتقمون قال النبى صلى الله عليه

يلعبون ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله رب السموات والارض فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة رب السموات بالرفع على إتباع اعراب الرب اعراب السميع العليم وقرأته عامة قراء الكوفة وبعض المكيين رب السموات خفضا ردّا على الرب فى قوله جلّ جلاله رحمة من ربك * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ويعنى بقوله رب السموات والارض وما بينهما يقول تعالى ذكره الذى أنزل هذا الكتاب يا محمد عليك وأرسلك الى هؤلاء المشركين رحمة من ربك مالك السموات السبع والارض وما بينهما من الاشياء كلها وقوله ان كنتم موقنين يقول ان كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم من أن ربكم رب السموات والارض فان الذى أخبرتكم أن الله هو الذى هذه الصفات صفاته وأن هذا القرآن تنزيله ومحمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حق يقين فأيقنوا به كما أيقنتم بما توقنون من حقائق الاشياء غيره وقوله لا اله الا هو يقول لا معبود لكم أيها الناس غير رب السموات والارض وما بينهما فلا تعبدوا غيره فانه لا تصلح العبادة لغيره ولا تنبغى لشئ سواه يحيى ويميت يقول هو الذى يحيى ما يشاء ويميت ما يشاء مما كان حيا وقوله ربكم ورب آبائكم الاولين يقول هو مالككم ومالك من مضى قبلكم من آبائكم الأولين يقول فهذا الذى هذه صفته هو الرب فاعبدوه دون آلهتكم التى لا تقدر على ضر ولا نفع وقوله بل هم فى شك يلعبون يقول تعالى ذكره ما هم بموقنين بحقيقة ما يقال لهم ويخبرون من هذه الاخبار يعنى بذلك مشركى قريش ولكنهم فى شك منه فهم يلهون بشكهم فى الذى يخبرون به من ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله فارتقب فانتظر يا محمد بهؤلاء المشركين من قومك الذين هم فى شك يلعبون وانما هو افتعل من رقبته اذا انتظرته وحرسته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فارتقب أى فانتظر وقوله يوم تأتى السماء بدخان مبين اختلف أهل التأويل فى هذا الذى أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرتقبه وأخبره أن السماء تأتى فيه بدخان مبين أىّ يوم هو ومتى هو وفى معنى الدخان الذى ذكر فى هذا الموضع فقال بعضهم ذلك حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش ربه تبارك وتعالى أن يأخذهم بسنين كسنى يوسف فأخذوا بالمجاعة قالوا وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذ فى أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان ذكر من قال ذلك حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن مسلم عن مسروق قال دخلنا المسجد فاذا رجل يقص على أصحابه ويقول يوم تأتى السماء بدخان مبين تدرون ما ذلك الدخان ذلك دخان يأتى يوم القيامة فيأخذ أسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام قال فأتينا ابن مسعود فذكرنا ذلك له وكان مضطجعا ففزع فقعد فقال ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم سأحدثكم عن ذلك ان قريشا لما أبطأت عن الاسلام واستعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسنى يوسف فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة وجعلوا يرفعون أبصارهم الى السماء فلا يرون الا الدخان قال الله تبارك وتعالى يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم فقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون قال الله جل ثناؤه انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون

وسلم بعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أورده فى تفسير اللباب وقيل فاما نذهبن بك من مكة فانا منهم منتقمون يوم بدر والحاصل أنه تعالى توعد الكفار بعذاب الدنيا والآخرة جميعا ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم سواء عجلنا لك الظفر والغلبة أو أخرناه الى الآخرة فكن متمسكا بما أوحينا اليك فانه الدين الذى لا عوج له وانه لشرف لك ولقومك أى لجميع أمتك أو لقريش وسوف تسئلون هل أديتم شكر هذه النعمة أم لا قال أهل التحقيق فى الآية دلالة على أن الذكر الجميل أمر مرغوب فيه لعموم أثره وشموله كل مكان وكل زمان خلاف الحياة المستعارة فان أثرها لا يجاوز مسكن الحى قلت الذكر الجميل جميل ولكن الذكر الحاصل من القرآن أجمل رزقنا الله طرفا من ذلك بعميم فضله ثم ان السبب الأقوى فى بغض الكفار وعداوتهم للنبى صلى الله عليه وسلم انكاره لاصنامهم فبين تعالى انه غير مخصوص بهذه الدعوة وهذا الانكار ولكنه دين أطبق كل الانبياء على الدعاء اليه وفى الآية أقوال أحدها أن المضاف محذوف تقديره واسأل يا محمد أمم من أرسلنا وقال القفال المحذوف صلة التقدير واسأل من أرسلنا اليهم من قبلك رسولا من رسلنا والمراد أهل الكتابين لأنهم كانوا يرجعون اليهم فى كثير من أمورهم نظيره فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ثانيها أن حقيقة السؤال ههنا ممتنعة ولكنه مجاز عن النظر فى أديانهم والفحص عن مللهم

قال فعادوا يوم بدر فانتقم الله منهم حدثني عبدالله بن محمد الزهرى قال ثنا مالك بن سعير
قال ثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق قال كان فى المسجد رجل يذكر الناس فذكر نحو حديث
عيسى عن يحيي بن عيسى الا أنه قال فانتقم يوم بدر فهى البطشة الكبرى حدثنا ابن حميد وعمرو
ابن عبدالحميد قالا ثنا جرير عن منصور عن أبى الضحى مسلم بن صبيح عن مسروق قال كنا
عند عبدالله بن مسعود جلوسا وهو مضطجع بيننا فأتاه رجل فقال يا أبا عبدالرحمن ان قاصا عند
ابواب كندة يقص و يزعم أن آية الدخان تجىء فتأخذ بأنفاس الكفار و يأخذ المؤمنين منه كهيئة
الزكام فقام عبدالله و جلس وهو غضبان فقال يا أيها الناس اتقوا الله فمن علم شيأ فليقل بما يعلم ومن لا
يعلم فليقل الله أعلم وقال عمرو فانه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم وما على أحدكم أن يقول لما
لا يعلم لا أعلم فان الله عز وجل يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من
المتكلفين ان النبى صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادبارا قال اللهم سبعا كسبع يوسف
فأخذتهم سنة حصت كل شئ حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف ينظر أحدهم الى السماء فيرى
دخانا من الجوع فأتاه أبو سفيان بن حرب فقال يا محمد انك جئت تأمر بالطاعة و بصلة الرحم وان
قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله انكم
عائدون قال فكشف عنهم يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وقد مضت
آية الروم و آية الدخان والبطشة واللزام حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش
عن مسلم عن مسروق قال قال عبدالله خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم
حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم قال شهدت جنازة فيها زيد بن على فأنشأ
يحدث يومئذ فقال ان الدخان يجىء قبل يوم القيامة فيأخذ بأنف المؤمن الزكام و يأخذ بمسامع
الكافر قال قلت رحمك الله ان صاحبنا عبدالله قد قال غير هذا قال ان الدخان قد مضى وقرأ هذه الآية
فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم قال أصاب الناس جهد حتى
جعل الرجل يرى ما بينه و بين السماء دخانا فذلك قوله فارتقب وكذا قرأ عبدالله الى قوله مؤمنون
قال انا كاشفو العذاب قليلا قلت لزيد فعادوا فأعاد الله عليهم بدرا فذلك قوله وان عدتم عدنا فذلك
يوم بدر قال فقبل والله قال عاصم فقال رجل يرد عليه فقال زيد رحمة الله عليه أما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد قال انكم سيجيئكم رواة فما وافق القرآن فخذوا به وما كان غير ذلك فدعوه حدثنا
ابن المثنى قال ثنا ابن عبدالأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن مسعود أنه قال البطشة الكبرى
يوم بدر وقد مضى الدخان حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف قال سمعت
أبا العالية يقول ان الدخان قد مضى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن عمرو عن مغيرة عن
ابراهيم قال مضى الدخان لسنين أصابتهم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال
ثنا أيوب عن محمد قال نبئت أن ابن مسعود كان يقول قد مضى الدخان كان سنين كسنى يوسف
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يوم تأتى السماء بدخان مبين قال
الجدب وامساك المطر عن كفار قريش الى قوله انا مؤمنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة يوم تأتى السماء بدخان مبين قال كان ابن مسعود يقول قد مضى الدخان وكان
سنين كسنى يوسف يغشى الناس هذا عذاب أليم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ

وثالثها أن التقدير واسأل جبرائيل
عمن أرسلنا ورابعها أن النبى صلى
الله عليه وسلم جمع له الانبياء ليلة
المعراج فى السماء أوفى بيت المقدس
فأمهم وقيل له صلى الله عليه وسلم
سلهم فلم يسأل وقد قال صلى الله
عليه وسلم انى لا أشك فى ذلك قاله
ابن عباس وعن ابن مسعود أن
النبى صلى الله عليه وسلم قال أتانى
ملك فقال يا محمد سل من أرسلنا
من قبلك من رسلنا علام بعثوا قال
قلت علام بعثوا قال على ولايتك
وولاية على بن أبى طالب رضى الله
عنه رواه الثعلبى ولكنه لا يطابق
قوله سبحانه أجعلنا الآية وجوز
بعضهم أن يكون من مبتدأ
والاستفهامية خبره والعائد محذوف
أى على ألسنتهم ومعنى الجعل
التسمية والحكم واعلم أن كفار
قريش انما طعنوا فى نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم من جهة كونه فقيرا
خاملا وكان فرعون اللعين قد طعن
فى موسى بمثل ذلك حيث قال
أليس لى ملك مصر الى قوله مهين
فلا جرم أورد قصة موسى ههنا
تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم قوله
(فلما جاءهم) معطوف على محذوف
تقديره فقال انى رسول رب العالمين
فطالبوه اقامة البينة على دعواه فلما
جاءهم الى آخره قال جارالله فعل
المفاجأة مع اذا مقدر وهو عامل
النصب فى محلها كانه قيل فلما
جاءهم بآياتنا فاجأوقت ضحكهم
استهزاء أو سخرية قوله (وما نريهم)
حكاية حال ماضية وفى قوله (هى
أكبر من أختها) وجهان أحدهما أن
كلا منها مثل شبيهتها التى تقدمت
وكل من رأى واحدة منها حكم بأنها

يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يوم تأتى السماء بدخان مبين قدمضى شأن
الدخان حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن عبدالله يوم نبطش البطشة
الكبرى قال يوم بدر * وقال آخرون الدخان آية من آيات الله مرسلة على عباده قبل مجيء الساعة
فيدخل فى أسماع أهل الكفر به ويعترى أهل الايمان به كهيئة الزكام قالوا ولم يأت بعد وهو آت
ذكر من قال ذلك حدثنى واصل بن عبدالأعلى قال ثنا ابن فضيل عن الوليد بن جميع عن
عبدالملك بن المغيرة عن عبدالرحمن بن البيلمان عن ابن عمر قال يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة
الزكمة ويدخل فى مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيذ حدثنى يعقوب بن ابراهيم
قال ثنا ابن علية عن ابن جريج عن عبدالله بن أبى مليكة قال غدوت على ابن عباس ذات يوم
فقال ما نمت الليلة حتى أصبحت قلت لم قال قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون
الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت حدثنا محمد بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن
عوف قال قال الحسن ان الدخان قد بقى من الآيات فاذا جاء الدخان نفخ الكافر حتى يخرج من كل
سمع من مسامعه ويأخذ المؤمن كزكمة حدثنا ابن بشار قال ثنا عثمان يعنى ابن الهيثم قال
ثنا عوف عن الحسن بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن
الحسن عن أبى سعيد قال يهيج الدخان بالناس فأما المؤمن فيأخذه منه كهيئة الزكمة وأما الكافر
فيهيجه حتى يخرج من كل مسمع منه قال وكان بعض أهل العلم يقول فما مثل الارض يومئذ إلا
كمثل بيت أوقد فيه ليس فيه خصاصة حدثنى عصام بن رواد بن الجراح قال ثنى أبى
قال ثنا سفيان بن سعيد الثورى قال ثنا منصور بن المعتمر عن ربعى بن حراش قال سمعت
حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدجال ونزول عيسى بن
مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا والدخان قال حذيفة
يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى
الناس هذا عذاب أليم يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه
كهيئة الزكام وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره حدثنى محمد بن
عوف قال ثنا محمد بن اسمعيل بن عياش قال ثنى أبى قال ثنى ضمضم بن زرعة عن شريح
ابن عبيد عن أبى مالك الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم أنذركم ثلاثا
الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه والثانية
الدابة والثالثة الدجال * وأولى القولين بالصواب فى ذلك ما روى عن ابن مسعود من أن الدخان
الذى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرتقبه هو ما أصاب قومه من الجهد بدعائه عليهم على
ما وصفه ابن مسعود من ذلك ان لم يكن خبر حذيفة الذى ذكرناه عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم صحيحا وان كان صحيحا فرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما أنزل الله عليه وليس لأحد مع
قوله الذى يصح عنه قول وانما لم أشهد له بالصحة لان محمد بن خلف العسقلانى حدثنى أنه سأل
روادا عن هذا الحديث هل سمعه من سفيان فقال له لا فقلت له فقرأته عليه فقال لا فقلت له فقرئ
عليه وأنت حاضر فأقر به فقال لا فقلت له فمن أين جئت به قال جاءنى به قوم فعرضوه على وقالوا
لى اسمعه منا فقرؤه على ثم ذهبوا فحدثوا به عنى أو كما قال فلما ذكرت من ذلك لم أشهد له بالصحة
وانما قلت القول الذى قاله عبدالله بن مسعود هو أولى بتأويل الآية لأن الله جل ثناؤه توعد
بالدخان مشركى قريش وأن قوله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين

فى

حكم كبراها لتكافؤ كل منها فى الكبر
واذا كان هذا الحكم صادقا على
كل منها فكلها كبار كما قال الحماسى
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم *
مثل النجوم التى يسرى بها السارى
وثانيها أن يقال ان الآية الاولى كبيرة
والتى تليها أكبر من الأولى والثالثة
أكبر من الثانية وكذلك ما بعدها
هذا القدر مستفاد من الآية
وأما تفصيل هذا التفضيل فلعله
لا يطلع عليه الا خالقها ومظهرها
(وأخذناهم بالعذاب) السنين
ونقص من الثمرات الى سائر ما بتلوا
به قالت المعتزلة (لعلهم يرجعون)
أى ارادة أن يرجعوا فورد عليهم أنه
لو أراد رجوعهم لكان وأجابوا
بأنه لو أراد قسرا لكان ولكنه أراد
مختارا وزيف بأنه لو أراد أن يقع
طريق الاختيار لزم أن يقع أيضا
مختارا أما الفرق فالصواب أن
يقال لعل للترجى ولكن بالنسبة
الى المكلف كما مر مرارا (وقالوا
يا أيه الساحر) أى العالم الماهر
ولم يكن السحر عندهم ذما بل
كانوا يستعظمونه ولهذا قالوا اننا
لمهتدون وقيل كانوا بعد على كفرهم
فلهذا اسموه ساحرا وقولهم (اننا
لمهتدون) وعد منوى اخلافه وقولهم
(ادع لنا ربك بما عهد عندك) أى
بعهده عندك من أن دعوتك
مستجابة وقد مر فى الأعراف
(ونادى فرعون) أى أمر بالنداء
(فى) مجامع (قومه) أو رفع صوته
بذلك فيما بين خواصه فانتشر
فى غيرهم والأنهار أنهار النيل قال
المفسرون كانت ثلثمائة وستين نهرا
ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر
طالوت ونهر دمياط ونهر منفيس

في سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه اياهم بشركهم بقوله لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين بل هم في شك يلعبون ثم أتبع ذلك قوله لنبيه عليه السلام فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين أمرا منه له بالصبر الى أن يأتيهم بأسه وتهديدا للمشركين فهو بأن يكون اذ كان وعيدا لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون أخره عنهم لغيرهم وبعد فانه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم ويكون محلا فيما يستأنف بعد بآخرين دخانا على ما جاءت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا كذلك لان الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تظاهرت بان ذلك كائن فانه قد كان ما روى عنه عبد الله ابن مسعود فكلا الخبرين اللذين رويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح وان كان تأويل الآية في هذا الموضع ما قلنا فاذ كان الذي قلنا في ذلك أولى التأويلين فبين أن معناه فانتظر يا محمد لمشركي قومك يوم تأتيهم السماء من البلاء الذي يحل بهم على كفرهم بمثل الدخان المبين لمن تأمله أنه دخان يغشى الناس يقول يغشى أبصارهم من الجهد الذي يصيبهم هذا عذاب أليم يعني أنهم يقولون مما نالهم من ذلك الكرب والجهد هذا عذاب أليم وهو الموجع وترك من الكلام يقولون استغناء بمعرفة السامعين معناه من ذكرها وقوله ربنا اكشف عنا العذاب يعني أن الكافرين الذين يصيبهم ذلك الجهد يضرعون الى ربهم بمسئلتهم اياه كشف ذلك الجهد عنهم ويقولون انك ان كشفته عنا آمنا بك وعبدناك من دون كل معبود سواك كما أخبر عنهم جل ثناؤه ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون﴾ يقول تعالى ذكره من أي وجه لهؤلاء المشركين التذكر من بعد نزول البلاء بهم وقد تولوا عن رسولنا حين جاءهم مدبرين عنه لا يتذكرون بما يتلى عليهم من كتابنا ولا يتعظون بما يعظهم به من حججنا ويقولون انما هو مجنون(١) على هذا الكلام * وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله أنى لهم الذكرى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله أنى لهم الذكرى يقول كيف لهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنى لهم الذكرى بعد وقوع هذا البلاء * وبنحو الذي قلنا أيضا في قوله ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال تولوا عن محمد عليه السلام وقالوا معلم مجنون وقوله انا كاشفو العذاب قليلا انكم عائدون يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنهم يستغيثون به من الدخان النازل والعذاب الحال بهم من الجهد وأخبر عنهم أنهم يعاهدونه أنه ان كشف العذاب عنهم آمنوا انا كاشفو العذاب يعني الضر النازل بهم بالخصب الذي نحدثه لهم قليلا انكم عائدون يقول انكم أيها المشركون اذا كشفت عنكم ما بكم من ضر لم تفوا بما تعدون وتعاهدون عليه ربكم من الايمان ولكنكم تعودون في ضلالتكم وغيكم وما كنتم قبل أن يكشف عنكم وكان قتادة يقول معناه انكم عائدون في عذاب الله حدثنا بذلك ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عنه وأما الذين قالوا عني بقوله يوم تأتي السماء

كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني وعن عبد الله ابن المبارك الدينوري في تفسيره أنه أراد بالانهار الجياد من الخيل وهو موافق لما جاء في الحديث في فرس أبي طلحة وان وجدناه لبحرا وقال الضحاك معناه وهذه القواد والجبابرة تحت لوائي قال النحويون اما أن تكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال أو الواو للحال وما بعده جملة محلها نصب وفي أم أقوال منها قول سيبويه انها متصلة تقديره أفلا تبصرون أم تبصرون الا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء فهذا من انزال السبب منزلة المسبب لان الابصار سبب لهذا القول بزعمه ومنها أنها منقطعة لأنه عدد عليهم أسباب الفضل ثم أضرب عن ذلك ثانيا أأثبت عندكم أني خير ومنها أن التقدير أفلا تبصرون أني خير أم أبصرتم ثم استأنف فقال أنا خير والمهين من المهانة أي الحقارة والضعف أراد أنه فقير ولا عدد معه ولا عدد (ولا يكاد يبين) الكلام لان عقدته لم تزل بالكلية كما شرحنا في طه والقاء الاسورة عليه عبارة عن تفويض مقاليد الملك اليه كانوا اذا أرادوا تشريف الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب وغيره أي ليس معه آلات الملك والسياسة أو ليس معه حلية وزي حسن كما أن الملوك يشهرون رسلهم بالخلع والمكرمات وبأشخاص يتبعونهم فلذلك قالوا (أو جاء معه الملائكة مقترنين) به أو يقترن

(١) لعله علم هذا تأمل

بعضهم ببعض (فاستخف قومه) أى حملهم على أن يخفوا له فى الطاعة اواستخف عقولهم واستجهلهم (فأطاعوه) وهـذه من عادة اللئام كما قيل العبد لا يردعه الا العصا
* وان أنت أكرمت اللئيم تمردا *
ومعنى (آسفونا) أغضبونا أو أغضبوا رسلنا (فجعلناهم سلفا) أى متقدمين وعبرة للمتأخرين ليعتبروا من حالهم فلا يقدموا على مثل أفعالهم واليـه المآب ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدّون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترنّ بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدّنكم الشيطان انه لكم عدوّ مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيـه فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبـدوه هـذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهـم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتـة وهم لا يشعرون الأخلاء يومئـذ بعضهم لبعض عدوّ الا المتقين ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة

بدخان مبين الدخان نفسه فانهم قالوا فى هـذا الموضع عنى بالعذاب الذى قال انا كاشفو العذاب الدخان ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا كاشفو العـذاب قليلا يعـنى الدخان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انا كاشـفو العذاب قليـلا قال قـد فعل كشف الدخان حين كان قوله انكم عائدون قال كشف عنهـم فعادوا حدثنا ابن عبـد الأعلى قال ثنـا ابن ثور عن معمر عن قتادة انكم عائدون الى عذاب الله ﴿ القول فى تأويل قوله تعـالى ﴿يوم نبطش البطشـة الكـبرى انا منتقمون ولقـد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدّوا الىّ عبـاد الله انى لكم رسول أمـين﴾ يقول تعالى ذكره انكم أيها المشركون ان كشفت عنكم العـذاب النازل بكم والضرّ الحالّ بكم ثم عدتم فى كفركم ونقضتم عهـدكم الذى عاهـدتم ربكم انتقمت منـكم يوم أبطش بكم بطشتى الكبرى فى عاجل الدنيـا فأهلككم وكشف الله عنهم فعادوا فبطش بهم جـل ثناؤه بطشـته الكـبرى فى الدنيا فأهلكهم قتلا بالسـيف وقـد اختلف أهل التأويل فى البطشة الكبرى فقال بعضهم هى بطشـة الله بمشركى قريش يوم بدر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثـنى قال ثنى ابن عبـد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن مسعود أنه قال البطشـة الكبرى يوم بدر حدثنى عبـد الله بن محمـد الزهرى قال ثنا مالك بن سعير قال ثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال يوم بدر البطشة الكبرى حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن محمد قال نبئت أن ابن مسعود كان يقول يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر حدثنى يعقوب قال ثنا ابن عليـة عن ليث عن مجاهـد يوم نبطش البطشـة الكبرى قال يوم بدر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنـا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهـد قوله يوم نبطش البطشـة الكبرى قال يوم بدر حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف قال سمعت أبا العاليـة فى هـذه الآية يوم نبطش البطشة الكبرى قال يوم بدر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيـه عن ابن عباس قوله يوم نبطش البطشـة الكـبرى انا منتقمون قال يعـنى يوم بدر حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام بن على عن الأعمش عن ابراهيم قال قلت ما البطشـة الكبرى فقال يوم القيامة فقلت ان عبـد الله كان يقول يوم بدر قال فبلغنى أنه سئل بعـد ذلك فقال يوم بدر حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن الأعمش عن ابراهيم بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى الخليل عن مجاهد عن أبىّ بن كعب قال يوم بدر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيـد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم نبطش البطشـة الكـبرى قال هـذا يوم بدر * وقال آخرون بل هى بطشـة الله بأعدائه يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهـيم قال ثنا ابن عليـة قال ثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال قال ابن عباس قال ابن مسعود البطشة الكـبرى يوم بدر وأنا أقـول هى يوم القيـامـة حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنـا ابن ادريس قال ثنا الاعمش عن ابراهيم قال مرّ بى عكرمة فسألتـه عن البطشة الكبرى فقال يوم القيامـة قال قلت ان عبـد الله بن مسعود كان يقول يوم بدر وأخبرنى من سأله بعد ذلك فقال

يوم بدر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله يوم نبطش البطشة الكبرى قال قتادة عن الحسن انه يوم القيامة * وقد بينا الصواب فى ذلك فيما مضى والعلة التى من أجلها اخترنا ما اخترنا من القول فيه وقوله ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون يعنى تعالى ذكره ولقد اختبرنا وابتلينا يا محمد قبل مشركى قومك مثال هؤلاء قوم فرعون من القبط وجاءهم رسول كريم يقول وجاءهم رسول من عندنا أرسلناه اليهم وهو موسى بن عمران صلوات الله عليه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم يعنى موسى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله رسول كريم قال موسى عليه السلام ووصفه جل ثناؤه بالكرم لانه كان كريما عليه رفيعا عنده مكانه وقد يجوز أن يكون وصفه بذلك لأنه كان فى قومه شريفا وسيطا وقوله أن أدوا الىّ عباد الله يقول تعالى ذكره وجاء قوم فرعون رسول من الله كريم عليه بأن ادفعوا الىّ ومعنى أدوا ادفعوا الىّ فأرسلوا معى واتبعون وهو نحو قوله أن أرسل معى بنى اسرائيل فأن فى قوله أن أدوا الىّ نصب وعباد الله نصب بقوله أدوا وقد تأوله قوم أن أدوا الىّ يا عباد الله فعلى هذا التأويل عباد الله نصب على النداء * وبنحو الذى قلنا فى تأويل أن أدوا الىّ قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدوا الىّ عباد الله انى لكم رسول أمين قال يقول اتبعونى الى ما أدعوكم اليه من الحق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أن أدوا الىّ عباد الله قال أرسلوا معى بنى اسرائيل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أن أدوا الىّ عباد الله قال بنى اسرائيل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن أدوا الىّ عباد الله يعنى به بنى اسرائيل قال لفرعون علام تحبس هؤلاء القوم قوما أحرارا اتخذتهم عبيدا خل سبيلهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أن أدوا الىّ عباد الله قال يقول أرسل عباد الله معى يعنى بنى اسرائيل وقرأ فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قال ذلك قوله أن أدوا الىّ عباد الله قال ردهم الينا وقوله انى لكم رسول أمين يقول انى لكم أيها القوم رسول من الله أرسلنى اليكم لايدركم بأسه على كفركم به أمين يقول أمين على وحيه ورسالته التى أوعدنيها اليكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأن لا تعلوا على الله انى آتيكم بسلطان مبين وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون﴾ يقول تعالى ذكره وجاءهم رسول كريم أن أدوا الىّ عباد الله وبأن لا تعلوا على الله وعنى بقوله أن لا تعلوا على الله أن لا تطغوا وتبغوا على ربكم فتكفروا به وتعصوه فتخالفوا أمره انى آتيكم بسلطان مبين يقول انى آتيكم بحجة على حقيقة ما أدعوكم اليه وبرهان على صحته مبين لمن تأملها وتدبرها أنها حجة لى على صحة ما أقول لكم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأن لا تعلوا على الله أى لا تبغوا على الله انى آتيكم بسلطان مبين أى بعذر مبين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة بنحوه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأن لا تعلوا على الله يقول لا تفتروا على الله وقوله وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون يقول وانى اعتصمت بربى

منها تأكلون ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمرا فانا مبرمون أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون﴾ ۞ القراآت يا عبادى بالياء فى الحالين أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو وقرأ حماد وأبو بكر بفتح الياء الباقون بغير ياء فى الحالين تشتبه بهاء الضمير نافع وأبو جعفر وابن عامر وحفص الآخرون بحذفها واليه يرجعون بياء الغيبة ابن كثير وحمزة وعلى وخلف الباقون بتاء الخطاب وقيله بالكسرة حمزة وعاصم غير المفضل الآخرون بالنصب تعلمون على الخطاب أبو جعفر ونافع وابن عامر ۞ الوقوف يصدون ٥ أم هو ط جدلا ط خصمون ٥ اسرائيل ٥ ط يختلفون ٥

وربكم واستجرت به منكم أن ترجمون واختلف أهل التأويل فى معنى الرجم الذى استعاذ موسى
نبى الله عليه السلام بربه منه فقال بعضهم هو الشتم باللسان ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن
سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وانى عذت
بربى وربكم أن ترجمون قال يعنى رجم القول حدثنى ابن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر بن
فارس قال ثنا شعبة عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله وانى عذت بربى وربكم
أن ترجمون قال الرجم بالقول حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا
سفيان عن اسمعيل عن أبى صالح وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون قال أن تقولوا هو ساحر
* وقال آخرون بل هو الرجم بالحجارة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون أى أن ترجمون بالحجارة حدثنا ابن عبد الأعلى
قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أن ترجمون قال أن ترجمون بالحجارة * وقال آخرون بل عنى
بقوله أن ترجمون أن تقتلونى * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب مادل عليه ظاهر الكلام وهو
أن موسى عليه السلام استعاذ بالله من أن يرجمه فرعون وقومه والرجم قد يكون قولا باللسان
وفعلا باليد والصواب أن يقال استعاذ موسى بربه من كل معانى رجمهم الذى يصل منه
الى المرجوم أذى ومكروه شتما كان ذلك باللسان أو رجما بالحجارة باليد وقوله وان لم تؤمنوا لى
فاعتزلون يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه موسى عليه السلام لفرعون وقومه وان أنتم أيها القوم
لم تصدقونى على ماجئتكم به من عند ربى فاعتزلون يقول خلوا سبيلى غير مرجوم باللسان ولا باليد
كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون
أى خلوا سبيلى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون فأسر بعبادى
ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون﴾ يقول تعالى ذكره فدعا موسى ربه
اذ كذبوه ولم يؤمنوا به ولم يؤدوا اليه عباد الله وهموا بقتله بأن هؤلاء يعنى فرعون وقومه قوم
مجرمون يعنى أنهم مشركون بالله كافرون وقوله فأسر بعبادى وفى الكلام محذوف استغنى
بدلالة ماذكر عليه منه وهو فأجابه ربه بأن قال له فأسر اذ كان الأمر كذلك بعبادى وهم
بنو اسرائيل وانما معنى الكلام فأسر بعبادى الذين صدقوك وآمنوا بك واتبعوك دون الذين
كذبوك منهم وأبوا قبول ماجئتهم به من النصيحة منك وكان الذين كانوا بهذه الصفة يومئذ
بنى اسرائيل وقال فأسر بعبادى ليلا لأن معنى ذلك سربهم بليل قبل الصباح وقوله انكم متبعون
يقول ان فرعون وقومه من القبط متبعوكم اذا شخصتم عن بلدهم وأرضهم فى آثاركم وقوله واترك
البحر رهوا يقول واذا قطعت البحر أنت وأصحابك فاتركه ساكنا على حاله التى كان عليها حين
دخلته وقيل ان الله تعالى ذكره قال لموسى هذا القول بعدما قطع البحر بنى اسرائيل فاذ كان
ذلك كذلك ففى الكلام محذوف وهو فسرى موسى بعبادى ليلا وقطع بهم البحر فقلنا له بعد
ماقطعه وأراد رد البحر الى هيئته التى كان عليها قبل انفلاقه اتركه رهوا ذكر من قال ماذكرنا
من أن الله عز وجل قال لموسى صلى الله عليه وسلم هذا القول بعدما قطع البحر بقومه حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون حتى بلغ
انهم جند مغرقون قال لما خرج آخر بنى اسرائيل أراد نبى الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب
البحر بعصاه حتى يعود كما كان مخافة آل فرعون أن يدركوهم فقيل له اترك البحر رهوا
انهم جند مغرقون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال لما قطع البحر

عطف

واتبعون ط مستقيم ه الشيطان
ج للابتداء بان مع اتصال المعنى
مبين ه فيه ج لعطف الجملتين
مع الفاء وأطيعون ه فاعبدوه ط
مستقيم ه من بينهم ج للابتداء
مع الفاء أليم ه لايشعرون ه
المتقين ه تحزنون ه ج لاحتمال
كون ما بعده وصفا مسلمين ه ج
لاحتمال أن يكون الذين الى آخر
الآية مبتدأ وقوله ادخلوا الى آخره
خبرا والقول محذوف لامحالة
تحبرون ه وأكواب ج الأعين
ج للعدول مع العطف خالدون ه
تعملون ه تأكلون ه خالدون
ه ج لاحتمال ما بعده صفة أو حالا
له لامستأنفا مبلسون ه ج
لاحتمال أن يكون ما بعده مستأنفا
أو حالا الظالمين ه ربك ط
ماكثون ه ج كارهون ه مبرمون
ه ج لأن أم يصلح جواب الاولى
ويصلح استفهاما آخر ونجواهم ط
يكتبون ه العابدين ه يصفون
ه يوعدون ه وفى الارض اله ط
العليم ه بينهما ج الساعة ج
ترجعون ه يعلمون ه يؤفكون
ه ج فالوقف بناء على قراءة النصب
والوصل بناء على قراءة الجر وسيأتى
تمام البحث عن اعرابها لايؤمنون
ه لئلا يوهم أن ما بعده من قيل
الرسول سلام ط للابتداء
بالتهديد قال السجاوندى من قرأ
تعلمون على الخطاب فوقفه لازم
لئلا يصير التهديد داخلا فى الامر
بقوله قل قلت لامحذور فيه لان
السلام سلام توديع لاتعظيم
۞ التفسير هذا نوع آخر من قبائح
أقوال كفرة قريش وفى تفسير المثل
وجوه للمفسرين أحدها أن الكفار

عطفه ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده فقيل له اترك البحر رهوا
كما هو انهم جند مغرقون واختلف أهل التأويل فى معنى الرهو فقال بعضهم معناه اتركه على هيئته
وحاله التى كان عليها ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية
عن على عن ابن عباس قوله واترك البحر رهوا يقول سمتا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى
أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واترك البحر رهوا انهم جند
مغرقون قال الرهو أن يترك كما كان فانهم لن يخلصوا من ورائه حدثنى يعقوب بن ابراهيم
قال ثنا ابن علية قال أخبرنا حميد عن اسحق عن عبدالله بن الحرث عن أبيه أن ابن عباس سأل
كعبا عن قول الله واترك البحر رهوا قال طريقا * وقال آخرون بل معناه اتركه سهلا ذكر من قال
ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع قوله واترك البحر رهوا قال سهلا
حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله
واترك البحر رهوا قال يقال الرهو السهل حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمى بن عمارة قال ثنا
شعبة قال أخبرنى عمارة عن الضحاك بن مزاحم فى قول الله عزوجل واترك البحر رهوا قال دمثا
حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله
واترك البحر رهوا قال سهلا دمثا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله
واترك البحر رهوا قال هو السهل * وقال آخرون بل معناه واتركه يبسا جددا ذكر من قال ذلك
حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى عبيدالله بن معاذ قال ثنى أبى عن شعبة عن سماك عن عكرمة
فى قوله واترك البحر رهوا قال جددا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى عبيدالله بن معاذ قال ثنا
أبى عن شعبة عن سماك عن عكرمة فى قوله واترك البحر رهوا قال يابسا كهيئته بعد أن ضربه
يقول لا تأمره يرجع اتركه حتى يدخل آخرهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور
عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله رهوا قال طريقا يبسا حدثنا ابن عبد الاعلى
قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة واترك البحر رهوا كما هو طريقا يابسا * وأولى الأقوال
فى ذلك بالصواب قول من قال معناه اتركه على هيئته كما هو على الحال التى كان عليها حين سلكته
وذلك أن الرهو فى كلام العرب السكون كما قال الشاعر

كأنما أهل حجر ينظرون متى * يروننى خارجا طير يناديد
طيرا رأت بازيا نضح الدماء به * وأمه خرجت رهوا الى عيد

يعنى على سكون واذا كان ذلك معناه كان لا شك أنه متروك سهلا دمثا وطريقا يبسا لأن بنى
اسرائيل قطعوه حين قطعوه وهو كذلك فاذا ترك البحر رهوا كما كان حين قطعه موسى ساكنا
لم يهج كان لا شك أنه بالصفة التى وصفت وقوله انهم جند مغرقون يقول ان فرعون وقومه جند
الله مغرقهم فى البحر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع
ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين﴾ يقول تعالى ذكره كم ترك
فرعون وقومه من القبط بعد مهلكهم وتغريق الله اياهم من بساتين أشجار وهى الجنات وعيون
يعنى ومنابع ما كان ينفجر فى جناتهم وزروع قائمة فى مزارعهم ومقام كريم يقول وموضع كانوا
يقومونه شريف كريم ثم اختلف أهل التأويل فى معنى وصف الله ذلك المقام بالكرم فقال بعضهم
وصفه بذلك لشرفه وذلك أنه مقام الملوك والامراء قالوا وانما أريد به المنابر ذكر من قال ذلك
حدثنى جعفر بن ابنة اسحق الازرق قال ثنا سعيد بن محمد الثقفى قال ثنا اسمعيل

لما سمعوا أن النصارى يعبدون عيسى
قالوا اذا جاز أن يكون عيسى ابن الله
جاز أن تكون الملائكة بنات الله
وانتصب مثلا على أنه مفعول ثان
لضرب أى جعل مثلا فالضارب
للمثل كافر و(اذا قومك) أى المؤمنون
(منه) أى من المثل أو من ضربه
(يصدون) أى يجزعون و يضجون
(وقالوا) أى الكفار أهذا خير أم هو
يعنون الملائكة خير من عيسى وثانيها
ما مر فى آخر الانبياء أنه حين نزل
انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم قال ابن الزبعرى للنبى صلى الله
عليه وسلم قد علمت أن النصارى
يعبدون عيسى وأمه وعزيرا فان
كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن
نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت
النبى صلى الله عليه وسلم وخرج القوم
وضحكوا وضجوا فأنزل الله تعالى
قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
ونزلت هذه الآية أيضا والمعنى
ولما ضرب ابن الزبعرى عيسى
ابن مريم مثلا اذا قومك قريش من
هذا المثل يصدون بالكسر والضم
أى يرتفع لهم جلبة وصياح فرحا
وسرورا بما رأوا من سكوت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
العادة قد جرت بأن أحد الخصمين
اذا انقطع أظهر الخصم الآخر الفرح
(وقالوا أآلهتنا) وهى الاصنام (خير أم)
عيسى فاذا كان عيسى من حصب
النار كان أمر آلهتنا أهون وقيل من
قرأ بالضم فمن الصدود أى من أجل
هذا المثل يمنعون عن الحق وثالثها
أنه صلى الله عليه وسلم لما حكى أن
النصارى عبدوا المسيح الها وأن
مثله عند الله كمثل آدم قال كفار مكة
ان محمدا يريد أن نتخذه الها كما اتخذ

ابن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه عن مجاهـد فى قوله ومقام كريم قال المنابر حدثنى زكريا بن يحيى ابن أبى زائدة قال ثنا عبـد الله بن داود الواسـطى قال ثنـا شريك عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير فى قوله ومقام كريم قال المنابر * وقال آخرون وصف ذلك المقام بالكرم لحسنه وبهجته ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومقام كريم أى حسن وقوله ونعمة كانوا فيها فاكهين يقول تعالى ذكره وأخرجوا من نعمة كانوا فيها فاكهين متفكهين ناعمين واختلفت القراء فى قراءة قوله فاكهين فقرأته عامة قراء الأمصار خلا أبى جعـفر القارى فاكهين على المعنى الذى وصفت وقرأه أبو رجاء العطاردى والحسن وأبو جعـفر المـدنى فكهين بمعنى أشرين بطرين والصواب من القراءة عنـدى فى ذلك القراءة التى عليها قراء الامصار وهى فاكهين بالألف بمعنى ناعمـين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة ونعمة كانوا فيها فاكهين ناعمين قال إى والله أخرجه الله من جناته وعيونه وزروعه حتى ورّطه فى البحر وقوله كذلك وأورثناها قوما آخرين يقول تعـالى ذكره هكذا كما وصـفت لكم أيها الناس فعلنا بهؤلاء الذين ذكرت لكم أمرهم الذين كذبوا رسولنا موسى صلى الله عليه وسـلم وقوله وأورثناها قوما آخرين يقول تعالى ذكره وأورثنا جناتهم وعيونهم وزروعهم ومقاماتهم وما كانوا فيـه من النعمة عنهم قوما آخرين بعد مهلكهم وقيل عنى بالقوم الآخرين بنو اسرائيل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة قوله كذلك وأورثناها قوما آخرين يعـنى بنى اسرائيل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فمـا بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ولقـد نجينا بنى اسرائيـل من العـذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين﴾ يقول تعالى ذكره فما بكت على هؤلاء الذين غرّقهـم الله فى البحر وهم فرعون وقومه السماء والأرض وقيـل ان بكاء السماء حمرة أطرافها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن اسمعيل الاحمسى قال ثنا عبـد الرحمن بن أبى حمـاد عن الحكم بن ظهير عن السدى قال لمـا قتل الحسين بن على رضوان الله عليهـما بكت السماء عليـه وبكاؤها حمرتها حدثنى على بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء فى قوله فمـا بكت عليهم السماء والارض قال بكاؤها حمرة أطرافها وقيل انما قيل فمـا بكت عليهم السماء والارض لان المؤمن اذا مات بكت عليه السماء والارض أربعين صـباحا ولم تبكيا على فرعون وقومه لأنه لم يكن لهم عمل يصـعد الى الله صالح فتبكى عليهم السماء ولا مسجد فى الارض فتبكى عليهم الارض وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنـا طلق بن غنام عن زائدة عن منصـور عن المنهال عن سـعيد بن جبـير قال أتى ابن عبـاس رجل فقال يا أبا عبـاس أرأيت قول الله تبارك وتعالى فمـا بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين فهل تبكى السماء والارض على أحد قال نعم انه ليس أحد من الخلائق الا له باب فى السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فاذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذى كان يصعد عمله وينزل منه رزقه بكى عليه واذا فقـده مصلاه من الارض التى كان يصلى فيها ويذكر الله فيها بكت عليه وان قوم فرعون لم يكن لهم فى الارض آثار صالحة ولم يكن يصعد الى السماء منهم خير قال فلم تبك عليهم السماء والارض حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا ثنا سفيان عن منصور عن مجاهـد قال كان يقال تبكى الارض على المؤمن أربعين صباحا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى يحيى القتات عن مجاهد

عن

النصارى المسـيح الهـا وضجروا وضجوا وقالوا أآلهتنا خير أم هو يعنون محمدا وغرضهم أن آلهتهم خير لانها مما عبدهـا آباؤهم وأطبقوا عليها فأبطل الله تعالى كلامهم بقوله (ماضربوه لك الا جدلا) أى لم يضربوا هذا المثل لاجلك الا للجدال والغلبة دون البحث عن الحق (بل هم قوم) من عادتهم الخصومة واللدد ثم قرر أمر عيسى عليه السلام بقوله (ان هو الا عبد أنعمنا عليه) بأن خلقناه من غير أب وصـيرناه عبرة وحاله عجيبة (ولو نشاء لجعلنا منكم) أى بدلا منكم (ملائكة فى الارض يخلفون) يقومون مقامكم وقيل أراد لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم فى الارض كـما يخلفكم أولادكم والغرض بيان كمال القدرة وأن كون الملائكة فى السموات لا يوجب لهم الالهيـة ولا نسبا من الله ثم بين مآل حال عيسى عليـه السـلام بقوله (وانه) يعنى عيسى (لعلم للساعة) لعلامة من علامات القيامة كما جاء فى الحـديث أنا أولى الناس بعيسى ليس بينى وبينه نبى وانه أول نازل يكسر الصليب ويقتـل الخنزير ويقاتل النـاس على الاسـلام وقيل اذا نزل عيسى رفع التكليف وقيل ان عيسى كان يحيى الموتى فعلم بالساعة والبعث وقيل الضمير فى وانه للقرآن أى القرآن يعلم منه وفيه ثبوت الساعة (فلا تمترن بهـا) فلا تشكن فيها (واتبعونى) هذه حكاية قول النبى صلى الله عليه وسلم أو المراد واتبعوا رسولى وشرعى والبـاقى واضح الى قوله هل ينظرون وقد مر فى آل عمران وفى مريم وقوله (أن تأتيهم) بدل من الساعة و(الاخلاء)

عن ابن عباس بمثله حدثني يحيى بن طلحة قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد قال حدثت أن المؤمن اذا مات بكت عليه الارض أربعين صباحا حدثنا ابن بشار قال ثنا يعقوب بن اسحق الحضرمي قال ثنا بكير بن أبي السميط قال ثنا قتادة عن سعيد ابن جبير أنه كان يقول ان بقاع الارض التي كان يصعد عمله منها الى السماء تبكي عليه بعد موته يعني المؤمن حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن المنهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس فما بكت عليهم السماء والارض قال انه ليس أحد الا له باب في السماء ينزل فيه رزقه و يصعد فيه عمله فاذا فقد بكت عليه مواضعه التي كان يسجد عليها وان قوم فرعون لم يكن لهم في الارض عمل صالح يقبل منهم فيصعد الى الله عزوجل فقال مجاهد تبكي الارض على المؤمن أربعين صباحا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال كان يقال ان المؤمن اذا مات بكت عليه الارض أربعين صباحا حدثنا يحيى بن طلحة قال ثنا عيسى بن يونس عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد الحضرمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا ألا لا غربة على المؤمن ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بكت عليهم السماء والارض ثم قال انهما لا يبكيان على الكافر حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فما بكت عليهم السماء والارض الآية قال ذلك أنه ليس على الارض مؤمن يموت الا بكى عليه ما كان يصلي فيه من المساجد حين يفقده والا بكى عليه من السماء الموضع الذي كان يرفع منه كلامه فذلك قوله لأهل معصيته فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين لانهما يبكيان على أولياء الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما بكت عليهم السماء والارض (١) حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فما بكت عليهم السماء والارض يقول لا تبكي السماء والارض على الكافر وتبكي على المؤمن الصالح معالمه من الارض ومقر عمله من السماء حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله فما بكت عليهم السماء والارض قال بقاع المؤمن التي كان يصلي عليها من الارض تبكي عليه اذا مات و بقاعه من السماء التي كان يرفع فيها عمله وحدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن المنهال عن سعيد بن جبير قال سئل ابن عباس هل تبكي السماء والارض على أحد فقال نعم انه ليس أحد من الخلق الا له باب في السماء يصعد فيه عمله و ينزل منه رزقه فاذا مات بكى عليه مكانه من الارض الذي كان يذكر الله فيه يصلي فيه و بكى عليه بابه الذي كان يصعد فيه عمله و ينزل منه رزقه وأما قوم فرعون فلم يكن لهم آثار صالحة ولم يصعد الى السماء منهم خير فلم تبك عليهم السماء والارض وقوله وما كانوا منظرين يقول وما كانوا مؤخرين بالعقوبة التي حلت بهم ولكنهم عوجلوا بها اذ أسخطوا ربهم عزوجل عليهم ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين يقول تعالى ذكره ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب الذي كان فرعون وقومه يعذبونهم به المهين يعني المذل لهم ۞ و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم وقوله من فرعون انه كان عاليا من المسرفين يقول تعالى ذكره ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب من فرعون فقوله من فرعون مكررة على قوله من العذاب المهين مبدلة

لأن المحبة في الله لا تزول ومعنى (تحبرون) تسرون والحبور السرور والصحاف جمع صحفة وهي القصعة فيها طعام والا كواب جمع كوب وهو الابريق لا عروة له وقد يدور في الخلد أن العروة للكوز أمر زائد على مصلحة الشرب وانما هو لدفع حاجة كتعليق وتعلق وأهل الجنة فيها براء من أمثال ذلك فلهذا كانت أكوازها أكوابا والله أعلم بأسراره (وفيها) أي في الجنة قال القفال جمع بهاتين اللفظتين مالو اجتمع الخلق كلهم على تفصيله لم يخرجوا عنه ثم يقال لهم (وأنتم فيها خالدون) الى آخره ثم وصف حال أهل الجرائم من الكفار أو منهم ومن الفساق على اختلاف بين السني والمعتزلي ومعنى (لا يفتر) لا يخفف من الفتور ومبلسون آيسون ساكتون تحيرا ودهشا ولما أيسوا من فتور العذاب (نادوا يا مالك) وهو اسم خازن النار (ليقض علينا ربك) أي ليمتنا كقوله فقضى عليه قال مالك بعد أربعين عاما أو بعد مائة أو ألف أو قال الله بدليل قوله ولقد جئناكم فانه ظاهر من كلام الله وان كان يحتمل أن يكون قول الملائكة قال أهل التحقيق سمي خازن النار مالكا لان الملك علقة والتعلق من أسباب دخول النار كما سمي خازن الجنة رضوانا لان الرضا بحكم الله سبب كل راحة وسعادة وصلاح وفلاح ثم عاد الى توبيخ قريش وتجهيلهم والتعجيب من حالهم فقال (أم أبرموا أمرا) والابرام الاحكام والمعنى انهم كلما

(١) لم يذكر لهذا السند تفسيرا عن قتادة والذي في الدر المنثور عنه قال هم كانوا أهون على الله من ذلك قال وكنا نحدث أن المؤمن تبكي عليه بقاعه التي كان يصلي فيها من الأرض ومصعد عمله من السماء اه مصححه

من من الأولى و يعني بقوله انه كان عاليا من المسرفين انه كان جبارا مستعليا مستكبرا على ربه من المسرفين يعني من المتجاوزين ماليس لهم تجاوزه وانما يعني جل ثناؤه أنه كان ذا اعتداء في كفره واستكبارا على ربه جل ثناؤه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد اخترنا بني اسرائيل على علم منا بهم على عالمي أهل زمانهم يومئذ وذلك زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد اخترناهم على علم على العالمين أي اختيروا على أهل زمانهم ذلك ولكل زمان عالم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين قال عالم ذلك الزمان حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين قال على من هم بين ظهرانيه قوله وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين يقول تعالى ذكره وأعطيناهم من العبر والعظات ما فيه اختبار يبين لمن تأمله أنه اختبار اختبرهم الله به واختلف أهل التأويل في ذلك البلاء فقال بعضهم ابتلاهم بنعمه عندهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين أنجاهم الله من عدوهم ثم أقطعهم البحر وظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى * وقال آخرون بل ابتلاهم بالرخاء والشدة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين وقرأ ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وقال بلاء مبين لمن آمن بها وكفر بها بلوى نبتليهم بها نمحصهم بلوى اختبار نختبرهم بالخير والشر نختبرهم لننظر فيما أتاهم من الآيات من يؤمن بها وينتفع بها ويضيعها * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أنه آتى بني اسرائيل من الآيات ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء ويكون بالشدة ولم يضع لنا دليلا من خبر ولا عقل أنه عني بعض ذلك دون بعض وقد كان الله اختبرهم بالمعنيين كليهما جميعا وجائز أن يكون عني اختباره اياهم بهما فاذا كان الامر على ما وصفنا فالصواب من القول فيه أن نقول كما قال جل ثناؤه انه اختبرهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل مشركي قريش لنبي الله صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء المشركين من قومك يا محمد ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى التي نموتها وهي الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بعد مماتنا ولا بمبعوثين تكذيبا منهم بالبعث والثواب والعقاب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين قال قد قال مشركو العرب وما نحن بمنشرين أي بمبعوثين وقوله فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين يقول تعالى ذكره قالوا لمحمد عليه السلام فأتوا بآبائنا الذين قد ماتوا ان كنتم صادقين أن الله باعثنا من بعد بلانا في قبورنا ومحيينا من بعد مماتنا وخوطب صلى الله عليه وسلم هو وحده خطاب الجميع كما قيل يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وكما قال رب ارجعون وقد بينت ذلك في غير موضع من كتابنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أهم خير

أحكموا أمرا في المكر بمحمد صلى الله عليه وسلم فانا نحكم أمرا في مجازاتهم وقال قتادة أجمعوا على التكذيب وأجمعنا على التعذيب وذلك أنهم اجتمعوا في دار الندوة وأطبقوا على الاغتيال بمحمد صلى الله عليه وسلم وتناجوا في ذلك فكف عنه شرهم وأوعدهم عليه بأنه يعلم سرهم وهو ما حدثت به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال ونجواهم وهي ما تكلموا به فيما بينهم على سبيل الخفية أيضا ثم أكد علمه بأن حفظة الأعمال يكتبونه ثم برهن على نفي الولد عن نفسه فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) وهذه قضية شرطية جزآها ممتنعان الا أن الملازمة صادقة نظيره قولك ان كانت الخمسة زوجا فهي منقسمة بمتساويين وهذا على سبيل الفرض والتقدير وبيان الملازمة أن الولد يجب محبته وخدمته لرضا الوالد وتعظيمه فلو كان المقدم حاصلا في الواقع لزم وقوع التالي عادة وانما ادعى أوليته في العبادة لأن النبي متقدم في كل حكم على أمته خصوصا فيما يتعلق بالاصول كتعظيم المعبود وتنزيهه لكن التالي غير واقع فكذا المقدم وهذا الكلام ظاهر الالزام واضح الافحام قريب من الأفهام لا حاجة فيه الى تقريب المرام وأما المفسرون الظاهريون لا دراية لهم بالمعقول فقد ذكروا فيه وجوها متكلفة منها ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الموحدين لله ومنها ان كان له ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد يقال عبد بالكسر يعبد بالفتح اذا اشتد أنفه ومنها جعل

﴿أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أهؤلاء المشركون يا محمد من قومك خير أم قوم تبع يعني تبعا الحميري كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل أهم خير أم قوم تبع قال الحميري حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أهم خير أم قوم تبع ذكر لنا أن تبعا كان رجلا من حمير سار بالجيوش حتى حيرا الحيرة ثم أتى سمرقند فهدمها وذكر لنا أنه كان اذا كتب كتب باسم الذي تسمى وملك براو بحرا وصحاوريحا وذكر لنا أن كعبا كان يقول نعت نعت الرجل الصالح ذم الله قومه ولم يذمه وكانت عائشة تقول لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قالت عائشة كان تبع رجلا صالحا وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن تميم بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير أن تبعا كسا البيت ونهى سعيد عن سبه وقوله والذين من قبلهم يقول تعالى ذكره أهؤلاء المشركون من قريش خير أم قوم تبع والذين من قبلهم من الامم الكافرة بربها يقول فليس هؤلاء بخير من أولئك فنصفح عنهم ولا نهلكهم وهم بالله كافرون كما كان الذين أهلكناهم من الامم قبلهم كفارا وقوله انهم كانوا مجرمين يقول ان قوم تبع والذين من قبلهم من الامم الذين أهلكناهم انما أهلكناهم لاجرامهم وكفرهم بربهم وقيل انهم كانوا مجرمين فكسرت ألف ان على وجه الابتداء وفيها معنى الشرط استغناء بدلالة الكلام على معناها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وما خلقنا السموات السبع والارضين وما بينهما من الخلق لعبا وقوله ما خلقناهما الا بالحق يقول ما خلقنا السموات والارض الا بالحق الذي لا يصلح التدبير الا به وانما يعني بذلك تعالى ذكره التنبيه على صحة البعث والمجازاة يقول تعالى ذكره لم نخلق الخلق عبثا بأن نحدثهم فنحييهم ما أردنا ثم نفنيهم من غير الامتحان بالطاعة والامر والنهي وغير مجازاة المطيع على طاعته والعاصي على المعصية ولكنا خلقنا ذلك لنبتلي من أردنا امتحانه من خلقنا بما شئنا من امتحانه من الامر والنهي ولنجزي الذين أساؤا بما عملوا ولنجزي الذين أحسنوا بالحسنى ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول تعالى ذكره ولكن أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أن الله خلق ذلك لهم فهم لا يخافون على ما يأتون من سخط الله عقوبة ولا يرجون على خير ان فعلوه ثوابا لتكذيبهم بالمعاد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيأ ولا هم ينصرون إلا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره ان يوم فصل الله القضاء بين خلقه بما أسلفوا في دنياهم من خير أو شر يجزي به المحسن بالاحسان والمسيء بالاساءة ميقاتهم أجمعين يقول ميقات اجتماعهم أجمعين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم يفصل فيه بين الناس بأعمالهم وقوله يوم لا يغني مولى عن مولى شيأ يقول لا يدفع ابن عم عن ابن عم ولا صاحب عن صاحبه شيأ من عقوبة الله التي حلت بهم من الله ولا هم ينصرون يقول ولا ينصر بعضهم بعضا فيستعيذوا ممن نالهم بعقوبة كما كانوا يفعلونه في الدنيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم لا يغني مولى عن مولى شيأ الآية انقطعت الاسباب يومئذ يا ابن آدم وصار الناس الى أعمالهم فمن أصاب يومئذ خيرا سعد به آخر ما عليه ومن أصاب يومئذ شرا شقي به آخر ما عليه وقوله إلا

ان نافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك ووحده ثم نزه نفسه عما لا يليق بذاته ثم أمر نبيه أن يتركهم في باطلهم واللعب بدنياهم حتى يلاقوا القيامة ثم مدح ذاته بقوله (وهو الذي في السماء اله) أي معبود كما مر في قوله وهو الله في السموات وفي الارض والتقدير وهو الذي هو في السماء اله الا أنه حذف الراجع لطول الكلام ثم أبطل قول الكفرة ان الاصنام تنفعهم وقوله (الا من شهد) استثناء منقطع أي لكن من شهد بالتوحيد عن علم وبصيرة هو الذي يملك الشفاعة ويجوز أن يكون متصلا لأن من جملة من يدعونهم الملائكة وعيسى وعزيرا وجوز أن تكون اللام محذوفة لان الشفاعة تقتضي مشفوعا له أي لمن شهد بالحق وهم المؤمنون قال بعض العلماء (وهم يعلمون) دلالة على أن ايمان المقلد وشهادته غير معتبر ثم كرر ما ذكر في أول السورة قائلا (ولئن سألتهم) والغرض التعجيب من حالهم انهم يعترفون بالصانع ثم يجعلون له أندادا وقيل الضمير في سألتهم للعبودين من قرأ (وقيله) بالنصب فعن الاخفش أنه معطوف على سرهم ونجواهم أو المراد وقال قيله أي قوله والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره بالكناية في قوله قل ان كان وعن أبي علي أنه يعود الى عيسى وفيه تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون النصب بالعطف على محل الساعة أي وعنده علم الساعة وعلم قيله كقراءة من قرأ بالجر ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم باعمال الخلق الحسن

من رحم الله اختلف أهل العربية في موضع من في قوله إلا من رحم الله فقال بعض نحويي البصرة
إلا من رحم الله فجعله بدلا من الاسم المضمر في ينصرون وان شئت جعلته مبتدأ وأضمرت خبره
يريد به الا من رحم الله فيغني عنه وقال بعض نحويي الكوفة قوله الا من رحم الله قال المؤمنون
يشفع بعضهم في بعض فان شئت فاجعل من في موضع رفع كأنك قلت لا يقوم أحد إلا فلان
وان شئت جعلته نصبا على الاستثناء والانقطاع عن أول الكلام يريد اللهم إلا من رحم الله
* وقال آخرون منهم معناه لا يغني مولى عن مولى شيئا الا من أذن الله له أن يشفع قال لا يكون
بدلا مما في ينصرون لأن إلا محقق والاول منفي والبدل لا يكون إلا بمعنى الاول قال وكذلك لا يجوز
أن يكون مستأنفا لأنه لا يستأنف بالاستثناء * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يكون في
موضع رفع بمعنى يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا إلا من رحم الله منهم فانه يغني عنه بأن يشفع له عند
ربه وقوله انه هو العزيز الرحيم يقول جل ثناؤه واصفا نفسه ان الله هو العزيز في انتقامه من أعدائه
الرحيم بأوليائه وأهل طاعته ﷺ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان شجرت الزقوم طعام الأثيم كالمهل
يغلي في البطون كغلي الحميم﴾ يقول تعالى ذكره ان شجرة الزقوم التي أخبر أنها تنبت في أصل الجحيم
التي جعلها طعاما لأهل الجحيم ثمرها في الجحيم طعام الآثم في الدنيا بربه والاثيم ذو الاثم والاثم من
أثم يأثم فهو أثيم وعني به في هذا الموضع الذي اثمه الكفر بربه دون غيره من الآثام وقد حدثنا
محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن همام بن
الحرث أن أبا الدرداء كان يقرئ رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم فقال طعام اليتيم فقال
أبو الدرداء قل ان شجرة الزقوم طعام الفاجر حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن
الأعمش عن أبي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت الى الدنيا
لأفسدت على الناس معايشهم حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن
ابراهيم عن همام قال كان أبو الدرداء يقرئ رجلا ان شجرة الزقوم طعام الأثيم قال فجعل الرجل يقول
ان شجرة الزقوم طعام اليتيم قال فلما أكثر عليه أبو الدرداء فرآه لا يفهم قال ان شجرة الزقوم طعام
الفاجر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم
قال أبو جهل وقوله كالمهل يغلي في البطون يقول تعالى ذكره ان شجرة الزقوم التي جعل ثمرتها طعام
الكافر في جهنم كالرصاص أو الفضة أو ما يذاب في النار اذا أذيب بها فتناهت حرارته وشدت
حميته في شدة السواد وقد بينا معنى المهل فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع من الشواهد
وذكر اختلاف أهل التأويل فيه غير أنا نذكر من أقوال أهل العلم في هذا الموضع ما لم نذكره هنالك
حدثنا سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه
قال سألت ابن عباس عن قول الله جل ثناؤه كالمهل قال كدردي الزيت حدثني علي بن سهل
قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كالمهل يغلي في البطون يقول
أسود كمهل الزيت حدثنا أبو كريب وأبو السائب ويعقوب بن ابراهيم قالوا ثنا ابن ادريس
قال سمعت مطرفا عن عطية بن سعد عن ابن عباس في قوله كالمهل ماء غليظ كدردي الزيت
حدثني يحيى بن طلحة قال ثنا شريك عن مطرف عن رجل عن ابن عباس في قوله كالمهل
قال كدردي الزيت حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا خليد
عن الحسن عن ابن عباس أنه رأى فضة قد أذيبت فقال هذا المهل حدثنا أبو كريب قال ثنا
أبو معاوية قال ثنا عمرو بن ميمون عن أبيه عن عبد الله في قوله كالمهل يشوي الوجوه قال دخل

عبد الله

معهم الى أوان النصر وهو ظاهر
والله أعلم بالتوفيق

* (سورة الدخان مكية حروفها
ألف وأربعمائة وأربعون كلماتها ثلثمائة
وأربعون آياتها تسع وخمسون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿حم والكتاب المبين انا أنزلناه في ليلة
مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق
كل أمر حكيم أمرا من عندنا
انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه
هو السميع العليم رب السموات
والاض وما بينهما ان كنتم موقنين
لا إله الا هو يحيي ويميت ربكم
ورب آبائكم الأولين بل هم في شك
يلعبون فارتقب يوم تأتي السماء
بدخان مبين يغشى الناس هذا
عذاب أليم ربنا اكشف عنا
العذاب انا مؤمنون أنى لهم الذكرى
وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا
عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا
العذاب قليلا انكم عائدون يوم
نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم
رسول كريم أن أدوا الي عباد الله
اني لكم رسول أمين وأن لا تعلوا
على الله اني آتيكم بسلطان مبين
واني عذت بربي وربكم أن ترجمون
وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فدعا ربه
أن هؤلاء قوم مجرمون فأسر
بعبادي ليلا انكم متبعون واترك
البحر رهوا انهم جند مغرقون
كم تركوا من جنات وعيون وزروع
ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين
كذلك وأورثناها قوما آخرين
فما بكت عليهم السماء والارض
وما كانوا منظرين ولقد نجينا بني
اسرائيل من العذاب المهين من

عبدالله بيت المال فأخرج بقايا كانت فيه فأوقد عليها النار حتى تلألأت قال أين السائل عن المهل هذا المهل حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى وحدثنا محمد بن المثنى قال ثنا خالد ابن الحرث عن عوف عن الحسن قال بلغنى أن ابن مسعود سئل عن المهل الذى يقولون يوم القيامة شراب أهل النار وهو على بيت المال قال فدعا بذهب وفضة فأذابهما فقال هذا أشبه شئ فى الدنيا بالمهل الذى هو لون السماء يوم القيامة وشراب أهل النار غير أن ذلك هو أشد حرا من هذا لفظ الحديث لابن بشار وحديث ابن المثنى نحوه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث عن الحسن قال كان من كلامه ان عبدالله بن مسعود رجل أكرمه الله بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم فان عمر رضى الله عنه استعمله على بيت المال قال فعمد الى فضة كثيرة مكسرة فخد لها أخدودا ثم أمر بحطب جزل فأوقد عليها حتى اذا اماعت وتزبدت وعادت ألوانا قال انظروا من بالباب فأدخل القوم فقال لهم هذا أشبه ما رأينا فى الدنيا بالمهل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم الآية ذكر لنا أن ابن مسعود أهديت له سقاية من ذهب وفضة فأمر بأخدود فخدت فى الارض ثم قذف فيها من جزل الحطب ثم قذفت فيها تلك السقاية حتى اذا أزبدت وانماعت قال لغلامه ادع من بحضرتنا من أهل الكوفة فدعا رهطا فلما دخلوا قال أترون هذا قالوا نعم قال ما رأينا فى الدنيا شبيها للمهل أدنى من هذا الذهب والفضة حين أزبدوانماع حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن الأعمش عن عبدالله بن سفيان الأسدى قال أذاب عبدالله ابن مسعود فضة ثم قال من أراد أن ينظر الى المهل فلينظر الى هذا حدثنا بشر قال ثنا يزيد عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس فى قوله يوم تكون السماء كالمهل قال كدردىّ الزيت حدثنى يحيى ابن طلحة قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد كالمهل قال كدردىّ الزيت حدثنا ابن المثنى قال ثنا يعمر بن بشر قال ثنا ابن المبارك قال ثنا أبو الصباح قال سمعت يزيد بن أبى سمية يقول سمعت ابن عمر يقول هل تدرون ما المهل المهل مهل الزيت يعنى آخره * قال ثنا ابراهيم أبو اسحق الطالقانى قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا أبو الصباح الايلى عن يزيد بن أبى سمية عن ابن عمر بمثله حدثنا أبو كريب قال ثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحرث عن درّاج أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله بماء كالمهل كعكر الزيت فاذا قربه الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه * قال ثنا محمد بن المثنى قال ثنا يعمر بن بشر قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا رشدين بن سعد قال ثنى عمرو بن الحرث عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله وقوله فى البطون اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة والكوفة تغلى بالتاء بمعنى أن شجرة الزقوم تغلى فى بطونهم فأنثوا تغلى لتأنيث الشجرة وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة يغلى بالياء بمعنى طعام الاثيم يغلى أو المهل يغلى فذكره بعضهم لتذكير الطعام ووجه معناه الى أن الطعام هو الذى يغلى فى بطونهم وبعضهم لتذكير المهل ووجهه الى أنه صفة للمهل الذى يغلى * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب كغلى الحميم يقول يغلى ذلك فى بطون هؤلاء الاشقياء كغلى الماء المحموم وهو المسخن الذى قد أوقد عليه حتى تناهت شدة حره وقيل حميم وهو محموم لانه مصروف من مفعول الى فعيل كما يقال قتيل من مقتول

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب

فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان شجرت الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون ان المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون ﴿القراآت﴾ رب السموات بالجر على البدل من ربك عاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون بالرفع انى آتيكم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ترجمونى فاعتزلونى بالياء فى الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس فى الوصل لى بالفتح ورش فكهين بغير الألف يزيد يغلى على التذكير والضمير للطعام ابن كثير وحفص

الجحيم﴾ يقول تعالى ذكره خذوه يعنى هذا الاثيم بربه الذى أخبر جل ثناؤه أن له شجرة الزقوم طعام فاعتلوه يقول تعالى ذكره فادفعوه وسوقوه يقال منه عتله يعتله عتلا اذا ساقه بالدفع والجذب ومنه قول الفرزدق ليس الكرام بناحليك أباهم * حتى تردّ الى عطية تعتل
أى تساق دفعا وسحبا وقوله الى سواء الجحيم الى وسط الجحيم ومعنى الكلام يقال يوم القيامة خذوا هذا الاثيم فسوقوه دفعا فى ظهره وسحبا الى وسط النار * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله فاعتلوه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم قال خذوه فادفعوه وفى قوله فاعتلوه لغتان كسر التاء وهى قراءة بعض قراء أهل المدينة وبعض أهل مكة (١) * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا أنهما لغتان معروفتان فى العرب يقال منه عتل يعتل ويعتل فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الى سواء الجحيم الى وسط النار وقوله ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم يقول تعالى ذكره ثم صبوا على رأس هذا الاثيم من عذاب الحميم يعنى من الماء المسخن الذى وصفنا صفته وهو الماء الذى قال الله يصهر به ما فى بطونهم والجلود وقد بينت صفته هنالك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذق انك أنت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهذا الاثيم الشقى ذق هذا العذاب الذى تعذب به اليوم انك أنت العزيز فى قومك الكريم عليهم وذكر أن هذه الآيات نزلت فى أبى جهل بن هشام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم نزلت فى عدوّ الله أبى جهل لقى النبى صلى الله عليه وسلم فأخذه فهزه ثم قال أولى لك يا أبا جهل فأولى ثم أولى لك فأولى ذق انك أنت العزيز الكريم وذلك أنه قال أيوعدنى محمد والله لأنا أعز من مشى بين جبليها وفيه نزلت ولا تطع منهم آثما أو كفورا وفيه نزلت كلا لا تطعه واسجد واقترب وقال قتادة نزلت فى أبى جهل وأصحابه الذين قتل الله تبارك وتعالى يوم بدر ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال نزلت فى أبى جهل خذوه فاعتلوه قال قتادة قال أبو جهل ما بين جبليها رجل أعز ولا أكرم منى فقال الله عز وجل ذق انك أنت العزيز الكريم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم قال هذا لابى جهل فان قال قائل وكيف قيل وهو يهان بالعذاب الذى ذكره الله ويذل بالعتل الى سواء الجحيم انك انت العزيز الكريم قيل ان قوله انك أنت العزيز الكريم غير وصف من قائل ذلك له بالعزة والكرم ولكنه تقريع منه له بما كان يصف به نفسه فى الدنيا وتوبيخ له بذلك على وجه الحكاية لأنه كان فى الدنيا يقول انك أنت العزيز الكريم فقيل له فى الآخرة اذ عذب بما عذب به فى النار ذق هذا الهوان اليوم فانك كنت تزعم أنك أنت العزيز الكريم وانك أنت الذليل المهين فأين الذى كنت تقول وتدعى من العز والكرم هلا تمتنع من العذاب بعزتك حدثنا ابن بشار قال ثنا صفوان بن عيسى قال ثنا ابن عجلان عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قال كعب لله ثلاثة أثواب اتزر بالعز وتسربل الرحمة وارتدى الكبرياء تعالى ذكره فمن تعزز بغير ما أعزه الله فذاك الذى يقال ذق انك أنت العزيز الكريم ومن رحم الناس فذاك الذى سربل الله سرباله الذى ينبغى له ومن تكبر فذاك الذى نازع الله رداءه

(١) لم يذكر الثانية وهى ضم التاء وبها قرئ ولعلها سقطت من قلم الناسخ وحرر كتبه مصححه

والمفضل ورويس وابن مجاهد عن ابن ذكوان الباقون بتاء التأنيث والضمير للشجرة فاعتلوه بضم التاء ابن كثير ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب الآخرون بالكسر ذق أنك بفتح الهمزة على حذف لام التعليل فى مقام بضم الميم من الاقامة أبو جعفر ونافع وابن عامر ۞ الوقوف حم كوفى ٥ المبين ٥لا ومن لم يقف على حم وقف على المبين منذرين ٥ حكيم ٥ ط بناء على أن التقدير أمرنا أمرا من عندنا ط مرسلين ٥ ج لاحتمال أن رحمة مفعول له أو به أو التقدير رحمنا رحمة من ربك ط العليم ٥ لا لمن خفض رب بينهما ط موقنين ٥ ويميت ط الاولين ٥ يلعبون ٥ مبين ٥ ط الناس ط أليم ٥ مؤمنون ٥ مبين ٥لا للعطف مجنون ٥ م لئلا يوهم أن ما بعده من قول الكفار عائدون ٥ م لئلا يظن أن ما بعده ظرف للعود الكبرى ج لاحتمال التعليل منتقمون ٥ كريم ٥لا عباد الله ط أمين ٥ على الله ج مبين ٥ج ترجمون ٥ فاعتزلون ٥ مجرمون ٥ متبعون ٥لا رهوا ط مغرقون ٥ وعيون ٥لا كريم ٥لا فاكهين ٥لا لان المعنى تركوها مهيأة كما كانت آخرين ٥ منظرين ٥ المهين ٥ لا من فرعون ط المسرفين ٥ العالمين ٥ ج مبين ٥ ليقولون ٥ لا بمنشرين ٥ صادقين ٥ تبع لا للعطف من قبلهم ط لتناهى الاستفهام الى ابتداء الاخبار أهلكناهم ج لأن التعليل أوضح مجرمين ٥ لاعبين ٥ لا يعلمون ٥ أجمعين ٥لا لأن ما بعده بدل

ان الله تعالى ذكره يقول لا ينبغى لمن نازعنى ردائى أن أدخله الجنة جل وعز وأجمعت قراء الامصار جميعا على كسر الالف من قوله ذق انك على وجه الابتداء وحكاية قول هذا القائل انى أنا العزيز الكريم وقرأ ذلك بعض المتأخرين ذق أنك بفتح الالف على إعمال قوله ذق فى قوله أنك كأن معنى الكلام عنده ذق هذا القول الذى قلته فى الدنيا * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا كسر الألف من انك على المعنى الذى ذكرت لقارئه لاجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه وكفى دليلا على خطا قراءة خلافها ما مضت عليه الأئمة من المتقدمين والمتأخرين مع بعدها من الصحة فى المعنى وفراقها تأويل أهل التأويل وقوله ان هذا ما كنتم به تمترون يقول تعالى ذكره يقال له ان هذا العذاب الذى تعذب به اليوم هو العذاب الذى كنتم فى الدنيا تشكون فتختصمون فيه ولا توقنون به فقد لقيتموه فذوقوه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين اتقوا الله بأداء طاعته واجتناب معاصيه فى موضع اقامة آمنين فى ذلك الموضع مما كان يخاف منه فى مقامات الدنيا من الأوصاب والعلل والأنصاب والأحزان واختلفت القراء فى قراءة قوله فى مقام أمين فقرأته عامة قراء المدينة فى مقام أمين بضم الميم بمعنى فى اقامة أمين من الظعن وقرأته عامة قراء المصرين الكوفة والبصرة فى مقام بفتح الميم على المعنى الذى وصفنا وتوجيها الى أنهم فى مكان وموضع أمين * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان المتقين فى مقام أمين إى والله أمين من الشيطان والأنصاب والأحزان وقوله فى جنات وعيون فالجنات والعيون ترجمة عن المقام الأمين والمقام الأمين هو الجنات والعيون والجنات البساتين والعيون عيون الماء المطرد فى أصول أشجار الجنات وقوله يلبسون من سندس يقول يلبس هؤلاء المتقون فى هذه الجنات من سندس وهو مارق من الديباج وإستبرق وهو ما غلظ من الديباج كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة فى قوله من سندس وإستبرق قال الاستبرق الديباج الغليظ وقيل يلبسون من سندس وإستبرق ولم يقل لباسا استغناء بدلالة الكلام على معناه وقوله متقابلين يعنى أنهم فى الجنة يقابل بعضهم بعضا بالوجوه ولا ينظر بعضهم فى قفا بعض وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى فأغنى ذلك عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره كما أعطينا هؤلاء المتقين فى الآخرة من الكرامة بادخالناهم الجنات والباسناهم فيها السندس والاستبرق كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم أيضا فيها حورا من النساء وهن النقيات البياض واحدتهن حوراء وكان مجاهد يقول فى معنى الحور ما حدثنى به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وزوجناهم بحور عين قال أنكحناهم حورا قال والحور اللاتى يحار فيهن الطرف بادخ سوقهن من وراء

ولا هم ينصرون ٥ لا رحم الله ط الرحيم ٥ الاثيم ٥ ج لاحتمال أن يكون كالمهل خبرا بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف فى البطون لا الحميم ٥ الجحيم ٥ الحميم ٥ ط لأن التقدير قولوا أو يقال له ذق الكريم ٥ تمترون ٥ أمين ٥ لا وعيون ٥ ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال متقابلين ٥ ج لاحتمال أن يراد كما ذكرنا من حالهم قبل أو يكون التقدير الامر كذلك عين ٥ ج لئلا يوهم ان ما بعده صفة للحور آمنين ٥ لا لان ما بعده صفة فان الأمن لا يتم الا به الاولى ج لأن ما بعده يصلح استئنافا وحالا باضمار قد الجحيم ٥ لا لان فضلا مفعول له من ربك ط العظيم ٥ يتذكرون ٥ مرتقبون ٥ ۞ التفسير أقسم بالقرآن انا أنزلناه فى ليلة مباركة لأن من شأننا الانذار والتخويف من العقاب وانما أنزل فى هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن أشرف الامور الحكمية وهذه الليلة يفرق فيها كل أمر ذى حكمة فالجملتان أعنى قوله انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم كالتفسير لجواب القسم قال صاحب النظم ليس من عادتهم أن يقسموا بنفس الشئ اذا أخبروا عنه بجواب القسم انا كنا منذرين وقوله انا أنزلناه اعتراض والجمهور على الاول ولا بأس لان المعنى انا أنزلنا القرآن على محمد ولم يتقوله ويحتمل أن القسم وقع على انزاله فى ليلة مباركة وأكثر المفسرين على أنها ليلة القدر لقوله انا أنزلناه فى ليلة القدر وليلة القدر عند الاكثرين من رمضان ونقل محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن قتادة انه قال نزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان والتوراة لست ليال منه والزبور لاثنتى عشرة مضت والانجيل لثمان عشرة منه والفرقان لأربع وعشرين مضت والليلة المباركة هى ليلة القدر وزعم بعضهم كعكرمة وغيره أنها ليلة النصف من شعبان وما رأيت لهم دليلا يعوّل عليه قالوا وتسمى ليلة البراءة أيضا وليلة الصك لان الله تعالى يكتب لعباده

ثيابهن و يرى الناظر وجهه في كبد احداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون وهذا الذي قاله مجاهد من أن الحور انما معناها أنه يحار فيها الطرف قول لا معنى له في كلام العرب لأن الحور انما هو جمع حوراء كالحمر جمع حمراء والسود جمع سوداء والحوراء انما هي فعلاء من الحور وهو نقاء البياض كما قيل للنقي البياض من الطعام الحواري وقد بينا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل * و بنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال سائر أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كذلك و زوجناهم بحور عين قال بيضاء عيناء قال وفي قراءة ابن مسعود بعيس عين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله بحور عين قال بيض عين قال وفي حرف ابن مسعود بعيس عين وقرأ ابن مسعود هذه يعني أن معنى الحور غير الذي ذهب اليه مجاهد لأن العيس عند العرب جمع عيساء وهي البيضاء من الابل كما قال الأعشى

ومهمه نازح تعوى الذئاب به * كلفت أعيس تحت الرحل نعابا

يعني بالأعيس جملا أبيض فأما العين فانها جمع عيناء وهي العظيمة العينين من النساء وقوله يدعون فيها الآية يقول يدعو هؤلاء المتقون في الجنة بكل نوع من فواكه الجنة اشتهوه آمنين فيها من انقطاع ذلك عنهم ونفاده وفنائه ومن غائلة أذاه ومكروهه يقول ليست تلك الفاكهة هنالك كفاكهة الدنيا التي نأكلها وهم يخافون مكروه عاقبتها وغب أذاها مع نفادها من عندهم وعدمها في بعض الأزمنة والأوقات وكان قتادة يوجه تأويل قوله آمنين الى ما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يدعون فيها بكل فاكهة آمنين أمنوا من الموت والاوصاب والشيطان وقوله لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى يقول تعالى ذكره لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا وكان بعض أهل العربية يوجه الا في هذا الموضع الى أنها في معنى سوى و يقول معنى الكلام لا يذوقون فيها الموت سوى الموتة الأولى و يمثله بقوله تعالى ذكره ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف بمعنى سوى ما قد فعل آباؤكم وليس للذي قال من ذلك عندي وجه مفهوم لأن الأغلب من قول القائل لا أذوق اليوم الطعام الا الطعام الذي ذقته قبل اليوم أنه يريد الخبر عن قائله ان عنده طعاما في ذلك اليوم ذائقه وطاعمه دون سائر الأطعمة غيره واذا كان ذلك الأغلب من معناه وجب أن يكون قد أثبت بقوله الا الموتة الأولى موتة من نوع الأولى هم ذائقوها ومعلوم أن ذلك ليس كذلك لأن الله عز وجل قد أمن أهل الجنة في الجنة اذا هم دخلوها من الموت ولكن ذلك كما وصفت من معناه وانما جاز ان توضع الا في موضع بعد لتقارب معنييهما في هذا الموضع وذلك أن القائل اذا قال لا أكلم اليوم رجلا الا رجلا عند عمرو قد أوجب على نفسه أن لا يكلم ذلك اليوم رجلا بعد كلام الرجل الذي عند عمرو وكذلك اذا قال لا أكلم اليوم رجلا بعد رجل عند عمرو قد أوجب على نفسه أن لا يكلم ذلك اليوم رجلا إلا رجلا عند عمرو فبعد والا متقاربتا المعنى في هذا الموضع ومن شأن العرب أن تضع الكلمة مكان غيرها اذا تقارب معنياهما وذلك كوضعهم الرجاء مكان الخوف لما في معنى الرجاء من الخوف لأن الرجاء ليس بيقين وانما هو طمع وقد يصدق و يكذب كما الخوف يصدق أحيانا و يكذب فقال في ذلك أبو ذؤيب

الشيطان وقال ان الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب وقال ان الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن أوساحر أومدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنا ومما أعطى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر منها فأعطى الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع الا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله عز وجل في هذه الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة و بعضهم أراد أن يجمع بين القولين فقال ابتدئ بانتساخ القرآن من اللوح المحفوظ ليلة البراءة ووقع الفراغ في ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن لكفى به بركة ومعنى (يفرق) يفصل و يكتب (كل أمر) هو ضد النهي او كل أمر له شأن من ارزاق العباد وآجالهم و جميع أمورهم الى العام القابل فيدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب والزلازل والصواعق والخسوف الى جبرائيل ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت وقيل يعطى كل عامل بركات أعماله فيلقى على ألسنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وفي انتصاب (امرا) وجوه اما أن يكون حالا من أمر حكيم لأنه قريب من المعرفة أو من الهاء في أنزلناه أو من الفاعل أي آمرين أو على المصدر لأمر أو على الاختصاص لان كونه من عند الله يوجبه مزيد شرف وفخامة أو يكون مصدرا من غير لفظ الفعل وهو يفرق لانه اذا حكم بالشئ وفصله اذا

اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها * وخالفها فى بيت نوب عوامل

فقال لم يرج لسعها ومعناه فى ذلك لم يخف لسعها وكوضعهم الظن موضع العلم الذى لم يدرك من قبل العيان وانما أدرك استدلالا أوخبرا كما قال الشاعر

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج * سراتهم فى الفارسى المسرد

بمعنى أيقنوا بألفى مدجج واعلموا فوضع الظن موضع اليقين اذ لم يكن المقول لهم ذلك عاينوا ألفى مدجج ولا رأوهم وان ما أخبرهم به هذا المخبر فقال لهم ظنوا العلم بما لم يعاين من فعل القلب فوضع أحدهما موضع الآخر لتقارب معنييهما فى نظائر لما ذكرت يكثر احصاؤها كما يتقارب معنى الكلمتين فى بعض المعانى وهما مختلفتا المعنى فى أشياء أخر فتضع العرب احداهما مكان صاحبتها فى الموضع الذى يتقارب معنياهما فيه فكذلك قوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى وضعت الا فى موضع بعد لما نصف من تقارب معنى إلا وبعد فى هذا الموضع وكذلك ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف انما معناه بعد الذى سلف منكم فى الجاهلية فأما اذا وجهت الا فى هذا الموضع الى معنى سوى فانما هو ترجمة عن المكان وبيان عنها بما هو أشد التباسا على من أراد علم معناها منها وقوله ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك يقول تعالى ذكره ووقى هؤلاء المتقين ربهم يومئذ عذاب النار تفضلا يا محمد من ربك عليهم واحسانا منه اليهم بذلك ولم يعاقبهم بجرم سلف منهم فى الدنيا ولولا تفضله عليهم بصفحه لهم عن العقوبة لهم على ما سلف منهم من ذلك لم يقهم عذاب الجحيم ولكن كان ينالهم ويصيبهم ألمه ومكروهه وقوله ذلك هو الفوز العظيم يقول تعالى ذكره هذا الذى أعطينا هؤلاء المتقين فى الآخرة من الكرامة التى وصفت فى هذه الآيات هو الفوز العظيم يقول هو الظفر العظيم بما كانوا يطلبون من ادراكه فى الدنيا بأعمالهم وطاعتهم لربهم واتقائهم اياه فيما امتحنهم به من الطاعات والفرائض واجتناب المحارم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانما سهلنا قراءة هذا القرآن الذى أنزلناه اليك يا محمد بلسانك ليتذكر هؤلاء المشركون الذين أرسلناك اليهم بعبره وحججه ويتعظوا بعظاته ويتفكروا فى آياته اذا أنت تتلوه عليهم فينيبوا الى طاعة ربهم ويذعنوا للحق عند تبينهموه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فانما يسرناه بلسانك أى هذا القرآن لعلهم يتذكرون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فانما يسرناه بلسانك قال القرآن ويسرناه أطلق به لسانه وقوله فارتقب إنهم مرتقبون يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانتظر أنت يا محمد الفتح من ربك والنصر على هؤلاء المشركين بالله من قومك من قريش انهم منتظرون عند أنفسهم قهرك وغلبتك بصدهم عما أتيتهم به من الحق من أراد قبوله واتباعك عليه * وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله فارتقب انهم مرتقبون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فارتقب انهم مرتقبون أى فانتظر انهم منتظرون

آخر تفسير سورة الدخان

موضع الضمير ايذانا بأن الربوبية تقتضى الرحمة ثم حقق ربوبيته بقوله (انه هو السميع العليم) الى قوله الاولين ومعنى الشرط فى قوله (ان كنتم موقنين) نظير ما هو فى أول الشعراء وذلك أنهم كانوا مقرين بأنه رب السموات والارض قيل لهم ان كنتم على بصيرة وايقان من ذلك فلا تشكوا فيه أو ان كنتم موقنين بشئ فأيقنوا بما أخبرتكم أو ان كنتم تريدون اليقين فاعلموا ذلك وقيل ان نافية ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم فى شك يلعبون) فى الدنيا أو يستهزؤن بنا فلا جرم أوعدهم بقوله (فارتقب) ويوم مفعول به أى انتظره والاكثرون على أن هذا الدخان من أمارات القيامة فان الدنيا ستصير كبيت لا خصاص له مملوء دخانا يدخل فى أنوف الكفار وآذانهم فيكونون كالسكارى ويصيب المؤمن فيه كالزكام فيبقى ذلك أربعين وعن حذيفة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر أبين بكسر الهمزة وفتحها اسم رجل بنى هذه البلدة ونزل بها وقيل الدخان يكون فى القيامة اذا خرجوا من قبورهم يحيط بالخلائق ويغشاهم وقيل الدخان الشر والفتنة وعن ابن مسعود خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام وذلك أن قريشا لما استصعبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم اللزام وهو القحط حتى أكلوا الجيف وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان فيسمع كلام صاحبه ولا يراه من الدخان فمشى اليه صلى الله عليه وسلم أبو سفيان

وتفرمعه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعالهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم من الدخان رجعوا الى شركهم وذلك قوله (هذا عذاب) أى قائلين هذا الى آخره ثم استبعد (٨٤) منهم الاتعاظ بقوله (أنى لهم الذكرى وقد جاءهم) ماهو أعظم من كشف الدخان وهو القرآن المعجز وغيره فلم يتذكروا (وتولوا عنه) واتهموه صلى الله عليه وسلم بأنه انما يعلمه بشر ونسبوه الى الجنون ومعنى ثم تبعيد الحالتين ثم بين أنهم يعودون الى الكفر عقيب كشف العذاب عنهم زمانا قليلا واعلم أن ارتدادهم الى الكفر أمر ممكن سواء يجعل الدخان من أمارات القيامة أو يقال انه قد مضى والبطشة الكبرى القيامة أو يوم بدر على التفسيرين ويوم ظرف لما دل عليه منتقمون فان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله وقيل بدل من يوم تأتى السماء ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقصة موسى ومعنى فتنا امتحنا وقد وصفه بالكرم لانه كان حسيبا فى قومه أو بكرم خلقه أو المراد أنه لم يخاشنهم فى التبليغ كما قال فقولا له قولا لينا وأن مفسرة لان مجىء الرسول يتضمن القول أو مخففة من الثقيلة او مصدرية والياء محذوف وعباد الله مفعول به لقوله أرسل معنا بنى اسرائيل أو منادى والمعنى أدوا الى يا عباد الله ماهو واجب عليكم من الايمان والطاعة والقصة مذكورة فى الشعراء وغيرها وأن ترجمون أن تقتلون أو تشتمون بالنسبة الى الكذب والسحر (وان لم تؤمنوا لى) اى لم تصدقونى ففارقونى وكونوا بمعزل عنى لا على ولا لى (فدعا ربه) شاكيا (أن هؤلاء قوم مجرمون) مصرون على الكفر (فأسر) أى فأجبنا دعاءه وقلنا له أسر وكان من دعائه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم ويحتمل أن يكون الدعاء هو ما فى يونس ربنا اطمس على أموالهم وفى رهوا وجهان أحدهما ساكنا أى لا تضربه ثانيا واتركه على هيئته من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا وذلك أن موسى أراد أن يضربه ثانيا حتى ينطبق ويزول الانفلاق خوفا من أن يدركهم

﴿تفسير سورة الجاثيـة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين﴾ قد تقدم بياننا فى معنى قوله حم وأما قوله تنزيل الكتاب من الله فان معناه هذا تنزيل القرآن من عند الله العزيز فى انتقامه من أعدائه الحكيم فى تدبيره أمر خلقه وقوله ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين يقول تعالى ذكره ان فى السموات السبع اللاتى منهن نزول الغيث والارض التى منها خروج الخلق أيها الناس لآيات للمؤمنين يقول لأدلة وحججا للمصدقين بالحجج اذا تبينوها ورأوها القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون﴾ يقول تعالى ذكره وفى خلق الله اياكم أيها الناس وخلقه ما تفرق فى الارض من دابة تدب عليها من غير جنسكم آيات لقوم يوقنون يعنى حججا وأدلة لقوم يوقنون بحقائق الأشياء فيقرون بها ويعلمون صحتها واختلفت القراء فى قراءة قوله آيات لقوم يوقنون وفى التى بعد ذلك فقرا ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة آيات رفعا على الابتداء وترك ردها على قوله لآيات للمؤمنين وقرأته عامة قراء الكوفة آيات خفضا بتأويل النصب ردا على قوله لآيات للمؤمنين وزعم قارئو ذلك كذلك من المتأخرين أنهم اختاروا قراءته كذلك لأنه فى قراءة أبى فى الآيات الثلاث لآيات باللام فجعلوا دخول اللام فى ذلك فى قراءته دليلا لهم على صحة قراءة جميعه بالخفض وليس الذى اعتمدوا عليه من الحجة فى ذلك بحجة لأنه لا رواية بذلك عن أبى صحيحة وأبى لو صحت به عنه رواية ثم لم يعلم كيف كانت قراءته بالخفض أو بالرفع لم يكن الحكم عليه بأنه كان يقرؤه خفضا بأولى من الحكم عليه بأنه كان يقرؤه رفعا اذ كانت العرب قد تدخل اللام فى خبر المعطوف على جملة كلام تام قد عملت فى ابتدائها ان مع ابتدائهم اياه كما قال حميد بن ثور الهلالى

ان الخلافة بعدهم لذميمة * وخلائف طرف لمما أحقر

فأدخل اللام فى خبر مبتدا بعد جملة خبر قد عملت فيه ان اذ كان الكلام وان ابتدئ منويا فيه ان والصواب من القول فى ذلك ان كان الامر على ما وصفنا أن يقال ان الخفض فى هذه الأحرف والرفع قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار قد قرأ بهما علماء من القراء صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون﴾ يقول تبارك وتعالى وفى اختلاف الليل والنهار أيها الناس وتعاقبهما عليكم هذا بظلمته وسواده وهذا بنوره وضيائه وما أنزل الله من السماء من رزق وهو الغيث الذى به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم واحيائه الأرض بعد موتها يقول فأنبت ما أنزل من السماء من الغيث ميت الأرض حتى اهتزت بالنبات والزرع من بعد موتها يعنى من بعد جدوبها وقحوطها ومصيرها دائرة لا نبت فيها ولا زرع وقوله وتصريف الرياح يقول وفى تصريفه الرياح لكم شمالا مرة وجنوبا أخرى وصبا أحيانا ودبورا أخرى لمنافعكم وقد قيل عنى بتصريفها بالرحمة مرة وبالعذاب أخرى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وتصريف الرياح قال تصريفها

تصريفها ان شاء جعلها رحمة وان شاء جعلها عذابا وقوله آيات لقوم يعقلون يقول تعالى ذكره في ذلك أدلة وحجج لله على خلقه لقوم يعقلون عن الله حججه ويفهمون عنه ما وعظهم به من الآيات والعبر ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره هذه الآيات والحجج يا محمد من ربك على خلقه نتلوها عليك بالحق يقول نخبرك عنها بالحق لا بالباطل كما يخبر مشركو قومك عن آلهتهم بالباطل أنها تقربهم الى الله زلفى فبأى حديث بعد الله وآياته تؤمنون يقول تعالى ذكره للمشركين به فبأى حديث أيها القوم بعد حديث الله هذا الذى يتلوه عليكم وبعد حججه عليكم وأدلته التى دلكم بها على وحدانيته من أنه لا رب لكم سواه تصدقون ان أنتم كذبتم لحديثه وآياته وهذا التأويل على مذهب قراءة من قرأ تؤمنون على وجه الخطاب من الله بهذا الكلام للمشركين وذلك قراءة عامة قراء الكوفيين وأما على قراءة من قرأه يؤمنون بالياء فان معناه فبأى حديث يا محمد بعد حديث الله الذى يتلوه عليك وآياته هذه التى نبه هؤلاء المشركين عليها وذكرهم بها يؤمن هؤلاء المشركون وهى قراءة عامة قراء أهل المدينة والبصرة ولكلتا القراءتين وجه صحيح وتأويل مفهوم فبأية القراءتين قرأ ذلك القارئ فمصيب عندنا وان كنت أميل الى قراءته بالياء اذ كانت فى سياق آيات قد مضين قبلها على وجه الخبر وذلك قوله لقوم يوقنون ولقوم يعقلون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره الوادى السائل من صديد أهل جهنم لكل كذاب ذى اثم بربه مفتر عليه يسمع آيات الله تتلى عليه يقول يسمع آيات كتاب الله تقرأ عليه ثم يصر على كفره واثمه فيقيم عليه غير تائب منه ولا راجع عنه مستكبرا على ربه أن يذعن لأمره ونهيه كأن لم يسمعها يقول كأن لم يسمع ما تلى عليه من آيات الله باصراره على كفره فبشره بعذاب أليم يقول فبشر يا محمد هذا الأفاك الأثيم الذى هذه صفته بعذاب من الله أليم يعنى موجع فى نار جهنم يوم القيامة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين﴾ يقول تعالى ذكره واذا علم هذا الأفاك الأثيم من آيات الله شيئا اتخذها هزوا يقول اتخذ تلك الآيات التى علمها هزوا يسخر منها وذلك كفعل أبى جهل حين نزلت ان شجرة الزقوم طعام الأثيم اذ دعا بتمر وزبد فقال تزقموا من هذا ما يعدكم محمد الا شهدا وما أشبه ذلك من أفعالهم وقوله أولئك لهم عذاب مهين يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين يفعلون هذا الفعل وهم الذين يسمعون آيات الله تتلى عليهم ثم يصرون على كفرهم استكبارا ويتخذون آيات الله التى علموها هزوا لهم يوم القيامة من الله عذاب مهين يهينهم ويذلهم فى نار جهنم بما كانوا فى الدنيا يستكبرون عن طاعة الله واتباع آياته وانما قال تعالى ذكره أولئك لجمع (١) وقد جرى الكلام قبل ذلك ردا للكلام الى معنى الكل فى قوله ويل لكل أفاك أثيم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره ومن وراء هؤلاء المستهزئين بآيات الله يعنى من بين أيديهم وقد بينا العلة التى من أجلها قيل لما أمامك هو وراءك فيما مضى بما أغنى عن اعادته

(١) لعله وقد جرى الكلام قبل ذلك على الافراد ردًّا الخ تأمل اه مصححه

قوم فرعون والله تعالى أراد أن يدخل القبط البحر ثم يطبقه عليهم وثانيهما أن الرهو الفجوة الواسعة اى اتركه مفتوحا منفرجا على حالة والنعمة بفتح النون التنعم والباقى مذكور فى الشعراء وقوله (فما بكت) كان اذا مات الرجل الخطير قالوا فى تعظيم مصيبته بكت عليه السماء والارض وأظلمت الدنيا ومنه الحديث وما من مؤمن مات فى غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء وفيه تمثيل وتخييل وتهكم بهم أنهم كانوا يستعظمون أنفسهم ويعتقدون أنهم لو ماتوا لقال الناس فيهم ذلك فأخبر أنهم ما كانوا فى هذا الحد بل كانوا دون ذلك وجوز كثير من المفسرين أن يكون البكاء حقيقة وجعلوا الخسوف والكسوف والحمرة التى تحدث فى السماء وهبوب الرياح العاصفة من ذلك قال الواحدى فى البسيط روى أنس ابن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد الا له فى السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية ثم ان هؤلاء الكفار لم يكن لهم عمل صالح يصعد الى السماء فلا جرم لم تبك عليهم وعن الحسن أراد أهل السماء والارض أى ما بكت عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين (وما كانوا اذا منظرين) أى لما جاء وقت هلاكهم لم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا قوله (من فرعون) بدل من العذاب بل جعل فى نفسه عذابا مهينا لشدة شكيمته وفرط عتوه وقيل المضاف محذوف أى من عذابه وقيل تقديره المهين الصادر من فرعون وفى قراءة ابن عباس من فرعون على الاستفهام أى ما ظنكم بعذاب من تعرفونه انه عال قاهر عات مجاوز حد الاعتدال ثم ثنى على بنى اسرائيل بقوله (ولقد اخترناهم) بايتاء الملك والنبوة (على علم) منا باستحقاقهم ذلك وقيامهم بالشكر عليه على عالمى زمانهم ولا ريب أن هذا قبل التحريف وقيل أى على علم منا بأنه يبدو منهم بوادر وتفريطات والبلاء النعمة أو المحنة والآيات هى التسع وغيرها

ثم عاد الى ما انجر الكلام فيه وهو قوله بل هم فى شك يلعبون فقال (ان هؤلاء) يعنى كفار قريش (ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى) قال المفسرون يؤل الى ما حكى عنهم فى موضع آخر (٨٦) ان هى الا حياتنا الدنيا وذلك أن النزاع انما وقع فى موتة تعقبها حياة فأنكروا

يقول من بين أيديهم نار جهنم هم واردوها ولا يغنيهم ما كسبوا شيئاً يقول ولا يغنى عنهم من عذاب جهنم اذا هم عذبوا به ما كسبوا فى الدنيا من مال وولد شيئاً وقوله ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء يقول ولا آلهتهم التى عبدوها من دون الله ورؤساؤهم وهم الذين أطاعوهم فى الكفر بالله واتخذوهم نصراء فى الدنيا تغنى عنهم يومئذ من عذاب جهنم شيئاً ولهم عذاب عظيم يقول ولهم من الله يومئذ عذاب فى جهنم عظيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) يقول تعالى ذكره هذا القرآن الذى أنزلناه على محمد هدى يقول بيان ودليل على الحق يهدى الى صراط مستقيم من اتبعه وعمل بما فيه والذين كفروا بآيات ربهم يقول والذين جحدوا ما فى القرآن من الآيات الدالات على الحق ولم يصدقوا بها ويعملوا بها لهم عذاب أليم يوم القيامة موجع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) يقول تعالى ذكره الله أيها القوم الذى لا تنبغى الالوهة الا له الذى أنعم عليكم هذه النعم التى بينها لكم فى هذه الآيات وهو أنه سخر لكم البحر لتجرى السفن فيه بأمره لمعايشكم وتصرفكم فى البلاد لطلب فضله فيها ولتشكروا ربكم على تسخيره ذلك لكم فتعبدوه وتطيعوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) يقول تعالى ذكره وسخر لكم ما فى السموات من شمس وقمر ونجوم وما فى الارض من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم جميعا منه يقول تعالى ذكره جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم وفضل منه تفضل به عليكم فاياه فاحمدوا لا غيره لأنه لم يشركه فى انعام هذه النعم عليكم شريك بل تفرد بانعامها عليكم وجميعها منه ومن نعمه فلا تجعلوا له فى شكركم له شريكا بل أفردوه بالشكر والعبادة وأخلصوا له الالوهة فانه لا اله لكم سواه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه يقول كل شئ هو من الله وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه فذلك جميعا منه ولا ينازعه فيه المنازعون واستيقن أنه كذلك وقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون يقول تعالى ذكره ان فى تسخير الله لكم ما أنبأكم أيها الناس أنه سخره لكم فى هاتين الآيتين لآيات يقول لعلامات ودلالات على أنه لا اله لكم غيره الذى أنعم عليكم هذه النعم وسخر لكم هذه الاشياء التى لا يقدر على تسخيرها غيره لقوم يتفكرون فى آيات الله وحججه وأدلته فيعتبرون بها ويتعظون اذا تدبروها وفكروا فيها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للذين صدقوا الله واتبعوك يغفروا للذين لا يخافون بأس الله ووقائعه ونقمه اذا هم نالوهم بالأذى والمكروه ليجزى قوما بما كانوا يكسبون يقول ليجزى الله هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين فى الآخرة فيصيبهم عذابه بما كانوا فى الدنيا يكسبون من الاثم ثم بأذاهم أهل الايمان بالله وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس

أن تكون موتة بهذا الوصف الا الموتة الاولى وهو حال كونهم نطفا ويحتمل أن يراد ان هى أى الصفة أو النهاية أو الحالة أو العاقبة الا الموتة الاولى وليست اثباتا لموتة ثانية انما هو كقولك حج فلان الحجة الاولى ومات (وما نحن بمنشرين) انشر الله الموتى أحياهم (فأتوا) أيها النبى والذين آمنوا معه (بآبائنا ان كنتم صادقين) يروى أنهم طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يجعل الله لهم احياء الموتى فينشر كبيرهم قصى ابن كلاب ليشاوروه فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة البعث فلم يجبهم الله تعالى الى ذلك ولكنه أوعدهم بقوله (أهم خير أم قوم تبع) أى ليسوا بخير منهم فى العدد والعز والمنعة ابن عباس تبع نبى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم لا أدرى تبع نبيا كان أم غير نبى رواه الثعلبى عن عائشة كان رجلا صالحا ذم الله قومه ولم يذمه وانما خصهم بالذكر لقربهم من العرب زمانا ومكانا وعن سعيد بن جبير أنه كسا البيت وقال قتادة كان من حمير سار فبنى الحيرة وسمر قند وقال أبو عبيدة هم ملوك اليمن يسمى كل واحد منهم تبعا لكثرة تبعه أو لأنه يتبع صاحبه وهو بمنزلة الخليفة للمسلمين وكسرى للفرس وقيصر للروم وجمعه تبابعة وكان يكتب اذا كتب بسم الذى ملك برا وبحرا ثم برهن على صحة البعث بقوله (وما خلقنا) الى آخره وقد مر فى الانبياء وفى ص نظيره وانما جمع السموات ههنا لموافقة قوله فى أول السورة رب السموات وسمى يوم القيامة يوم الفصل لأنه يفصل بين عباده فى الحكم والقضاء أو يفصل بين أهل الجنة وأهل النار أو يفصل بين المؤمنين وبين ما يكرهون وللكافرين بينهم وبين ما يشتهونه فيفصل بين الوالد وولده والرجل وزوجته قوله

والمرء وخليله والمولى في الآية يحتمل الولي والناصر والمعين وابن العم والمراد أن أحدا منهم بأي معنى فرض لا يتوقع منه النصرة والضمير في لا ينصرون للولي الثاني لأنه جمع في المعنى لعمومه وشياعه وقوله (الا من رحم الله) في محل الرفع على البدل أو في محل النصب على الاستثناء (انه هو العزيز) الغالب على من عصى (الرحيم) لمن أطاع ثم أراد أن يختم السورة بوعيد الفجار ووعد الأبرار فقال (ان شجرت الزقوم) وقدمر تفسيرها في الصافات و (الأثيم) مبالغة الآثم ولهذا يمكن أن يقال انه مخصوص بالكافر والمهل دردي الزيت وقدمر في الكهف ولعل وجه التشبيه هو بشاعة الطعم كما أن الوجه في قوله طلعها كأنه رؤس الشياطين هو كراهة المنظر ثم وصفه بشدة الحرارة قائلا (يغلي) الى آخره ثم أخبر أنه سبحانه يقول للزبانية (خذوه) أي خذوا الأثيم (فاعتلوه) جروه بعنف وغلظة كأن يؤخذ بتلبيبه فيجر الى وسط النار والتركيب يدل على الشدة والغلظة ومنه العتل للجافي الغليظ وقوله (من عذاب الحميم) دون أن يقول من الحميم تهويل وسلوك لطريق الاستعارة لأنه اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته يروى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها أعز ولا أمنع مني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيأ فنزلت الآية أي يقال له ذق لأنك أنت العزيز الكريم عند نفسك وفيه من التهكم ما فيه (ان هذا) العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون ثم شرع في وعد الأبرار والمقام الأمين ذو الأمن أو أصله من الأمانة لأن المكان المخيف كأنما يخوف صاحبه بما يلقى فيه من المكاره وقوله (وزوجناهم) اختلفوا في أن هذا اللفظ

قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يعرض عن المشركين اذا آذوه وكانوا يستهزؤن به ويكذبونه فأمره الله عز وجل أن يقاتل المشركين كافة فكان هذا من المنسوخ حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله للذين لا يرجون أيام الله قال لا يبالون نعم الله أو نقم الله حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يرجون أيام الله قال لا يبالون نعم الله وهذه الآية منسوخة بأمر الله بقتال المشركين وانما قلنا هي منسوخة لاجماع أهل التأويل على أن ذلك كذلك ذكر من قال ذلك قد ذكرنا الرواية في ذلك عن ابن أبي عباس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله قال نسختها ما في الأنفال فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون وفي براءة قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله قال نسختها اقتلوا المشركين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله قال هذا منسوخ أمر الله بقتالهم في سورة براءة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عمن ذكره عن أبي صالح قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله قال نسختها التي في الحج أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله قال هؤلاء المشركون قال وقد نسخ هذا وفرض جهادهم والغلظة عليهم وجزم قوله يغفروا تشبيها له بالجزاء والشرط وليس به ولكن لظهوره في الكلام على مثاله فعرب تعريبه وقد مضى البيان عنه قبل * واختلفت القراء في قراءة قوله ليجزي قوما فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة والكوفة ليجزي بالياء على وجه الخبر عن الله أنه يجزيهم ويثيبهم وقرأ ذلك بعض عامة قراء الكوفيين لنجزي بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه وذكر عن أبي جعفر القاري أنه كان يقرؤه ليجزى قوما على مذهب ما لم يسم فاعله وهو على مذهب كلام العرب لحن الا أن يكون أراد ليجزى الجزاء قوما باضمار الجزاء وجعله مرفوعا ليجزى فيكون وجها من القراءة وان كان بعيدا * والصواب من القول في ذلك عندنا أن قراءته بالياء والنون على ما ذكرت من قراءة الامصار جائزة بأي تينك القراءتين قرأ القارئ فأما قراءته على ما ذكرت عن أبي جعفر فغير جائزة عندي لمعنيين أحدهما أنه خلاف لما عليه الحجة من القراء وغير جائز عندي خلاف ما جاءت به مستفيضا فيهم والثاني بعدها من الصحة في العربية الا على استكراه الكلام على غير المعروف من وجهه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره من عمل من عباد الله بطاعته فانتهى الى أمره وانزجر لنهيه فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل وطلب خلاصها من عذاب الله أطاع ربه لا لغيره لأنه لا ينفع ذلك غيره والله عن عمل كل عامل غني ومن أساء فعليها يقول ومن

هل يدل على حصول عقد التزوج أم لا والأكثرون على نفيه وأن المراد قرناهم بهن وقيل زوجته امرأة وزوجته بامرأة لغتان وهكذا اختلفوا في الحور فعن الحسن هن عجائزكم ينشئهن الله خلقا آخر وقال أبو هريرة لسن من نساء الدنيا (يدعون) أي يحكمون ويأمرون في الجنة

باحضار ما يشتهون من الفواكه فى أى وقت ومكان (آمنين) من التخم والتبعات ثم أخبر عن خلودهم بقوله (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) قال جار الله هو من باب التعليق بالمحال (٨٨) كأنه قيل ان كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها فى المستقبل فانهم يذوقونها

وقيل الاستثناء منقطع أى لكن الموتة الأولى قد ذاقوها وقال اهل التحقيق ان الجنة حقيقتها ابتهاج النفس وفرحها بمعرفة الله و بمحبته فالانسان الكامل هو فى الدنيا فى الجنة وفى الآخرة أيضا فى الجنة فقد صح أنه لم يذق فى الجنة الا الموتة الأولى ثم ختم الكلام بفذلكته والمعنى ذكرناهم بالكتاب المبين فأسهلناه حيث أنزلناه بلغتك ارادة تذكرهم فانتظر ما يحل بهم فانهم يتربصون بك الدوائر

* (سورة الجاثية مكية حروفها الفان ومائة وأحد وستون كلمها اربعمائة وثمان وثمانون آياتها سبع وثلاثون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله

أساء عمله فى الدنيا بمعصيته فيها ربه وخلافه فيها أمره ونهيه فعلى نفسه جنى لأنه أوبقها بذلك وأكسبها به سخطه ولم يضر أحدا سوى نفسه ثم الى ربكم ترجعون يقول ثم أنتم أيها الناس أجمعون الى ربكم تصيرون من بعد مماتكم فيجازى المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته فمن ورد عليه منكم بعمل صالح جوزى من الثواب صالحا ومن ورد عليه منكم بعمل سيئ جوزى من الثواب سيأ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا يا محمد بنى اسرائيل الكتاب يعنى التوراة والانجيل والحكم يعنى الفهم بالكتاب والعلم بالسنن التى لم تنزل فى الكتاب والنبوة يقول وجعلنا منهم أنبياء ورسلا الى الخلق ورزقناهم من الطيبات يقول وأطعمناهم من طيبات أرزاقنا وذلك ما أطعمهم من المن والسلوى وفضلناهم على العالمين يقول وفضلناهم على عالمى أهل زمانهم فى أيام فرعون وعهده فى ناحيتهم بمصر والشأم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ يقول تعالى ذكره وأعطينا بنى اسرائيل واضحات من أمرنا بتنزيلنا اليهم التوراة فيها تفصيل كل شئ فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم طلبا للرياسات وتركا منهم لبيان الله تبارك وتعالى فى تنزيله وقوله ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد يقضى بين المختلفين من بنى اسرائيل بغيا بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه فى الدنيا يختلفون بعد العلم الذى أتاهم والبيان الذى جاءهم منه فيفلج المحق حينئذ على المبطل بفصل الحكم بينهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم جعلناك يا محمد من بعد الذى آتينا بنى اسرائيل الذين وصفت لك صفتهم على شريعة من الأمر يقول على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذى أمرنا به من قبلك من رسلنا فاتبعها يقول فاتبع تلك الشريعة التى جعلناها لك ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون يقول ولا تتبع ما دعاك اليه الجاهلون بالله الذين لا يعرفون الحق من الباطل فتعمل به فتهلك ان عملت به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها قال يقول على هدى من الامر وبينة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها والشريعة الفرائض والحدود والامر والنهى فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم جعلناك على شريعة من الامر قال الشريعة الدين وقرأ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك قال فنوح أولهم وأنت آخرهم وقوله انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ يقول تعالى ذكره ان هؤلاء الجاهلين بربهم الذين يدعونك يا محمد الى اتباع أهوائهم لن يغنوا عنك ان أنت اتبعت أهواءهم وخالفت شريعة ربك التى شرعها لك من عقاب الله شيأ فيدفعوه عنك ان هو عاقبك وينقذوك منه وقوله وان الظالمين بعضهم

ليجزى قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم
والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن

بعضهم أولياء بعض يقول وان الظالمين بعضهم أنصار بعض وأعوانهم على الايمان بالله وأهل طاعته والله ولى المتقين يقول تعالى ذكره والله يلى من اتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه بكفايته ودفاع من أراده بسوء يقول جل ثناؤه لنبيه عليه السلام فكن من المتقين يكفك الله ما بغاك وكادك به هؤلاء المشركون فانه ولى من اتقاه ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره وان كثر عددهم لأنهم لن يضروك ما كان الله وليك وناصرك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ يقول تعالى ذكره هذا الكتاب الذى أنزلناه اليك يا محمد بصائر للناس يبصرون به الحق من الباطل و يعرفون به سبيل الرشاد والبصائر جمع بصيرة و بنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن زيد يقول ذكر ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هذا بصائر للناس وهدى ورحمة قال القرآن قال هذا كله انما هو فى القلب قال والسمع والبصر فى القلب وقرأ فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وليس ببصر الدنيا ولا بسمعها وقوله وهدى يقول ورشاد ورحمة لقوم يوقنون بحقيقة صحة هذا القرآن وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم وخص جل ثناؤه الموقنين بأنه لهم بصائر وهدى ورحمة لأنهم الذين انتفعوا به دون من كذب به من أهل الكفر فكان عليه عمى وله حزنا وقوله أم حسب الذين اجترحوا السيئات يقول تعالى ذكره أم ظن الذين اجترحوا السيئات من الاعمال فى الدنيا وكذبوا رسل الله وخالفوا أمر ربهم وعبدوا غيره أن نجعلهم فى الآخرة كالذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الصالحات فأطاعوا الله وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة كلا ما كان الله ليفعل ذلك لقد ميز بين الفريقين فجعل حزب الايمان فى الجنة وحزب الكفر فى السعير كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية لعمرى لقد تفرق القوم فى الدنيا وتفرقوا عند الموت فتباينوا فى المصير وقوله سواء محياهم ومماتهم اختلف القراء فى قراءة قوله سواء فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة و بعض قراء الكوفة سواء بالرفع على أن الخبر متناه عندهم عند قوله كالذين آمنوا وجعلوا خبر قوله أن نجعلهم قوله كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم ابتدؤا الخبر عن استواء حال محيا المؤمن ومماته ومحيا الكافر ومماته فرفعوا قوله سواء على وجه الابتداء بهذا المعنى والى هذا المعنى وجه تأويل ذلك جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله سواء محياهم ومماتهم قال المؤمن فى الدنيا والآخرة مؤمن والكافر فى الدنيا والآخرة كافر حدثنا أبو كريب قال ثنا حسين عن شيبان عن ليث فى قوله سواء محياهم ومماتهم قال بعث المؤمن مؤمنا حيا وميتا والكافر كافرا حيا وميتا وقد يحتمل الكلام اذا قرئ سواء رفعا وجها آخر غير هذا المعنى الذى ذكرناه عن مجاهد وليث وهو أن يوجه الى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم والمؤمنين سواء فى الحياة والموت بمعنى أنهم لا يستوون ثم يرفع سواء على هذا المعنى اذ كان لا ينصرف كما يقال مررت برجل خير منك أبوه وحسبك أخوه فرفع حسبك وخير اذ كانا فى مذهب الاسماء ولو وقع

وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا
فاليوم لايخرجون منها ولاهم يستعتبون (٩٠) فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء في السموات
والارض وهو العزيز الحكيم ﴾

موقعهما فعل في لفظ اسم لم يكن الا نصبا فكذلك قوله سواء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة سواء
نصبا بمعنى أحسبوا أن نجعلهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء * والصواب من القول
في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان في قرأة الامصار قد قرأ بكل واحدة منهما أهل العلم
بالقرآن صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله
سواء ورفعه فقال بعض نحويي البصرة سواء محياهم ومماتهم رفع وقال بعضهم ان المحيا والممات
للكفار كله قال أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
ثم قال سواء محيا الكفار ومماتهم أي محياهم محيا سوء ومماتهم ممات سوء فرفع السواء على
الابتداء قال ومن فسر المحيا والممات للكفار والمؤمنين فقد يجوز في هذا المعنى نصب السواء ورفعه
لأن من جعل السواء مستويا فينبغي له في القياس أن يجريه على ماقبله لأنه صفة ومن جعله
الاستواء فينبغي له أن يرفعه لأنه اسم الا أن ينصب المحيا والممات على البدل وينصب السواء على
الاستواء وان شاء رفع السواء اذا كان في معنى مستو كما تقول مررت برجل خير منك أبوه لأنه
صفة لا يصرف والرفع أجود وقال بعض نحويي الكوفة قوله سواء محياهم بنصب سواء وبرفعه
والمحيا والممات في موضع رفع بمنزلة قوله رأيت القوم سواء صغارهم وكبارهم بنصب سواء لأنه يجعله
فعلا لما عاد على الناس من ذكرهم قال وربما جعلت العرب سواء في مذهب اسم بمنزلة حسبك
فيقولون رأيت قومك سواء صغارهم وكبارهم فيكون كقولك مررت برجل حسبك أبوه قال ولو
جعلت مكان سواء مستو لم يرفع ولكن نجعله متبعا لما قبله مخالفا لسواء لأن مستوي من صفة
القوم ولأن سواء كالمصدر والمصدر اسم قال ولو نصبت المحيا والممات كان وجها يريد أن نجعلهم
سواء في محياهم ومماتهم * وقال آخرون منهم المعنى أنه لا يساوي من اجترح السيئات المؤمن
في الحياة ولا الممات على أنه وقع موقع الخبر فكان خبرا لجعلنا قال والنصب للاخبار كما تقول جعلت
اخوتك سواء صغيرهم وكبيرهم ويجوز أن يرفع لأن سواء لا ينصرف وقال من قال أم حسب
الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات فجعل كالذين الخبر استأنف
بسواء ورفع ما بعدها وان نصب المحيا والممات نصب سواء لا غير وقد تقدم بياننا الصواب من
القول في ذلك وقوله ساء ما يحكمون يقول تعالى ذكره بئس الحكم الذي حسبوا أنا نجعل الذين
اجترحوا السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ۞ القول في تأويل قوله
تعالى ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾
يقول تعالى ذكره وخلق الله السموات والارض بالحق للعدل والحق لا لما حسب هؤلاء الجاهلون
بالله من أنه يجعل من اجترح السيئات فعصاه وخالف أمره كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
في المحيا والممات اذ كان ذلك من فعل غير أهل العدل والانصاف يقول جل ثناؤه فلم يخلق الله
السموات والارض للظلم والجور ولكنا خلقناهما للحق والعدل ومن الحق أن نخالف بين حكم
المسيء والمحسن في العاجل والآجل وقوله ولتجزى كل نفس بما كسبت يقول تعالى ذكره وليثيب
الله كل عامل بما عمل من عمل خلق السموات والارض المحسن بالاحسان والمسيء بما هو أهله
لا لنبخس المحسن ثواب احسانه ونحمل عليه جرم غيره فنعاقبه أو نجعل للمسيء ثواب احسان غيره

۞ القراآت وفي خلقكم مدغما عباس
آيات بالنصب في الموضعين حمزة
وعلي ويعقوب الريح على التوحيد
حمزة وعلي وخلف يؤمنون على
الغيبة أبو جعفر ونافع وابن كثير
وأبو عمرو وسهل وحفص أليم
مذكور في سبا لنجزي بالنون
ابن عامر وحمزة وعلي وخلف
ليجزي بالياء مبنيا للمفعول قوم
بالرفع يزيد الباقون مبنيا للفاعل قوما
سواء بالنصب حمزة وعلي وخلف
وحفص وروح وزيد غشوة بفتح
الغين وسكون الشين من غير ألف
حمزة وعلي وخلف ۳ كل أمة تدعى
بالنصب على الابدال من الاول
يعقوب الساعة بالنصب حمزة
لا يخرجون من الخروج حمزة وعلي
وخلف ۞ الوقوف حم كوفي ٥
الحكيم ٥ للمؤمنين ٥ ط ومن نصب
آيات لم يقف لانه عطف المفردين
على المفردين وهما الخبر واسم ان
يوقنون ٥ لا للعطف على عاملين
كما يجيء يعقلون ٥ بالحق ج
للاستفهام مع الفاء يؤمنون ٥ أثيم
٥ يسمعها ج لانقطاع النظم مع
فاء التعقيب أليم ٥ هزوا ط مهين
٥ ط لأنه لو وصل اشتبه بأنها
وصف عذاب جهنم ج لعطف
المختلفين أولياء ج لذلك عظيم ٥
هدى ط لأن ما بعده مبتدأ مع
العاطف أليم ٥ تشكرون ٥ ج
للآية مع العطف منه ط يتفكرون
ج يكسبون ٥ فلنفسه ج فعليها
ز لأن ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد
القصة ترجعون ٥ العالمين ٥ ج للآية والعطف من الامر ج لعطف المختلفين بينهم ط يختلفون ٥ لا يعلمون ٥ فنكرمه
شيئا ج بعض ج للتمييز بين الحالين المختلفين مع اتفاق الجملتين المتقين ٥ يوقنون ٥ الصالحات قف ومن نصب سواء لم يقف

فنكرمه ولكن لنجزى كلا بما كسبت يداه وهم لا يظلمون جزاء أعمالهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله أفرأيت من اتخذ الهه هواه فقال بعضهم معنى ذلك أفرأيت من اتخذ دينه بهواه فلا يهوى شيأ الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يحرم ما حرم ولا يحلل ما حلل انما دينه ما هويته نفسه يعمل به ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله أفرأيت من اتخذ الهه هواه قال ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله أفرأيت من اتخذ الهه هواه قال لا يهوى شيأ الا ركبه لا يخاف الله * وقال آخرون بل معنى ذلك أفرأيت من اتخذ معبوده ما هويت عبادته نفسه من شئ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال كانت قريش تعبد العزى وهو حجر أبيض حينا من الدهر فاذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الاول وعبدوا الآخر فأنزل الله أفرأيت من اتخذ الهه هواه * وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه فيعبد ما هوى من شئ دون اله الحق الذى له الألوهة من كل شئ لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره وقوله وأضله الله على علم يقول تعالى ذكره وخذله عن محجة الطريق وسبيل الرشاد فى سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدى ولو جاءته كل آية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وأضله الله على علم يقول أضله الله فى سابق علمه وقوله وختم على سمعه وقلبه يقول تعالى ذكره وطبع على سمعه أن يسمع مواعظ الله وآى كتابه فيعتبر بها ويتدبرها ويتفكر فيها فيعقل ما فيها من النور والبيان والهدى وقوله وقلبه يقول وطبع أيضا على قلبه فلا يعقل به شيأ ولا يعى به حقا وقوله وجعل على بصره غشاوة يقول وجعل على بصره غشاوة أن يبصر به حجج الله فيستدل بها على وحدانيته ويعلم بها أن لا اله غيره واختلفت القراء فى قراءة قوله وجعل على بصره غشاوة فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة غشاوة بكسر الغين واثبات ألف فيها على أنها اسم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة غشوة بمعنى أنه غشاه شيأ فى دفعة واحدة ومرة واحدة بفتح الغين بغير ألف وهما عندى قراءتان صحيحتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله فمن يهديه من بعد الله يقول تعالى ذكره فمن يوفقه لاصابة الحق وابصار محجة الرشد بعد اضلال الله اياه أفلا تذكرون أيها الناس فتعلموا أن من فعل الله به ما وصفنا فلن يهتدى أبدا ولن يجد لنفسه وليا مرشدا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون الذين تقدم خبره عنهم ما حياة الا حياتنا الدنيا التى نحن فيها لا حياة سواها تكذيبا منهم بالبعث بعد الممات كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا اى لعمرى هذا قول مشركى العرب وقوله نموت ونحيا نموت نحن وتحيا أبناؤنا بعدنا فجعلوا حياة أبنائهم بعدهم حياة لهم لأنهم منهم وبعضهم فكأنهم بحياتهم أحياء وذلك نظير قول الناس

تعملون ه بالحق ه ط تعملون ه فى رحمته ط المبين ه مجرمين ه ما الساعة لا تحترزا عن الابتداء بقول الكفار بمستيقنين ه يستهزؤن ه ناصرين ه الدنيا ج للعدول عن الخطاب الى الغيبة يستعتبون ه العالمين ه والارض ص لعطف الجملتين المتفقتين الحكيم ه

۞ التفسير اعراب أول السورة وتفسيرها كاعراب أول المؤمن وتفسيره وقوله ان فى السموات اما أن يكون على ظاهره وآياتها الشمس والقمر والنجوم وحركاتها وأوضاعها وكذا العناصر والمواليد التى فى الارض مما يعجز الحاصر عن ادراك أعدادها واما أن يراد ان فى خلق السموات والارض فالآيات تشمل ما عددنا مع زيادة هيئتهما وما يتعلق بتشخيصهما استدل الأخفش بالآية الثالثة على جواز العطف على عاملين مختلفين وهما فى قراءة النصب ان وفى أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى اختلاف الليل والنصب فى آيات وهما فى قراءة الرفع الابتداء وفى وخرج لسيبويه فى جوابه وجهان أحدهما أن قوله آيات تكرار محض للتأكيد فقط من غير حاجة الى ذكرها كما تقول ان فى الدار زيدا وفى الحجرة زيدا والمسجد زيدا وأنت تريد ان فى الدار زيدا والحجرة والمسجد والثانى اضمار فى لدلالة الاول عليه ويحتمل أن ينتصب آيات على الاختصاص ويرتفع باضمار هى وتفسير هذه الآيات قدمر فى نظائرها مرارا ولا سيما فى أواسط البقرة ومما يختص بالمقام أنه خص المؤمنين بالذكر أولا ثم قال لقوم يوقنون ثم يعقلون فما سبب هذا الترتيب قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله أراد ان كنتم مؤمنين فافهموا هذه الدلائل والا فان كنتم طلاب الحق واليقين

فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين ولا من الموقنين فلا أقل من أن تكونوا من زمرة العاقلين فاجتهدوا فى معرفة هذه الدلائل وقال جار الله معناه ان المنصفين من العباد

اذا نظروا فى السموات والارض النظر الصحيح علموا أنها لا بدّ لها من صانع فآمنوا به وأقروا فاذا نظروا فى خلق أنفسهم وتنقلها من حال الى حال وفى خلق مابث من الدواب على ظهر الارض ازدادوا ايمانا وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس واذا نظروا فى سائر الحوادث كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار التى هى سبب الارزاق وحياة الارض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم عقلهم وخلص يقينهم وأقول الدلائل المذكورة فى هذه الآيات قسمان نفسية وخارجية فالنفسية أولى بالايقان لانه لاشئ أقرب الى الانسان من نفسه والخارجية بعضها فلكية وبعضها آثار علوية فالفلكية لبعدها عن الانسان اكتفى فيها بمجرد التصديق وأما الآثار العلوية فكانت أولى بالنظر والاستدلال لقربها وللاحساس بها فلا جرم خصت بالتعقل والتدبر وأما تقديم السموات على الارض فلشمولها ولتقدمها فى الوجود (تلك) مبتدأ والتبعيد للتعظيم والمشار اليها الآيات المتقدمة و (نتلوها) فى محل الحال وقوله (بعد الله وآياته) كقولهم أعجبنى زيد وكرمه وأصله بعد آيات الله والمعنى أن من لم يؤمن بكلام الله فلن يؤمن بحديث سواه وقيل معناه القرآن آخر كتب الله ومحمد آخر رسله فان لم يؤمنوا به فبأى كتاب بعده يؤمنون ولا كتاب بعده ولا نبى ثم أوعد الناس المبالغين فى الاثم وقد مر ما فى الآية فى سورة لقمان قوله (واذا علم) أى شعر بغير

ما مات من خلف ابنا مثل فلان لأنه بحياة ذكره به كأنه حى غير ميت وقد يحتمل وجها آخر وهو أن يكون معناه نحيا ونموت على وجه تقديم الحياة قبل الممات كما يقال قمت وقعدت بمعنى قعدت وقمت والعرب تفعل ذلك فى الواو وخاصة اذا أرادوا الخبر عن شيئين أنهما كانا أو يكونان ولم تقصد الخبر عن كون احدهما قبل الآخر تقدّم المتأخر حدوثا على المتقدم حدوثه منهما أحيانا فهذا من ذلك لأنه لم يقصد فيه الى الخبر عن كون الحياة قبل الممات فقدّم ذكر الممات قبل ذكر الحياة اذ كان القصد الى الخبر عن أنهم يكونون مرة أحياء وأخرى أمواتا وقوله وما يهلكنا الا الدهر يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا وما يهلكنا فيفنينا الا مر الليالى والايام وطول العمر انكارا منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم وقد ذكر أنها فى قراءة عبد الله وما يهلكنا الا دهر يمر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما يهلكنا الا الدهر قال الزمان حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وما يهلكنا الا الدهر قال ذلك مشركو قريش ما يهلكنا الا الدهر الا العمر وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الشرك كانوا يقولون الذى يهلكنا ويفنينا الدهر والزمان ثم يسبون ما يفنيهم ويهلكهم وهم يرون أنهم يسبون بذلك الدهر والزمان فقال الله عز وجل لهم أنا الذى أفنيكم وأهلككم لا الدهر والزمان ولا علم لكم بذلك ذكر الرواية بذلك عمن قاله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان أهل الجاهلية يقولون انما يهلكنا الليل والنهار وهو الذى يهلكنا ويميتنا ويحيينا فقال الله فى كتابه وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر قال فيسبون الدهر فقال الله تبارك وتعالى يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الامر أقلب الليل والنهار حدثنا عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا أبو روح قال ثنا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال قال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله استقرضت عبدى فلم يعطنى وسبنى عبدى يقول وادهراه وأنا الدهر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن الزهرى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله قال لا يقولن أحدكم ياخيبة الدهر فانى أنا الدهر أقلب ليله ونهاره واذا شئت قبضتهما حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام عن أبى هريرة قال لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون يقول تعالى ذكره وما لهؤلاء المشركين القائلين ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر بما يقولون من ذلك من علم يعنى من يقين علم لأنهم يقولون ذلك تخرصا

وأحس بأنه من جملة القرآن المنزل خاض فى الاستهزاء واذا وقف على آية لها محمل فى باب الطعن والقدح افترضه وحمله على الوجه الموجب للطعن كافتراض ابن الزبعرى فى قوله انكم وما تعبدون من دون الله وانما أنث الضمير فى قوله (اتخذها)

لأن الشيء في معنى الآية أولانه أراد أنه يتخذ جميع الآيات هزوا ولا يقتصر على الاستهزاء بما بلغه قوله (من ورائهم جهنم) كل ماتوارى عنك فهو وراء تقدم أو تأخر وقدمر في سورة ابراهيم عليه السلام (هذا هدى) أي هذا القرآن كامل في باب الهداية والارشاد

بغير خبر لما هم من الله ولا برهان عندهم بحقيقته ان هم الا يظنون يقول جل ثناؤه ماهم الا في ظن من ذلك وشك يخبر عنهم أنهم في حيرة من اعتقادهم حقيقة ماينطقون من ذلك بألسنتهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ﴾ يقول تعالى ذكره واذا تتلى على هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث آياتنا بأن الله باعث خلقه من بعد مماتهم فجامعهم يوم القيامة عنده للثواب والعقاب بينات يعني واضحات جليات تنفي الشك عن قلب أهل التصديق بالله في ذلك ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين يقول جل ثناؤه لم يكن لهم حجة على رسولنا الذي يتلو ذلك عليهم الا قولهم له ائتنا بآبائنا الذين قد هلكوا أحياء وانشرهم لنا ان كنت صادقا فيما تتلو علينا وتخبرنا حتى نصدق بحقيقة ما تقول بأن الله باعثنا من بعد مماتنا ومحيينا من بعد فنائنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث القائلين لك ائتنا بآبائنا ان كنت صادقا الله أيها المشركون يحييكم ما شاء أن يحييكم في الدنيا ثم يميتكم فيها اذا شاء ثم يجمعكم الى يوم القيامة يعني أنه يجمعكم جميعا أولكم وآخركم وصغيركم وكبيركم الى يوم القيامة يقول ليوم القيامة يعني أنه يجمعكم جميعا أحياء ليوم القيامة لا ريب فيه يقول لا شك فيه يقول فلا تشكوا في ذلك فان الامر كما وصفت لكم ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن أكثر الناس الذين هم أهل تكذيب بالبعث لا يعلمون حقيقة ذلك وأن الله محييهم من بعد مماتهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ﴾ يقول تعالى ذكره ولله سلطان السموات السبع والارض دون ما تدعونه له شريكا وتعبدونه من دونه والذي تدعونه من دونه من الآلهة والأنداد في ملكه وسلطانه جار عليه حكمه فكيف يكون ما كان كذلك له شريكا أم كيف تعبدونه وتتركون عبادة مالككم ومالك ما تعبدونه من دونه ويوم تقوم الساعة يقول تعالى ذكره ويوم تجيء الساعة التي ينشر الله فيها الموتى من قبورهم ويجمعهم لموقف العرض يخسر المبطلون يقول يغبن فيها الذين أبطلوا في الدنيا في أقوالهم ودعواهم لله شريكا وعبادتهم آلهة دونه بأن يفوز بمنازلهم من الجنة المحقون ويبدلوا بها منازل من النار كانت للمحقين فجعلت لهم بمنازلهم من الجنة ذلك هو الخسران المبين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره وترى يا محمد يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جاثية يقول مجتمعة مستوفزة على ركبها من هول ذلك اليوم كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وترى كل أمة جاثية قال على الركب مستوفزين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وترى كل أمة جاثية قال هذا يوم القيامة جاثية على ركبهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وترى كل أمة جاثية يقول على الركب عند الحساب

ثم ذكر دليلا آخر على الوحدانية وهو تسخير البحر لبني آدم وقد سبق وجه الدلالة مرارا وقوله (ولتبتغوا) أي بسبب التجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان أو باستخراج اللحم الطري ثم عمم بعد التخصيص وقوله (منه) في موضع الحال أي سخر جميع ما في السموات والارض كائنة منه يريد أنه أوجدها بقدرته وحكمته ثم سخرها لخلقه ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف أي هذه النعم كلها منه عن ابن عباس برواية عطاء أن الصحابة نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فأرسل عبدالله بن أبي غلامه ليستقي الماء فأبطأ عليه فلما أتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على رأس البئر فما ترك أحدا يستقي حتى ملأ قرب النبي وقرب أبي بكر وملأ لمولاه فقال عبدالله ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ قوله عمر فاشتمل بسيفه يريد التوجه اليه فأنزل الله تعالى (قل للذين آمنوا) يعني عمر (يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائعه بأعداء الله أو لا يأملون قوة المؤمنين في أيام الله الموعودة لهم والمراد الصفح والاعراض عن عبدالله بن أبي وفي رواية ميمون بن مهران عن ابن عباس لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قال اليهودي فنحاص بن عازوراء احتاج رب محمد فبلغ ذلك عمر فأخذ سيفه فخرج في طلبه فجاء جبرائيل وأنزل الآية هذه وليس المقصود أن لا تقتلوا ولا تقاتلوا حتى يلزم نسخها بآية القتال كما ذهب اليه كثير من المفسرين ولكن الاولى أن يحمل على ترك المنازعة في المحقرات وفي أفعالهم الموحشة المؤذية وانما نكر قوما مع أنه أراد بقوم الذين آمنوا وهم معارف ليدل على مدحهم والثناء عليهم كأنه قيل لنجزي قوما

كاملين فى الصبر والاغضاء على أذى الاعداء (بما كانوا يكسبون) من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه وقيل القوم هم الكافرون الكاملون فى النفاق ثم فصل الجزاء (٩٤) وعمم الحكم بقوله (من عمل صالحا) الآية ثم بين أن للمتأخرين من الكفار أسوة بالمتقدمين منهم والكتاب التوراة والحكم بيان الشرائع والبينات من الامر أدلة أمور الدين وقال ابن عباس يريد أنه تبين لهم من أمر النبي صلى الله عليه وسلم أنه مهاجر من تهامة الى يثرب وقيل هى المعجزات القاهرة على صحة نبوة موسى (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم) فيه احتمالان أحدهما علموا ثم عاندوا والثانى جاءهم أسباب المعرفة التى لو تأملوا فيها لعرفوا الحق ولكنهم أظهروا النزاع حسدا (ثم جعلناك على شريعة) أى منهاج وطريقة (من الامر) أمر الدين وقيل من الامر الذى أمرنا به من قبلك من رسلنا قال الكلبي ان رؤساء قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ارجع الى ملة آبائك وهم كانوا أفضل منك وأسن فزجره الله تعالى عن ذلك بقوله (ولا تتبع) الى آخره أى لو ملت الى أديانهم الباطلة لصرت مستحقا للعذاب وهم لا يقدرون على دفعه عنك ثم أشار بعد النهى عن اتباع أهوائهم بقوله ولا تتبع أتباعهم الى الفرق بين ولاة الظالمين وهم أشكالهم من الظلمة وبين ولى المتقين وهو الله سبحانه ومن جملة آثار ولايته وبركة عنايته (هذا) القرآن وقيل ما تقدم من اتباع الشريعة وترك طاعة الظالم وجعل القرآن مشارا اليه أولى لقوله (بصائر من ربكم) الى آخره وقدمر فى آخر الاعراف مثله ثم بين الفرق بين الظالمين والمتقين من وجه آخر قائلا (أم حسب) قال جار الله أم منقطعة والآية نظيرة ما سلف فى ص أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين والاجتراح الاكتساب من قرأ سواء بالنصب فمعناه مستويا والظاهر بعده فاعله ويكون انتصابه على البدل من ثانى مفعولى نجعل وهو الكاف ما

وقوله كل أمة تدعى الى كتابها يقول كل أهل ملة ودين تدعى الى كتابها الذى أملت على حفظتها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كل أمة تدعى الى كتابها يعلمون أنه ستدعى أمة قبل أمة وقوم قبل قوم ورجل قبل رجل ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يمثل لكل أمة يوم القيامة ما كانت تعبد من حجر أو وثن أو خشبة أو دابة ثم يقال من كان يعبد شيأ فليتبعه فتكون أو تجعل تلك الاوثان قادة الى النار حتى تقذفهم فيها فتبقى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأهل الكتاب فيقول لليهود ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد الله وعزيرا الا قليلا منهم فيقال لها أما عزير فليس منكم ولستم منه فيؤخذ بهم ذات الشمال فينطلقون ولا يستطيعون مكوثا ثم يدعى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد الله والمسيح الا قليلا منهم فيقال أما عيسى فليس منكم ولستم منه فيؤخذ بهم ذات الشمال فينطلقون ولا يستطيعون مكوثا وتبقى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقال لهم ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد الله وحده وانما فارقنا هؤلاء فى الدنيا مخافة يومنا هذا فيؤذن للمؤمنين فى السجود فيسجد المؤمنون وبين كل مؤمن (٣) منافق فيقسو ظهر المنافق عن السجود ويجعل الله سجود المؤمنين عليه توبيخا وصغارا وحسرة وندامة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن الزهرى عن عطاء بن يزيد الليثى عن أبى هريرة قال قال الناس يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضامون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله الناس فيقول من كان يعبد شيأ فليتبعه فيتبع من كان يعبد القمر القمر ومن كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم ربهم فى صورة ويضرب جسر على جهنم قال النبي صلى الله عليه وسلم فأكون أول من يجيز ودعوة الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وبها كلاليب كشوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم أحد قدر عظمها الا الله ويخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجو ثم ذكر الحديث بطوله وقوله اليوم تجزون ما كنتم تعملون يقول تعالى ذكره كل أمة تدعى الى كتابها يقال لها اليوم تجزون أى تثابون وتعطون أجور ما كنتم فى الدنيا من جزاء الاعمال تعملون بالاحسان الاحسان وبالاساءة جزاءها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين﴾ يقول تعالى ذكره لكل أمة دعيت فى القيامة الى كتابها الذى أملت على حفظتها فى الدنيا اليوم تجزون ما كنتم تعملون فلا تجزعوا من ثوابنا كم على ذلك فانكم ينطق عليكم ان أنكرتموه بالحق فاقرؤه انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون يقول انا كنا نستكتب حفظتنا أعمالكم فتثبتها فى الكتب وتكتبها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن عطاء بن مقسم عن ابن عباس هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق قال هو أم الكتاب فيه أعمال بنى آدم انا كنا نستنسخ

ما كنتم تعملون قال نعم الملائكة يستنسخون أعمال بنى آدم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى قال ثنى أخى عيسى بن عبد الله عن ثابت الثمالى عن ابن عباس قال ان الله خلق النون وهى الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال ما أكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة من عمل معمول بر أو فجور أو رزق مقسوم حلال أو حرام ثم ألزم كل شئ من ذلك شأنه دخوله فى الدنيا ومقامه فيها كم وخروجه منها كيف ثم جعل على العباد حفظة وعلى الكتاب خزانا فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم فاذا فنى الرزق وانقطع الأثر وانقضى الاجل أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم فتقول لهم الخزنة ما نجد لصاحبكم عندنا شيأ فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا قال فقال ابن عباس ألستم قوما عربا تسمعون الحفظة يقولون انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وهل يكون الاستنساخ الا من أصل حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق قال الكتاب الذكر انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون قال نستنسخ الاعمال * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا النضر بن اسمعيل عن أبى سنان الشيبانى عن عطاء بن أبى رباح عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال ان لله ملائكة ينزلون فى كل يوم بشئ يكتبون فيه أعمال بنى آدم وقوله فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته يقول تعالى ذكره فأما الذين آمنوا بالله فى الدنيا فوحدوه ولم يشركوا به شيأ وعملوا الصالحات يقول وعملوا بما أمرهم الله به وانتهوا عما نهاهم الله عنه فيدخلهم ربهم فى رحمته يعنى فى جنته برحمته وقوله ذلك هو الفوز المبين يقول دخولهم فى رحمة الله يومئذ هو الظفر بما كانوا يطلبونه وادراك ما كانوا يسعون فى الدنيا له المبين غايتهم فيها أنه هو الفوز ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين ﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين جحدوا وحدانية الله وأبوا افراده فى الدنيا بالالوهة فيقال لهم ألم تكن آياتى فى الدنيا تتلى عليكم فان قال قائل أوليست أما تجاب بالفاء فأين هى فان الجواب أن يقال هى الفاء التى فى قوله أفلم وانما وجه الكلام فى العربية لو نطق به على بيانه وأصله أن يقال وأما الذين كفروا فألم تكن آياتى تتلى عليكم لان معنى الكلام وأما الذين كفروا فيقال لهم ألم فموضع الفاء فى ابتداء المحذوف الذى هو مطلوب فى الكلام فلما حذفت يقال وجاءت ألف استفهام حكمها أن تكون مبتدأة بها ابتدئ بها وجعلت الفاء بعدها وقد تسقط العرب الفاء التى هى جواب أما فى مثل هذا الموضع أحيانا اذا أسقطوا الفعل الذى هو فى محل جواب أما كما قال جل ثناؤه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فحذفت الفاء اذ كان الفعل الذى هو فى جواب أما محذوفا وهو فيقال وذلك أن معنى الكلام فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم أكفرتم فلما أسقطت يقال الذى به تتصل الفاء سقطت الفاء التى هى جواب أما وقوله فاستكبرتم يقول فاستكبرتم عن استماعها والايمان بها وكنتم قوما مجرمين يقول وكنتم قوما تكسبون الآثام والكفر بالله لا تصدقون بمعاد ولا تؤمنون بثواب ولا عقاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ﴾

ومن قرأ بالرفع لخبر وبحياهم مبتدأ والجملة بدل أيضا لان الجملة تقع مفعولا ثانيا والمعنى انكار أن يستوى الفريقان حياة وموتا لان المحسنين عاشوا على الطاعة وانهم عاشوا على المعصية ومات أولئك على البشرى والرحمة ومات هؤلاء على الضد وقيل معناه انكار أن يستويا فى الممات كما استووا فى الحياة من حيث الصحة والرزق بل قد يكون الكافر أرجح حالا من المؤمن فالفرق المقتضى لسعادة المؤمن وشقاوة الكافر انما يظهر بعد الوفاة وقيل انه كلام مستأنف والمراد أن كلا من الفريقين يموت على حسب ما عاش عليه لقوله صلى الله عليه وسلم كما تعيشون تموتون وحين أفتى بان المؤمن لا يساويه الكافر فى درجات السعادات استدل على صحة هذه الدعوى بقوله (وخلق الله) الآية قال جار الله (ولتجزى) معطوف على بالحق لانه فى معنى التعليل أى للعدل أوليدل بها على قدرته وللجزاء ويجوز أن يكون المعلل محذوفا وهو فعلنا ونحوه والحاصل أن الغاية من خلق السماء والارض كان هو الانسان الكامل فكيف يترك الله جزاءه وجزاء من هو ضده والتميز بينهما بموجب العدالة ثم قرر أسباب ضلال المضلين قائلا (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) أى يتبع ما تدعو اليه نفسه الأمارة وقد مر فى الفرقان (وأضله الله على علم) بحاله أنه من أهل الخذلان والقهر أو على علم الضلال فى سابق القضاء أو على علم بوجوه الهداية واحاطته بالالطاف المحصلة لها وقيل أراد به المعاند لان ضلاله عن علم (فمن يهديه من بعد) اضلال (الله) قال بعض العلماء قدم السمع على القلب فى هذه الآية و بالعكس فى البقرة لان كفار مكة كانوا يبغضونه بقلوبهم وما كانوا يستمعون اليه وكفار المدينة كانوا يلقون الى الناس أن النبى صلى الله عليه وسلم شاعر وكاهن وأنه يطلب الملك والرياسة فالسامعون اذا سمعوا ذلك أبغضوه ونفرت قلوبهم عنه ففى هذه الصورة على هذا التقدير كان الاثر يصعد من البدن الى جوهر النفس وفى الصورة الاولى

كان الاثر ينزل من جوهر النفس الى قرار البدن فوردما فى كل سورة على ترتيبه *ثم ذكر من أسباب الضلال سببا آخر وهو انكارهم البعث

يقول تعالى ذكره ويقال لهم حينئذ واذا قيل لكم ان وعد الله الذى وعد عباده أنه محييهم من بعد مماتهم و باعثهم من قبورهم حق والساعة التى أخبرهم أنه يقيمها لحشرهم و جمعهم للحساب والثواب على الطاعة والعقاب على المعصية آتية لا ريب فيها يقول لاشك فيها يعنى فى الساعة والهاء فى قوله فيها من ذكر الساعة ومعنى الكلام والساعة لا ريب فى قيامها فاتقوا الله وآمنوا بالله ورسوله واعملوا لما ينجيكم من عقاب الله فيها قلتم ماندرى ما الساعة تكذيبا منكم بوعد الله جل ثناؤه وردا لخبره وانكارا لقدرته على احيائكم من بعد مماتكم وقوله ان نظن الا ظنا يقول وقلتم ما نظن أن الساعة آتية الا ظنا وما نحن بمستيقنين أنها جائية ولا أنها كائنة * واختلفت القراء فى قراءة قوله والساعة لا ريب فيها فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة و بعض قراء الكوفة والساعة رفعا على الابتداء وقرأته عامة قراء الكوفة والساعة نصبا عطفا بها على قوله ان وعد الله حق والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار صحيحتا المخرج فى العربية متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره وبدا لهؤلاء الذين كانوا فى الدنيا يكفرون بآيات الله سيئات ما عملوا فى الدنيا من الاعمال يقول ظهر لهم هنالك قبائحها وشرارها لما قرؤا كتب أعمالهم التى كانت الحفظة تنسخها فى الدنيا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن يقول وحاق بهم من عذاب الله حينئذ ما كانوا به يستهزؤن اذ قيل لهم ان الله محله بمن كذب به على سيئات ما فى الدنيا عملوا من الاعمال ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ يقول تعالى ذكره وقيل لهؤلاء الكفرة الذين وصف صفتهم اليوم نترككم فى عذاب جهنم كما تركتم العمل للقاء ربكم يومكم هذا كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقيل اليوم ننساكم نترككم وقوله ومأواكم النار يقول ومأواكم التى تأوون اليها نار جهنم وما لكم من ناصرين يقول وما لكم من مستنقذ ينقذكم اليوم من عذاب الله ولا منتصر ينتصر لكم ممن يعذبكم فيستنقذ لكم منه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهم هذا الذى حل بكم من عذاب الله اليوم بأنكم فى الدنيا اتخذتم آيات الله هزوا وهى حججه وأدلته وآى كتابه التى أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم هزوا يعنى سخرية تسخرون منها وغرتكم الحياة الدنيا يقول وخدعتكم زينة الحياة الدنيا فآثرتموها على العمل لما ينجيكم اليوم من عذاب الله يقول تعالى ذكره فاليوم لا يخرجون منها من النار ولا هم يستعتبون يقول ولا هم يردون الى الدنيا ليتوبوا و يراجعوا الانابة مما عوقبوا عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره فلله الحمد على نعمه وأياديه عند خلقه فاياه فاحمدوا أيها الناس فان كل ما بكم من نعمة فمنه دون ما تعبدون من دونه من آلهة و وثن ودون ما تتخذونه من دونه ربا وتشركون به معه رب السموات ورب الارض يقول مالك السموات السبع ومالك الارضين السبع ورب العالمين يقول مالك جميع ما فيهن

فيه تقديم وتأخير على أن الواو لا توجب الترتيب وقيل يموت الآباء وتحيا الابناء وحياة الابناء حياة الآباء أو يموت بعض ويحيا بعض أو أرادوا بكونهم أمواتا حال كونهم نطفا أو هو على مذهب أهل التناسخ اى يموت الرجل ثم تجعل روحه فى بدن آخر ثم انهم لم يقنعوا بانكار المعاد حتى ضموا اليه انكار المبدا قائلين (وما يهلكنا الا الدهر) اعتقدوا أن تولد الاشخاص وكون الممتزجات وفسادها ليس الا بسبب مزاوجات الكواكب ولا حاجة فى هذا الباب الى مبدئ المبادئ فأجاب الله عن شبهتهم بقوله (وما لهم بذلك من علم) أى ليس لهم على ما قالوه دليل وانما ذكروا ذلك ظنا تخمينا واستبعادا فلا ينبغى للعاقل أن يلتفت الى قولهم لأن الحجة قامت على نقيض ذلك وهى دليل المبدا والمعاد المذكور مرارا وأطوارا وليس قولهم (ائتوا بآبائنا) من الحجة فى شئ لانه ليس كل ما لا يحصل فى الحال فانه يمتنع حصوله فى الاستقبال بدليل الحادث اليومى الممتنع حصوله فى الامس فوجه الاستثناء أنه فى أسلوب قوله

* تحية بينهم ضرب وجيع *

وحين بكتهم وسكتهم صرح بما هو الحق وقال (قل الله يحييكم) الى آخره ثم أراد أن يختم السورة بوصف يوم القيامة وما سيجرى على الكفار فيه فقال (ويوم تقوم الساعة) العامل فيه يخسر وقوله (يومئذ) بدل من يوم وفيه تأكيد للحصر المستفاد من تقديم الظرف قال ابن عباس الجاثية المجتمعة للحساب المترقبة لما يعمل بها من وقيل باركة جلسة المدعى عند الحاكم وقيل مستوفزا لا يصيب الارض الا ركبتاه وأطراف أنامله والجثو للكفار خاصة وقيل عام

من اصناف الخلق وله الكبرياء فى السموات والارض يقول وله العظمة والسلطان فى السموات والارض دون ماسواه من الآلهة والأنداد وهو العزيز فى نقمته من أعدائه القاهر كل ما دونه ولا يقهره شئ الحكيم فى تدبيره خلقه وتصريفه اياهم فيما شاء كيف شاء والله أعلم

آخر تفسير سورة الجاثية

﴿ تم الجزء الخامس والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء السادس والعشرون أوّله (تفسير سورة الأحقاف) ﴾

بدليل قوله بعد ذلك فأما الذين آمنوا وأما الذين كفروا (تدعى الى كتابها) يريد كتاب الحفظة ليقرؤه وقال الجاحظ الى كتاب نبيها فينظر هل عملوا به أم لا ويقال يا أهل التوراة يا أهل القرآن (اليوم تجزون) بتقدير القول ومما يؤيد القول الاول قوله (هذا كتابنا) الى قوله (انا كنا نستنسخ) أى نأمر بالنسخ واضافة الكتاب تارة اليهم وأخرى الى الله عز وجل صحيحة لأن الاضافة يكفى فيها أدنى ملابسة فأضيف اليهم لأن أعمالهم مثبتة فيه وأضيف الى الله سبحانه لانه أمر ملائكته بكتبه قوله (أفلم تكن) القول فيه مقدّر أى فيقال لهم ذلك قوله (ان نظن الا ظنا) قال أبو على والاخفش هذا الكلام جار على غير الظاهر لان كل من يظن فانه لا يظن الا الظن فتأويله أن ينوى به التقديم أى مانحن الا نظن ظنا وقال المازنى تقديره ان نظن نحن الا ظنا منكم أى أنتم شاكون فيما تزعمون ومانحن بمستيقنين أنكم لا تظنون وقال جارالله أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فأدخل أداة الحصر ليفيد اثبات الظن مع نفى ماسواه وأقول الظن قد يطلق على ما يقرب من العلم ولا ريب أن لهذا الرجحان مراتب وكأنهم نفوا كل الظنون الا الذى لاثبوت علم فيه وأكدوا هذا المعنى بقوله (ومانحن بمستيقنين) وبلق السورة واضح مما سلف والله أعلم

﴿ فهرست الجزء الخامس والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

﴿ تم فهرست الجزء الخامس والعشرين من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿فهرست الجزء الخامس والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش تفسير ابن جرير﴾

صحيفة

صحيفه

﴿تم فهرست الجزء الخامس والعشرين من تفسير النيسابورى﴾